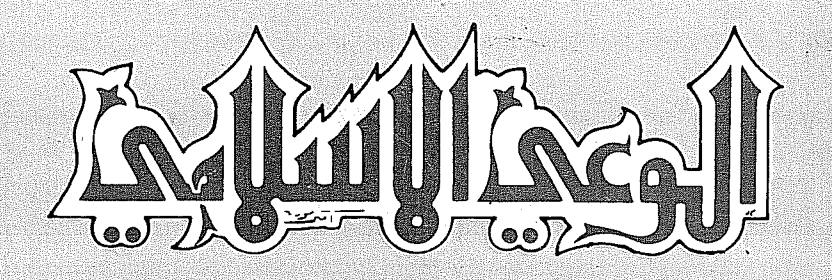
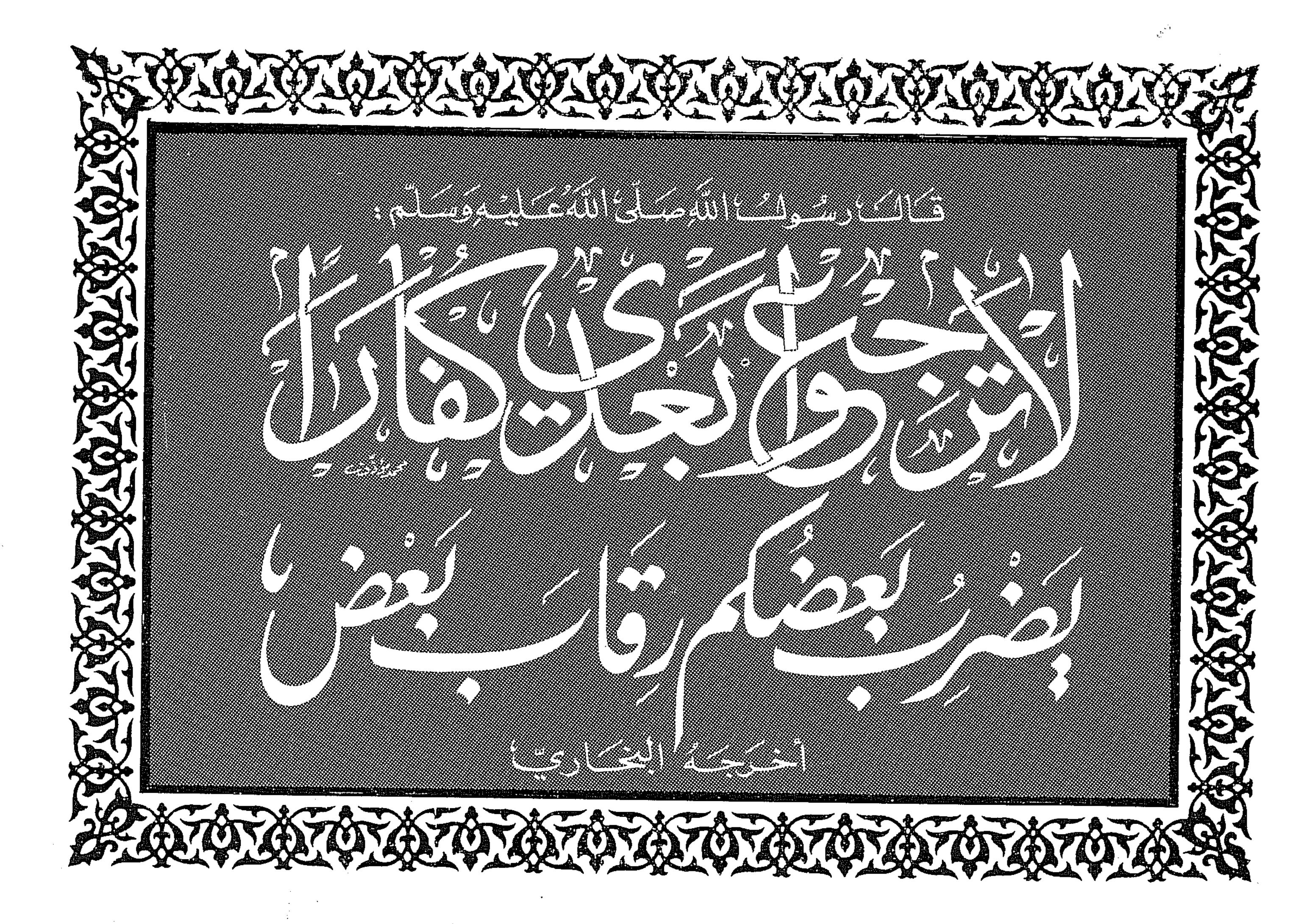


إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٣١/ربيع الأول ١٤٠٤هـ/ ديسمبر/يناير ١٩٨٤م.

منظر داخلي لمسجد الشيخ ناصر بالسالمية ـ الكويت

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
لا ترجعوا بعدي كفاراً
يضرب بعضكم رقاب بعض
أخرجه البخاري



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٣١/ربيع الأول ١٤٠٤هـ/ ديسمبر/يناير ١٩٨٤م .

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات
مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ ـ ٤٦٦٣٠٠

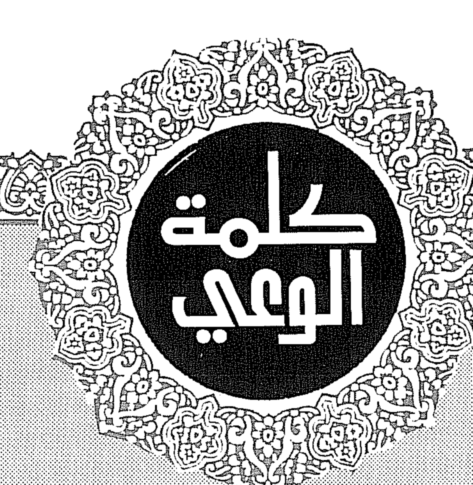
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

الثمن

البلد	الثمن
الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريـالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريـالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنـان	ليرة ونصف
ليبيـا	١٣٠ درهما
تونـس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدن العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



دروس في ذكرى المولد

كلما وافى المسلمين شهر ربيع الأول من كل عام أقاموا احتفالات تختلف صورها ويتفاوت مظهرها تبعا للعادات الموروثة ، والتقاليد المألوفة ، تعبيرا عن الفرحة بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم وكأنها امتداد لفرحة واكبت مولده صلى الله عليه وسلم اذ جاء معه الفرج بعد الكرب بعد أزمة اعتصرت قلوب قريش بالهم والأسى والألم لحدث مزعج لم يكن في الحسبان حين تأكدوا من زحف جيش لا قبل لهم به تحرك من اليمن تحت قيادة أبرهة الحبشي وراعهم أنه يملك آلة حرب

لا عهد للعرب بها،يملك فيلا ضخما لا تؤثر فيه السيوف ولا تناله الرماح يقود أفيالا أخرى لهدم الكعبة،محور حياة قريش ومناط عز العرب جميعا ، وهذا العدوان الآثم . كان لصرف الناس عن الكعبة المشرفة الى كنيسة مشيدة في اليمن ووصلت طلائع الجيش الزاحف الى مكة وقد استبد به الغرور لعلمه أن قريشا لن تدخل هذه الحرب غير المتكافئة ، وتعلق عبد المطلب وهو سيد قريش بحلقات بباب الكعبة مستغيثا برب البيت فشاءت إرادة الله أن ترد كيد المعتدين الطغاة فأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول . وبقيت الكعبة رفيعة المكان عظيمة الشأن وبقيت مكة حرم الله الآمن . وبينما قريش تنحر الذبائح وتقيم الولائم أشرق من بيت آمنة نور موصول بالسماء وولد النبي الأكرم فامتزجت فرحة الميلاد بفرحة النصر وانطلق به عبدالمطلب يحمله في لفائفه الى الكعبة شاكرا لله الذي عوضه خيرا وسماه محمدا رجاء ان يحمد في السماء وفي الأرض وهكذا كان لميلاده بهجة غامرة من قديم الزمن .

نعم في ظلمات من الجهل وفوضى لا مثيل لها في الحياة،أشرق النور المحمدي يبدد ظلام الشرك ويحرر العقول من الجمود والأغلال حيث قدمته العناية الالهية الى البشرية الضالة والانسانية المعذبة رسول خير ورحمة فهداها من ضلال وأنقذها من حيرة بمنهج أخرج الناس من الظلمات الى النور .

ومما لاشك فيه أن هذه المناسبة الكريمة تهز المشاعر وتؤكد الشوق والوفاء وتجدد الحب والولاء لسيد الخلق وامام الأنبياء ولكن أمام جلال هذه الذكرى لا ينبغي أن تكون الحفاوة بها أمرا ألفه الناس بموائد تقام أو ابتهالات تذاع أو بمضاعفة أضواء ورفع أعلام كما لا ينبغي الاقتصار على اجتماعات وقتية تلقى فيها الكلمات دون أن تأخذ طريقها الى القلوب والعقول ومن غير أن يكون لها أثر يظهر في العقيدة والسلوك والأخلاق والمعاملة .

كم في السيرة المحمدية من دروس لو وعاها المسلمون لاستعادوا أمجادهم وكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس . والأمة وهي تتلمس طريق الخلاص في وضعها الجديد مهما بحثت عن مثل أعلى يحقق لها الحياة الكريمة فلن تجد ذلك الا في الاقتداء بنبيها الكريم وصدق الله

العظيم . (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .

وبقليل من التأمل في سيرته نجد فيها دعوة التعاطف والتراحم فقد ولد يتيما لاضنًا من القدر بوالديه ولكن ليرى الناس في اليتيم عبقرية لم تكن معروفة في اليتامى من قبل ولتتحول قسوة القلوب على اليتيم الى رحمة تعوضه ما فقده من حب وحنان وتنسيه مرارة الذل والحرمان .

ولذا صرح القرآن الكريم بتعظيم شأن اليتامى وحمايتهم من الضياع وصيانتهم من الاطماع حين قال الله تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) كما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من أحاديثه باليتامى خيرا حتى أنقذ فئة عريضة في المجتمع من طمع الأوصياء واستبداد الأولياء ونبه الناس الى شرف اليتيم ودعاهم الى تكريمه وحبه واحترامه .

ثم عاش النبي الأكرم فقيرا وكان يستطيع أن يملك ذهب الأرض وكنوزها ولكن الله أراده قدوة للفقراء يربيهم على المنهج الذي يبرز شرف الفقير وكرامته .

كان في مسكنه المتواضع يأبى زينة الملوك وحياة القصور .

كان ينام على الحصير ويحتقر متاع الدنيا طمعا في نعيم متجدد لا يفنى ولا يزول .

مرت عليه أيام لا يملك فيها قوت يومه ولكنه كان يملك في بيته تسعة أنواع من الأسلحة يخوض بها المعارك وينازل بها الأعداء،وضع المشركون بين يديه الدنيا مالا وملكا ورئاسة فما التفت الى هذه العروض بما فيها من اغراء لأنه يحمل أمانة خيرا من الدنيا وما فيها وقد تأثر بهذا المنهج رجال ونساء شرفوا الحياة بهامات مرفوعة ونفوس أبية وعاش المؤمن مع قلة المال لا ينافق الاغنياء لأن رزقه في كفالة أغنى الأغنياء ولا يرهب الأقوياء لأنه مع أقوى الأقوياء التزم بذلك الرجال المؤمنون والنساء المؤمنات وسجل التاريخ كلمات خالدة عن امرأة اطمأنت الى رعاية الله يوم جاءها المعوقون يخوفونها من خروج زوجها للقتال مجاهدا ومن خلفه أطفال صغار لم يترك لهم متاعا ولا مالا قالت لهم: ان زوجي عرفته أكالا وما عرفته رزاقا وان ذهب الأكال فقد بقي

الرزاق سبحانه .

وكما رسم صاحب الذكرى للفقراء أسلوب العزة والكرامة نبه القلوب الغافلة الى الاكباد الجائعة ليربط الأغنياء مع الفقراء برباط التآلف والحب والتراحم في مجتمع نقي من المنة في العطاء والحقد على الأغنياء .

نعم خير الأمة ورشادها في الاقتداء به صلى الله عليه وسلم : يقتدي به الشباب في الاستقامة وشرف السلوك فقد نشأ صلى الله عليه وسلم عفا نظيفا لم يتورط فيما تورط فيه شباب مكة من لهو أو سمر - يقتدي به المسلمون في صدقه وأمانته فقد كان من صغره يدعى بالصادق الأمين يتأسى به العمال والأجراء فقد عمل بالأجر ورعى الغنم وتاجر لغيره بكل أمانة وصدق،أكل من عمل يده وعرق جبينه وأقر الكسب الشريف .

يهتدي بهديه التجار فقد حذر من الغش والاحتكار وأكل أموال الناس بالباطل .

يسير على دربه الدعاة حيث دعا الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة حتى جمع القوى وألف القلوب .

يتعلم منه القضاة والحكام مناهج الانصاف والعدالة لا يرده عن ذلك قرابة أو صلة وهو القائل:لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

يتعلم منه الضباط وقادة الحروب نظام الدفاع وادارة المعارك،كان شجاعا يتفقد الجند ويتقدم الصفوف كما كان في مفاوضاته ومعاهداته مثالا للذمة والوفاء .

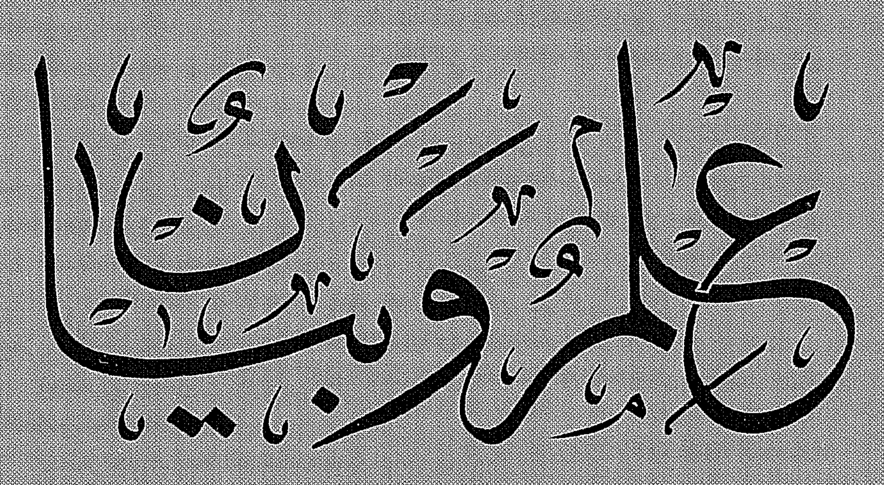
بانتصاره على مؤامرة الحصار والمقاطعة يعلمنا مواجهة الشدائد وقهر التحدي بالايمان وشرف الصمود .

كم في السيرة المحمدية من دروس وعبر تعتبر منارات تنير الطريق وتهدي الحيارى وتصحح مسيرة الأمة على بينة وبصيرة مادامت تنشد شرف الحياة ونعيم الآخرة .

أعاد الله هذه الذكرى على المسلمين وقد ردهم الى دينهم وآتاهم نصره المبين . وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم .

رئيس التحرير

حسن فناع



الآيتـــان ٤٥ و٤٦ مِــن

يقول قرآن ربنا العظيم .. بنصه الحكيم :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

« **يا أيها النبيُ إنّا أرسلناكَ شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً الى اللّهِ بإذْنِهِ وَسِراجاً منيراً** »

صدق الله العظيم

٤٥ و٤٦ سورة الأحزاب

والشاهد ... هو من شاهد شيئا فشهد به .. وهو من يؤيد حقا ويؤكد صدقا فيشهد له .. ويستنكر باطلا .. ويرفض ضلالا .. فيشهد عليه .. وقد تكرر ذكر نبينـا المصطفى سيدنـا محمد بن عبد الله الصادق الأمين عليه وعلى مَنْ سبقــه مِنَ الأنبياء والمرسلين الصلاة والسلام من ربِّ العالمين .. بصفته شاهدا وبهذا اللفظ في آيات ثلاث شريفة كريمة هي :

« **يا أيّها النّبيُّ إنّا أرسَلْناكَ شاهداً وَمُبشّـراً وَنَـذيـراً** » ٤٥ ســورة الأحزاب .

« **إنّـا أرسَلْنَاكَ شَـاهِداً وَمُبَشّـراً**



سورة الأحزاب

للأستاذ / عبد الرزاق نوفل

وَنَذِيْراً » ٨ سورة الفتح .

« **إِنَّا أَرسَلْنا إِلَيْكُم رَسولاً شاهداً عَلَيْكُم** » ١٥ سورة المزمل .

والمتدبر لهايجد أن بالآيتين الأولبين جاء اللفظ عاما ومطلقا ليشمل كل أنواع وأهداف الشهادة .. بينما في الآية الثالثة جاء على أنه شاهد على الكفار والعصاة .. اصرارهم على كفرهم واستمرارهم في عصيانهم ، رغم نزول القرآن لهم مع غيرهم .. كما أرسل الله لقوم فرعون وكانوا كفارا وعصاة رسولا لهم .. بنص الآية الشريفة الكاملة :

« **إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً** » ١٥ سورة المزمل .

بل انه صلى الله عليه وسلم سيكون شاهدا على كل من كفروا وعصوا أنبياء الله لهم،بعد أن يشهد على كل

قوم نبيهم ورسولهم،فهو صلى الله عليه وسلم الشهيد على كل هؤلاء وذلك بالنص الشريف :

« فكيف إذا جئنا مِنْ كل امةٍ بشهيدٍ وجئنا بكَ على هَؤلاءِ شهيداً » ٤١ سورة النساء .

وتتكرر هذه الحقيقة بالنص الكريم :

« ويومَ نبْعَثُ في كلّ أمةٍ شهيداً عَليْهمْ مِنْ انْفُسِهِمْ وجِئْنا بكَ شهيدا على هؤلاءِ » ٨٩ سورة النحل .

ولقد أثبت العلم أن الصوت .. كل صوت .. وأي صوت انما هو اهتزاز في الهواء أحدث ذبذبات يتكون منها ويسمع بها .. وأن هذه الذبذبات أي الأصوات .. لا تتبدد ولا تفنى .. وأنها باقية في الكون ما بقى محفوظة فيه فلا تنمحي .. ولذلك فانه على أساس هذه الحقيقة العلمية نسمع من يتحدث من أي جهة في العالم مهما كان بعده عنبا عن طريق الراديو اذ يلتقط عنا هذه الأصوات الموجودة دائما وأبدا في أي زمان .. ومن أي مكان .. اذ يكفي أن تدير الجهاز وقد يكون تحت غطائك وقد أحكمت إغلاق النوافذ والأبواب فتسمع من كل بلد قصي وبعيد أو بالجوار القريب .. صوت المتحدث الفوري كأنه أمامك أو بجوارك، ويبحث العلماء حاليا في كدّ وجدّ واجتهاد محاولات التقاط أصوات الأمس، واذا وفقهم الله .. فانهم يعودون الى بحث ما هو أبعد الى أيام الرسل والأنبياء .. وعن طريق كلمة من بين الأصوات نعرف أنها صوت النبي فيتجهون اليها بالقياس والرصد والتسجيل حتى يمكنهم التقاط كل ما قاله النبي في حياته .. وسيكون ذلك نصرا عظيما .. وفتحا مبينا .. اذ سيعرف الناس أن كل نبي أو رسول انما بشّر قومه بالنبي الخاتم والرسول الآخر .. وأنه صلى الله عليه وسلم قال حقا .. كل الحق — ونطق صدقا .. كل الصدق .. وهكذا فان كل قول ينطق به الانسان انما يسطر في الوجود كما هو .. بحرفه ونصه .. ودرجته ، صدق قرآن ربنا العظيم وهو يسبق العلم فيقول في نصه الحكيم :

« ما يلفظ من قولٍ إلا لَدَيْهِ رقيبٌ عتيدٌ » ١٨ سورة ق .

وأما الصورة فانها ومضات ضوئية تسجل الى الأبد وتبقى هي الأخرى في الكون لا تغيير فيها.. ولا ازالة لها .. ولقد تمكن العلماء أخيرا من تصوير أحداث وحوادث بعد وقوعها ببضع ساعات .. أما ما يبحثونه حاليا فهو امكانية توغلهم بأجهزتهم التصويرية التسجيلية في الزمان .. لتصوير ما كان من الأقوام وأنبيائهم ، والرسل وأتباعهم .

ولذلك فان كل قول من الانسان ، وكل عمل له ، انما سيراه ويسمعه بنفسه لانه محفوظ ولو أنه مستور .. الى يوم البعث والنشور صدق قرآن ربنا العظيم الذي يسبق العلم في ذلك بقوله الحكيم :

« وكل إنسانٍ الزمناهُ طائِرَهُ في عُنقهِ ونُخرجُ لهُ يومَ القيامةِ كتاباً يلقاهُ منشوراً . اقرأ كتابكَ كفى بنفسكَ اليومَ عليكَ حسيباً » . ١٣ ـ ١٤ سورة الاسراء .

لقد أوضح العلم لنا بعض الجوانب المشرقة من قول قرآن ربنا الكريم بنصه العظيم :

« وَوُضِعَ الكتابُ فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولونَ يا ويلتنا مالِ هذا الكتاب لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلمُ ربك أحداً » ٤٩ سورة الكهف .

اذ تقرر الآية الكريمة أن الفعل نفسه سيكون معروضا لا بصورته ولكن بحقيقته .. أي أن الانسان سيقوم بكل سابق عمله أمام الخلق أجمعين وأمام رب العالمين . والناس شهود عليه .. وأن كان لكل انسان شأن يغنيه .. وأمر يلهيه .. فإن رسول الله .. الذي أرسله الله للناس جميعا .. لا بدّ سيكون الشاهد .. الذي يشهد لهم .. أو يشهد عليهم ، ويشهد ما كان عليه كل مسلم من قومه .. أمام الملائكة المختارين .. وفي حضرة الله سبحانه وتعالى مالك يوم الدين .. لذلك ما أعظم وأجمل ما يجب أن ندعو الله به .. مما عَلّمَنا الله وأنزله لنا في النص الكريم :

« رَبّنا وَآتنا ما وَعَدْتَنا على رُسُلِكَ وَلاتخزنا يَومَ القِيامَةِ إنّكَ لا تُخْلِفُ الميعادَ » ١٩٤ سورة آل عمران .

وما أكرم وأفضل ما وعد الله سبحانه وتعالى : نبيه صلى الله عليه وسلم ومن آمنوا معه . بما جاء في النص الشريف :

« يومَ لا يخزِي اللهُ النبيَّ والذين آمنوا معَهُ » ٨ سورة التحريم .

وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست قاصرة على الآخرة .. بل انها في الدنيا قبل الآخرة ، فلقد أطلقت الآيات لفظ الشاهد ليكون عاما ، فيشمل الدنيا والآخرة كما أن النص قد أورد مع الشاهد لفظ البشير والنذير ، وهما يختصان بالحياة الدنيا حيث أن الفرصة متاحة للإنسان أن يستزيد من العمل الصالح ، وأن ينتهي عن عمل السوء والضلال .. ولقد بَشّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس اذا التزموا بما يجعلهم من المؤمنين ، وأنذرهم اذا عصوا بما يجعلهم من الكافرين .. بشرهم وأنذرهم بما تلاه عليهم من آيات قرآن ربه العظيم بوحيه الكريم وبنصه الحكيم .. ولا زال وسيظل بين أيدي الناس في كل زمان .. وكل مكان .. وحتى قيام الساعة قرآن رَبّهم المجيد ... يستمعون منه ويعلمون عنه ما هو بشير .. وما هو نذير .. فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الشاهد والبشير والنذير .. في الدنيا ... علاوة على أنه الشاهد في الآخرة .

ولما كان الشاهد هو من يؤيد الحق ويؤكد الصدق .. وهو الآية والبيان والدليل والبرهان .. فان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. هو الشاهد من الأنبياء والرسل . بل هو الشاهد الوحيد والثبت الأكيد .. وهذا حق واقع .. وصدق قاطع .. فإن الملاحدة والماديين وهم يرفضون الدين

أي دين وكل دين .. يشككون في وجود الأنبياء والمرسلين .. فيتساءلون ما الدليل على وجود سيدنا موسى .. أو وجود سيدنا عيسى في زمانه وبين قومه وفي مكانه وليس لأي منهما بل ولا ممن قبلهما .. قبر يمكن السير اليه .. ولا أثر معلوم يمكن الاعتماد عليه .. فلا حديث عن قبر يضم رفات سيدنا موسى على سبيل التأكيد وأما سيدنا عيسى فإن قبره وجد خاليا لا أثرله فيه وكل ما قيل عن ذلك أنكره حتى بعض اتباعه كما يقول المؤرخ العالمي .. هـ .ج . ويلز في موسوعته « معالم تاريخ الانسانية » تحت عنوان « صلب يسوع الناصري » ما نصه : « ولم يكن بُدٌّ من أن يحاول بسطاء المؤمنين أن يهولوا في عنف الذعر من هذه المأساة بأقاصيص سخيفة عن اضطرابات أَلَمَّتْ بالطبيعة تشابه تلك التي اختلقت لتوكيد اهتداء جوتاما الى الطريق السوي، فإنهم يخبروننا أن ظلمة عظيمة قد غشيت الأرض وأن ستار الهيكل قد انشق شطرين .. ومن العسير علينا في هذه الأيام أن نُصدّق أن نظم الطبيعة قد سمحت لنفسها بالانغماس في مثل هذه التعليقات الجوفاء ، وقد غمرت أرواح التلاميذ زمانا مع ظلمات دامسة .. ثم ما لبثوا أن دبَّ بينهم تهامس ثم أقاصيص متناقضة أو تكاد بأن جسم يسوع ليس في القبر الذي وضع فيه وأن واحدا منهم ثم آخر قد رآه حيا وسرعان ما أخذوا يعزّون أنفسهم بالاعتقاد في أنه قد بعث من بين أهل القبور » .

أما محمد صلى الله عليه وسلم .. فوجوده مؤكد .. وأمره مؤيد، فبيته حيث ولد معروف، وطريقه حيث سار مألوف .. وكل ما قاله مكتوب منشور .. وكل ما فعله مُدَوَّن، مسطور، وقبره حيث دُفِنَ تشد الرحال اليه، وما تركه من قرآن هو وحي الله له، اصلا يُعتمد عليه ويُرجع اليه، دائما وأبداء فهو بكل المقاييس ومن كافة نواحي الابحاث معجزة بل معجزات، تفوق العدَّ والحصر .. لكل جيل .. ولكل زمان .. ولكل انسان في أي مكان وعلى أي مستوى من الثقافة أو المعرفة أو السن أيّاً كان .. فهو معجزة دائمة دائبة لا نهاية لها ولا إحاطة بها .. لذلك فإن شهادته .. وشهادة ما جاء به هي الدليل الذي لا يبارى .. والبرهان الذي لا يجارى .. فما يقوله ويشهد به هو الحق الكامل .. والصدق الشامل .. فيقول عن سيدنا موسى عليه السلام :

« واذكرْ في الكتابِ موسى إنَّهُ كانَ مُخلَصاً وكان رسولاً نبياً . وناديناهُ مِنْ جانبِ الطورِ الأيمَنِ وقَرَّبناهُ نجيّاً . ووهبنا لَهُ مِن رحمتِنا أخاهُ هارونَ نبيّاً » ٥١ ـ٥٣ سورة مريم . ويذكر اسمه في القرآن الكريم ١٣٦ مرة .

ويقول عن سيدنا عيسى عليه السلام : **« إنَّما المسيحُ عيسى ابن مريم رسولُ اللّهِ وكَلِمَتُهُ القاها إلى مَريَمَ وروحٌ منهُ »** ١٧١ سورة النساء .

ويذكر اسمه ٣٦ مرة منها المسيح ١١ مرة .

بل ان اليهود عندما حَرّفوا التوراة وهو الكتاب الذي أوحى الله به لسيدنا موسى عليه السلام أضافوا اليها .. وحذفوا منها .. وبدّلوا فيها .. فلقد هاجم الملاحدة الأنبياء بما تذكره عنهم النسخ المتداولة حاليا ومنها ما جاء في الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين ونصه :

« وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه لنحيى من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها » الى أن تقول « فحبلت ابنتا لوط من أبيهما » .

وفي الاصحاح التاسع من سفر التكوين نجد النص :

« وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه »

وفي الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين نجد النص :

« ونظرها يهوذا وحسبها زانية . لأنها كانت قد غطت وجهها . فمال اليها على الطريق وقال هاتي ادخل عليك لأنه لم يعلم انها كنته » .

فهل يمكن ان يزني الأنبياء ويشربوا الخمر ويأتوا المنكر ثم يدعون أقوامهم الى اجتنابها؟ وكيف يستقيم الأمر وهم يدعون الى الخير ويقترفون الشر؟؟ لقد شهد محمد صلى الله عليه وسلم بما قاله من قرآن رَبّهِ الذي أوحاه إليه لهؤلاء الأنبياء شهادة الحق والصدق والعدل في مثل القول العظيم من النص الكريم عن لوط عليه السلام :

« **ولوطاً آتيناهُ حُكْماً وعلماً ونجّيناهُ منَ القريةِ التي كانتْ تعملُ الخبائثَ إنهم كانوا قومَ سَوْءٍ فاسقينَ . وادخلناهُ في رحمتِنا إنهُ منَ الصالحين** » . « ٧٤ و ٧٥ سورة الانبياء »

وعن نوح عليه السلام يقول قرآن رَبّنا الكريم :

« **سلامٌ على نوحٍ في العالمينَ . إنّا كذلكَ نَجزي المحسنينَ . إنهُ مِنْ عِبادِنا المؤمنين** » « ٧٩ ـ ٨١ سورة الصافات »

ومن المتناقضات الموجودة في النسخ المتداولة من التوراة ما جاء في الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج :

« ويكلم الربّ موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه »

وفي نفس السفر ونفس الإصحاح نجد النص :

« وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الانسان لا يراني ويعيش »

ومما جاء فيها مما لا يجوز ونستغفر الله بعد قراءته أن يأمر الله جل شأنه سيدنا موسى أن يطلب من قومه أن يسلبوا المصريين بنص الإصحاح الثالث من سفر الخروج ونصه :

« فيكون حينما تمضون انكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين» .

وأن سيدنا موسى كان أكثر حلما من الله سبحانه وأن الله قد ندم على الشر الذي أراده لعباده وذلك بنص ما جاء في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج وهو :

« وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب واذا هو شعب صلب الرقبة . فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وافنيهم » .

الى أن تقول إن موسى قال :

« ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك . اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء واعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها الى الابد . فندم الرب على الشر الذي قال انه يفعله بشعبه » .

أما الانجيل وهو الكتاب الذي أوحاه الله لسيدنا عيسى عليه السلام فَقَدْ فُقِد وذلك باعتراف المسيحيين أنفسهم وهذا حق .. وواقع، فأين انجيل عيسى ؟؟ إن ما هو متداول أناجيل كتبها من هو مسند الانجيل لاسمه، وقد كتب أولها وهو انجيل مرقس بعد ٧٠ سنة من ميلاد المسيح حتى انجيل يوحنا الذي أخرج سنة ١١٠ ويقول الفونس رينيه في كتابه «محمد رسول الله » .

« إنه لا شك في أن الله قد أوحى الانجيل الى عيسى بلغته ولغة قومه ولا شك ايضا ان هذا الانجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر،أو أنه باد أو أبيد فلهذا قد جعلوا مكانه تواليفات اربعا مشكوكا في صحتها وفي نسبتها التاريخية كما أنها مكتوبة باللغة اليونانية وهي لغة لا تتفق طبيعتها مع لغة عيسى الأصلية التي هي لغة سامية،إن في الاناجيل ما يتنافى مع الصورة المثلى للانسان الكامل فضلا عن الصورة التي تريد المسيحية أن توحي بها .

ويقول الدكتور موريس بوكاي في كتابه «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة » « إن المتناقضات الصارخة بين الاناجيل والأمور غير المعقولة وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث والتحريفات المتوالية للنصوص كل هذا يجعل الاناجيل تحتوي على إصحاحات وفقرات تنبع من الخيال الانساني وحده ، لكن هذه العيوب لا تضع في موضع الشك وجود رسالة المسيح فالشكوك تخيم فقط على الكيفية التي جرت بها » .

وجاء إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أوحاه الله سبحانه وتعالى اليه..شاهدا للتوراة والانجيل مبينا فيه كل ما جاء فيهما من حق وعدل وصدق وذلك بمثل النص الشريف :

« نَزَّلَ عَلَيكَ الكتابَ بالحقِ مصدِّقاً لما بَيْنَ يدَيْهِ وأنزَلَ التوراةَ والإنجيلَ » ٣ سورة آل عمران .

نزل القرآن الكريم بما نزلت به

الكتب السابقة عليه يبيّن ما فيها .. ويهيمن على ما بها .. وذلك بالنص الشريف :

« **وانـزلْنا إليـكَ الكتابَ بـالحق مصدّقاً لما بينَ يديهِ مِنَ الكتابِ ومهيمناً عليهِ** » ٤٨ سورة المائدة .

هكذا يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ليؤيد الحق ويؤكد الصدق .. فهو الشاهد والدليل على النبوات السابقـة .. وعلى الـرسل السابقين .

وهو البشير .. والمبشر .. فعلاوة على لفظ المبشر .. فقد جاء أنه البشير بمثل النص الكريم :

« **وما أرسلناكَ إلا كـافةً للنـاسِ بشيراً ونذيراً** » سورة سبأ .

أما ما يبشر به، فهو بمثل النص الحكيم :

« **وَبَشّرِ المؤمنينَ بانَّ لَهُمْ مِنَ اللّهِ فضلاً كبيراً** » ٤٧ سورة الأحزاب .

وهو النذير، بمثل النص الشريف :

« **قُلْ يا أيّها النّاسُ إنما أنا لَكُمْ نذيرٌ مبينٌ** » ٤٩ سورة الحج .

وهو المنذر، بمثل القول الكريم :

« **إنما انتَ مُنذِرُ مَنْ يَخْشَاها** » ٤٥ سورة النازعات .

وان ما ينذر به، يشير الى بعضه النص الشريف :

« **فانذرتُكُمْ ناراً تَلظّى . لا يَصْلاها إلاّ الأشْقى** » ١٤ و١٥ سورة الليل .

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يدع الناس الى عبادة الله وتوحيده وتسليم أمرهم اليه .. والتوكل عليه .. الا بعد أن أمره الله بذلك فيما أنزله من وحي عظيم في قرآن كريم، وذلك بالنص الشريف :

« **ولا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آياتِ اللّهِ بَعْدَ إذْ أُنزِلَتْ إليكَ وادعُ الى رَبّكَ ولا تكونَنَّ مِنَ المشركينَ** » ٨٧ سورة القصص .

فهو الداعي الى اللـه .. بأمـره .. وإذنه .. وبفضله وعونه .

وما يدعو اليه صلى الله عليه وسلم من الإيمان بالله وتوحيده وعبادته والتسليم له .. والاعتماد عليه هو ما يحقق للانسان في حيـاتيه الـدنيا والآخرة السلامة .. والوقاية والشفاء كما تفعل الشمس بالانسان في حياته الدنيا اذ لا حياة له بدونها .. وكذلك يحقق له الهداية والأمن والأمان في الدنيا والآخرة كما يحقق له نور القمر في ليالي حياته الدنيا، الطمأنينة وكشف الطريق والراحة وهدوء البال .

وفي كل آيات قرآن ربنا العظيم التي أوردت السراج لم تطلقه إلا على الشمس، بمثل النص الكريم :

« **وَجَعَلَ فيها سِراجاً وقَمَراً مُنِيراً** » ٦١ سورة الفرقان .

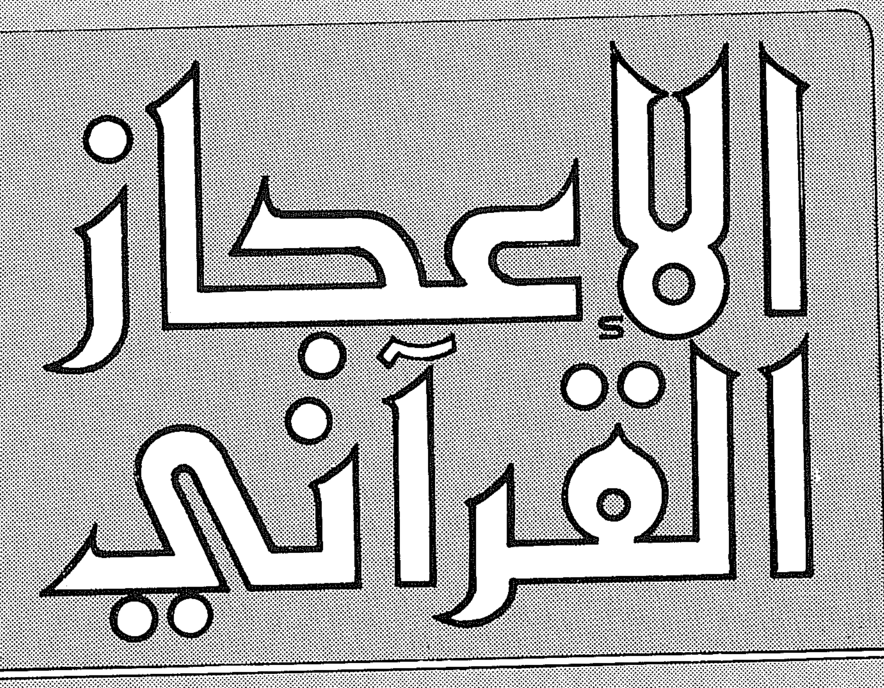
وذلك النص الشريف :

« **وَجَعَلَ القمرَ فيهنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشمسَ سِراجاً** » ١٦ سورة نوح .

وتفصل بينها كما يتبين وبين نور القمر .

ولكن عندما ذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرته جامعا بين سراج الشمس ونور القمر .. صلى الله عليه وسلم .

« **إنَّ اللّهَ وملائِكَتَهُ يُصلّونَ على النّبيِّ يا ايُها الذينَ آمنوا صَلّوا عَلَيْهِ وسَلِّموا تَسْلِيما** » ٥٦ سورة الأحزاب .



(القرآن) : (آيات منزلة من حول العرش ، فالأرض بها سماء هي منها كواكب . بل الجند الالهي قد نشر له من الفضيلة علم وانضوت اليه من الأرواح مواكب أغلقت دونه القلوب فاقتحم أقفالها . وامتنعت عليه « أعراف » الضمائر فابتز « انفالها » . وكم صدوا عن سبيله صدا . ومن ذا يدافع السيل اذا هدر ؟ واعترضوه بالألسنة ردًا . ولعمري من يردّ على الله القدر ؟) ...

(ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة . وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة ، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها . وتصف الآخرة فمنها جنّتها وضرامها ، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب . وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب) ...

(ومعان بينات هي عذوبة ترويك من ماء البيان ، ورقّة تستروح منها نسيم الجنان ، ونور تبصر به في مرآة الايمان وجه الأمان) ...

(يقولون مجنون بعض الهتنا اعتراه ، وأساطير الأولين اكتتبها أم يقولون افتراه ، بل إن العقل الكبير في كماله ليتمثل في العقول الصغيرة كأنه جنون . وإن النجم المنير فوق هلاله ليظهر في العيون القصيرة كأنه نقطة فوق نون) ...

(لا جرم أن القرآن سرّ السماء فهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول . ومعنى الخلود في دولة الأرض الى أن تدول ، وكذلك تمادى العرب في طغيانهم يعمهون ، وظلت آياته تلقف



للدكتور / محمد أحمد العزب

ما يأفكون ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يـعملـون) ... بهـذه الكلمـات ـ اللوحات ، قدّم الرافعي لكتابه الجليل (إعجاز القرآن) ومع كل ما في الكتاب من عطاء علمي موضوعيّ محيط ، فإن هذا الحسّ الشعري في تناول القضايا القرآنية لا يتخلف على الاطلاق ، وهذا بعينه هو ما يعطي هذا الكتاب مذاقه الخاص الذي ينفرد به بين كتب الاعجاز في القديم والحديث .

والمتأمل لكتاب الرافعي : (إعجاز القرآن) يلاحظ أنه يدير الحديث حول قضايا الاعجاز من وجهتين معا :

الاعجاز المجالي : الذي يتجسد في أثر القـرآن الكريم في تهـذيب الروح العربية ، وآداب القرآن الخاصـة والعامة ، وأثره في صنع حضـارة إنسانية من خلال العرب ، وتوجّهه وتوجيهه في مجالات الكون والانسان والعلم ...

والاعجاز الموضوعي : الذي يتجسد في أسلـوبه ، وتـأليفه ، وأوضـاع التركيب فيه . وطرائق بلاغتـه ... وهـذا هو المعنى البـاده للاعجـاز القرآني من حيث هو مواجهة إبداعية معجزة لكل ما عرف العرب من الوان الابداع والبلاغات ... واذا شئنا أن نجمل خصائص الاعجاز المجالي ـ كما تحدث عنه الرافعي ـ لنفرغ لتأمل الاعجاز الموضوعي ، فربما لا نكون مجانبين للصواب إذا قلنا إن الرافعي تحدث عن هذا الاعجاز من حيث أثره في وحـدة العرب السيـاسية ، وفي تهذيب الروح العربية ، وفي إقامة أمّة على أنقاض أمة ، وفي تأصيل لغة

واحدة جامعة ... وتحدث عنه كذلك من حيث آدابه الفاعلة في العادة والطبيعة . وفي الفرد والجماعة ، وفي الحرية والمسئولية ، وفي الشريعة والآداب ، وفي القوة الاجتماعية ، وفي وضع العرب في قلب تاريخ الحضارة ، وفي تربية العقل والخلق ، وفي وضع أصول الأخلاق الاجتماعية ، وترسيخ المساواة والارادة ... وتحدث عنه كذلك من حيث أثره في العلوم ، نعني في النهضة الاسلامية الشاملة ، وفي عموم الدعوة الى العلم ، وفي تشييد أساس التاريخ العلمي ، وفي نشأة عديد من العلوم من حوله : كالقراءات . والنحو ، والتفسير ، والتوحيد ، وأصول الفقه ، والفقه ، والتاريخ ، والقصص ، والوعظ ، والخطابة ، والفرائض ، والفلك ، والبلاغة ، الى غير أولئك من تحريض لا ينتهي على كشف سرائر الكون ، وتفجير طاقاته بلا حدود !!

وينتقل الرافعي من حديثه عن الاعجاز المجاليّ الى حديثه الأساسي عن الاعجاز الموضوعي ، أي عن الاعجاز الذي ينبعث من قيم ذاتية كامنة في القرآن الكريم ، كأسلوبه ، ونظمه ، وتأليفه ، وأوضاع تركيبه ، الى آخر ما هناك من قيم تعبيرية وتركيبية لا تعرف الا لهذا النسق القرآني الذي أخرس الألسنة المتطاولة ، وشل العقول المثرثرة ، وأجبل الطبائع التي كانت تزعم أن الكون مملكتها تجول في أنحائه باقتدارها الموهوب بلا حدود . وبدءاً يصنّف الرافعي الاعجاز ، فهو في رأيه شيئان : (**ضعف القدرة الانسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الانسان واتصال عنايته .. ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه**) .. أي إن الاعجاز القرآني في مواجهة العجز الانساني ليس أسير لحظة أو مرحلة أو تاريخ ، وإنما هو شيء محتوم دائماً . لأنه جزء من النظام الكوني الذي يندفع من خلاله الأزل في اتجاه الأبد على نسق متواتر لا يقبل الاهتزاز .

ثم يرسم الرافعي خطوط منهجه في هذه الدراسة الرائعة فيقول : (ونحن الآن قائلون فيما هو الاعجاز عند علمائنا رحمهم الله ، وما وضعوه فيه من الكتب ، ثم ما هي حقيقته عندنا ، ثم نبسط الكلام فضلاً من البسط في إعجاز القرآن بأسلوبه وبيانه مما يماس اللغة ويستطرق إليها ، نستتم بذلك القول فيما انتهى إليه جهدنا من قليل ما استطفّ لنا من أسراره العجيبة ، وإن قليلها لكثير على الانسان بالغة ما بلغت قوّته) ... وهو تخطيط منهجي ملتزم بأصولية التفكير العلمي ، لأنه يبدأ باضاءة المساحة التي تحرك فوقها السابقون ، ثم يتوفر بعد ذلك على بذل طاقاته الممكنة في هذا الاتجاه ، حاصراً نفسه في جانب من جوانب البحث وهو ما يتصل ببيان القرآن ولغته وأسلوبه ، مقرراً أنه لن يقول الكلمة الأخيرة ، ولا الكلمة الجامعة المانعة ، وإنما قصاراه أنه سيقول الكلمة الممكنة . وإنها ـ في هذا المجال ـ لكثيرة على الجهد الانساني مهما بلغ من تضاؤلها ... هنا يتحدد

مسار البحث والباحث . ويشرق الاحساس باستمرارية الجهود المبذولة على هذا الصعيد دون تنكر من الخالف للسالف ، وتتضح قيمة التواضع العلمي الذي يقف طاقاته أمام ما تستطيع من إمكان وليس أمام ما لا تستطيعه من غير الممكن .

وحين يتعرض الرافعي للأقوال في الاعجاز لا يهمل تصنيفها وإسقاط أبعاضها والابقاء على أبعاض منها كثيرة ، فهو يبدأ برفض أكثر آراء المتكلمين وأشباههم من المناطقة والفلاسفة ، لأن معظم هذه الآراء لا تتحدد قيمتها النهائية بقوتها هي وإنما بضعف الاراء النقيضة ، وإن كانت هي في ذاتها خطأ وفسادا وجهلاً ... وهو يرفض كذلك القول بخلق القرآن .

الذي يعزي الى لبيد بن الاعصم اليهودي . ثم الى ابن اخته طالوت ، ثم إلى البنانية التي ترى الهية عليّ . ثم إلى الجعد بن درهم الذي صرح بالانكار على القرآن والرد عليه وجحد أشياء مما فيه ، وأضاف الى القول لخلقه ان فصاحته غير معجزة ... ثم يرفض الرافعي اتجاه المعتزلة الذين حاولوا لونا من المزج بين الفلسفة كنظر صرف . وبين الدين كيقين محض ... وخاضوا الى غايتهم تلك بحارا من التهويمات والتأويلات والتخليطات غير المعقلة وهم الذين زعموا ان العقل رايتهم التي يقاتلون تحتها جيوش التخليط والتلفيق ... وكان اول طلائع المعتزلة النظام الذي قال بالصرفة من جهة ، وبأن الاعجاز انما كان من حيث الاخبار بالماضي والآتي من جهة اخرى ... ويسفه الرافعي الاتجاه الى القول بالصرفة لان من سلب القدرة على شيء بانصراف وهمه عنه ، وهو بعد قادر عليه ، يكون عجزه ليس عن عدم القدرة ولكن اعجزه القدر وهو لا يغالب .... ثم ينتقل الرافعي الى ايراد رأي الجاحظ في الاعجاز ، وهو رأي كرأي اهل العربية ، الا ما ند عنه تخليطا أو تأثرا غير مقصود بأستاذه النظام من كلام يوحى بالقول بالصرفة ... ويشير الرافعي الى رأي بعض الفرق التي ترى الاعجاز في النظم المتفرد مقاطع وفواصل ، اي فكأنه بدع من ترتيب الكلام لا اكثر ... والى رأي من يقول : ان الاعجاز في سلامة الالفاظ القرآنية مما يشين اللفظ كالتعقيد والاستكراه ونحوهما مما عرفه علماء البيان ... ثم يعقب قائلا : (وهو رأى سخيف يدل على ان القائلين به لم يلابسوا صناعة المعاني) ... ويقول : (وآخرون يقولون : بل ذلك في خلوه من التناقض واشتماله على المعاني الدقيقة) ...(وجماعة يذهبون الى ان الاعجاز مجتمع من بعض الوجوه التي ذكرناها قلة وكثرة) .... وأذا كانت هذه الآراء التي رصدها الرافعي على هذا النحو ضعيفة في الدلالة على صميم الاعجاز حتى من بعض وجوهها

على الاقل ، فان هناك آراء بقيت على جلالها واستطراد بعضها من بعض.... يقول الرافعي : (أما الرأي المشهور في الاعجاز البياني الذي ذهب اليه عبد القاهر الجرجاني صاحب (دلائل الاعجاز المتوفى سنة ٤٧١ (وقيل ٤٧٤) فكثير من المتوسمين بالأدب يظنون أنه أول من صنف فيه ، ووضع من اجله كتابه المعروف وذلك وهم ، فان اول من جود الكلام في هذا المذهب ، وصنف فيه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفي سنة ٣٠٦ ، ثم ابو عيسى الرماني المتوفي سنة ٣٨٢ ، ثم عبد القاهر ، وهذا الرأي كان هو السبب في وضع علم البيان) ... (ومذهب اخر لطائفة من المتأخرين : وهو ان وجه الاعجاز ما تضمنه القرآن من المزايا الظاهرة والبدائع الرائقة في الفواتح والمقاصد والخواتيم في كل سورة وفي مبادىء الآيات وفواصلها قالوا : والمعول على ثلاث خواص : ١ ـ الفصاحة في الفاظه كأنها السلسال ،

٢ ـ البلاغة في المعاني بالاضافة الى مضرب كل مثل . ومساق كل قصة وخبر ، في الأوامر والنواهي ، وأنواع الوعيد ومحاسن المواعظ والأمثال ، وغيرها مما اشتمل عليه . فإنها مسوقة على ابلغ سياق .

٣ ـ صورة النظم ، فإن كل ما ذكره من هذه العلوم مسوق على آتم نظام وأحسنه وأكمله) ... ومحصل هذا المذهب ـ يقول الرافعي ان الاعجاز في القرآن كله ، لأن القرآن كله معجز ... وهو معجز لأنه معجز .... وواضح ان الرافعي هنا ينزع في تقريره للقضية المرادة منزعا عاطفيا ربما كان يحتاج الى كثير من التأمل الفكري النابع من نظر موضوعي إلى شتى المقولات والآراء ... . ثم يتصدى الرافعي لمقولات جماعة من المتكلمين وأهل التقسيمات المنطقية على اختلاف بينهم في مجمل شبههم ومطاعنهم التي يوردونها على القرآن الكريم ، وهي نحو عشرين وجها ـ يقول الرافعي ـ كلها سخيف ركيك ، وكلها واه مضطرب .... وكلها غث بارد ... هل جنح الرافعي عن العقل الى العاطفة ... لانه كان يرفض مقولات عقلية فاحشة ربما كان يكون أروع لو انه التزم موضوعية الحوار العلمي الهادىء الرصين مهما كانت فحاشة ما يتصدى له من مقولات !!

اما عن التأليف في الاعجاز فيسلسله الرافعي هكذا : الجاحظ ت ٢٥٥ ـ والواسطي ٣٠٦ ـ والرماني ٣٨٢ ـ والباقلاني ٤٠٣ ـ والخطابي ٣٨٨ ـ والرازي ٦٠٦ ـ وابن ابي الاصبع ٦٥٤ ـ والزملكاني ٧٢٧ . وتحت عنوان (حقيقة الاعجاز) ينتقل الرافعي الى تحديد وجه الاعجاز في القرآن الكريم كما يراه

فيقول : (القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الاعجاز على إطلاقه ، حين ينفي الامكان بالعجز عن غير الممكن فهو امر لا تبلغ منه الفطرة الانسانية مبلغا . وليس الى ذلك مأتى ولا جهة ، وإنما هو أثر كغيره من الآثار الالهية يشاركها في اعجاز الصنعة وهيئة الوضع ، وينفرد عنها بأن له مادة من الالفاظ كأنها مفرغة افراغا من ذوب تلك المواد كلها ، وما نظنه الا الصورة الروحية للانسان ، اذا كان الانسان في تركيبه هو الصورة الروحية للعالم كله) ... هنا يستحيل القرآن الى ظاهرة كونية وليس مجرد كتاب . ويحدد اتجاهه في بيان الاعجاز القرآني في نفسه من حيث هو كلام عربي فيقول : (وإنما مذهبنا بيان إعجازه في نفسه من حيث هو كلام عربي لاننا انما نكتب في هذه الجهة من تاريخ الأدب ، دون جهة التأويل والتفسير) ... أي أن الرافعي يحصر نفسه في مجال تأمل النص القرآني ... من حيث هو إبداع معجز من الوجهة الجمالية ، تاركا جوانب الظاهرة الأخرى لمن يريد أن يتوفر عليها ، ويحدد قيمها المضمونية الهائلة ... ويسترسل الرافعي في شرح الحالة اللغوية التي كان عليها العرب عندما نزل القرآن الكريم ، وهي حالة يصفها بأنها كانت ذروة الفصاحة العربية التي لم تعرف في تاريخهم من قبل حيث بلغ الشعر أوج اكتماله الفني واللغة غاية تنقيحها وتهذيبها وتحددها في نمط من القرشية يرونه مثالا لكمال الفطرة الممكن ان يكون .

وجاء القرآن الكريم . فكان من الاحكام والسمو بحيث تتعرف منه روح كل أمة فرعت الامم واستولت على الأمد التاريخي .... وجبه العرب في معتقداتهم الاجتماعية والدينية والسلوكية ... حتى أخرجهم منها إليه ، وهذا وجه إعجاز قرآني جديد كما يرى الرافعي ... أي أن الاعجاز هنا يتجسد في اخراج القرآن للعرب من تاريخية أرضية الى تاريخية قرآنية .

وحين ينتقل الى قضية (التحدي والمعارضة) يرى أن الطريقة التي سلكها القرآن الى ذلك هي : « ان التحدي كان مقصورا على طلب المعارضة بمثل القرآن ، ثم بعشر سور مثله مفتريات لا يلتزمون فيها الحكمة ولا الحقيقة ، وليس الا النظم والاسلوب ... ثم قرن التحدي بالتأنيب والتقريع ، ثم استفزهم بعد ذلك جملة واحدة ، فقال : **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)** البقرة ٢٣و٢٤ فقطع لهم انهم لن يفعلوا وهي كلمة يستحيل ان تكون الا من الله ولا

يقولها عربي في العرب ابدا » .. ويستعرض الرافعي كل من قيل انهم حاولوا معارضة القرآن الكريم وينقض مزاعمهم الواحدة تلو الاخرى ويثبت للقرآن قداسته وتفرده واعجازه الخارق ... ولهذه التخليطات - فوق ركاكتها المضمونية الهازلة - حرفية تقليدها الهازل ايضا للنمط القرآني العظيم .. وينتقل الرافعي إلى الحديث عن ، (أسلوب القرآن) .. ويمهد لذلك بالحديث عن المستوى البياني المذهل الذي وصل اليه العرب قبل نزول القرآن ... ثم يخوض في جدل رائع حول فرضيات عديدة ، تنتج في النهاية يقينا جازما بأن القرآن معجز بكل المقاييس : (فلما ورد عليهم اسلوب القرآن رأوا الفاظهم بأعيانها متساوقة فيما الفوه من طرق الخطاب والوان المنطق ليس في ذلك اعنات ولا معاياة غير انهم ورد عليهم من طرق نظمه ووجوه تركيبه ، ونسق حروفه في كلماتها ، وكلماته في جملها . ونسق هذه الجمل في جملته ، ما اذهلهم عن انفسهم ، من هيبة رائعة ، وروعة مخوفة ، وخوف تقشعر منه الجلود ، حتى احسوا بضعف الفطرة القوية ، وتخلف الملكة المستحكمة ، ورأى بلغاؤهم أنه جنس من الكلام غير ما هم فيه ، وأن هذا التركيب هو روح الفطرة اللغوية فيهم ، وأنه لا سبيل الى صرفه عن نفس أحد العرب . أو اعتراض مساغه الى هذه النفس ، إذ هو وجه الكمال اللغوي الذي عرف أرواحهم ، واطلع على قلوبهم) ... ومن هنا انقطع العرب عن معارضة القرآن الكريم مع تحديهم الى هذه المعارضة ان استطاعوا والاستطاعة هنا غير مشروطة بشروط خارقة . لان مفرداتها في أيديهم ، فالفاظ القرآن هي الفاظ حديثهم اليومي ، ولكن رصف هذه الألفاظ في هذا النسق التركيبي ، هو الذي اعجزهم بلا حدود ، لأنه جسد لهم من المفردات العادية كمالا لغويا اعجز العادة والاجتهاد جميعا .

ثم يتطرق الرافعي الى بعض ظواهر الاعجاز المتحدي في القرآن الكريم ، كظاهرة (التكرار) الذي يجيء في بعض آيات القرآن فتختلف طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة ، وهذا اروع في الأداء وأسرى في التوصيل ، وأبلغ في العبارة ... وظاهرة (القصد) في خطابه للعرب ، (والبسط) في خطابه لبنى اسرائيل لأن من سنن كلام العرب الاكتفاء باللمحة الدالة اما بنو اسرائيل فلم تكن لهم سليقة العرب ، ولهذا كان لا بد في خطابهم من التكرار والبسط والشرح .... على ان الكلام في عجز العرب عن معارضة السور القصيرة من القرآن - يقول الرافعي - لا يؤخذ من أن غير العرب المحدثين والمولدين وسائر من يكونون عربا في

اللسان دون الفطرة يستطيعون ما لم يأت لأولئك لأنهم أبعد من العرب في أسباب العجز وأدنى الى التقصير ، وأقرب إلى الهجنة اذا هم تعاطوه .... أما سبيل نظم القرآن في إعجازه فهو أنه معجز للأبد . بوجوه تركيبه ، وخصائص اساليبه ، ومباينته في كل أولئك لكل ما عرف من أساليب البلغاء في ترتيب خطابهم ، وتنزيل كلامهم ، فكله معجز خارق ... ليس ككلام البشر الذي يتردد بين الصعود والهبوط ويتبع تركيب المزاج الآدمي تهللا وانقباضا .

(من ذلك يخلص لنا أن القرآن الكريم انما ينفرد بأسلوبه لانه ليس وضعا انسانيا البتة ، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تشبه اسلوبا من أساليب العرب ، أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد) ولا من الاختلاف فيه عند ذلك بد في طريقته ونسقه ومعانيه : (**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**) النساء/٨٢ أما أن يكون وضعا الهيا ... فهو اذن شامل لكل تطورالعصور ، مع استوائه على وجه واحد يستجمع درجات الفهم ، كأن فيه غاية لكل عقل صحيح ، ولكنه في نفسه وأسرار تركيبه آخر ما يسمو إليه فهم الطبيعة نفسها .

وحين يتحدث الرافعي عن (نظم القرآن) واعجاز تأليفه ... يرد ذلك الى ثلاث جهات : الحروف وأصواتها .. والكلمات وحروفها .. والجمل وكلماتها ..

١ ـ فأما الحروف واصواتها :

فيتجسد اعجازها في الموسيقى اللغوية التي تحملها انسجاما ـ.. واطراد نسق .. واتزانا على أجزاء النفس مقطعًا مقطعًا ، ونبرة نبرة .. كأنها توقعه توقيعا ، ولا تتلوه تلاوة حتى ان من عارضه (كمسيلمة) حاول أن يوجد لمعارضاته نوعا من هذا الايقاع في تلفيقات زعم بها أنها قرآن كالقرآن .. (وحسبك بهذا اعتبارا في اعجاز النظم الموسيقي في القرآن ، وأنه مما لا يتعلق به أحد ولا ينفق على ذلك الوجه الذي هو فيه الا فيه ، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها ، ومناسبة بعض ذلك لبعض مناسبة طبيعية في الهمس والجهر ، والشدة والرخاوة ، والتفخيم والترقيق ، والتفشي والتكرير) ...

ولا يغيب (أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي ، وأن هذا الانفعال بطبيعته انما هو سبب في تنويع الصوت ، بما يخرجه فيه مدا أو غنة أو لينا أو شدة ، وبما يهيىء له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها) ...

(وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن الا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه

الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب) ...

وهذه طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة ،؛ وأثرها طبيعي في كل نفس ، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت اعجازه الذي يخاطب به كل نفس تفهمه ، وكل نفس لا تفهمه ...

على ان في القرآن سرا آخر يجعله لا يمل على كثرة الرد وطول التكرار ، وكلما أخذت فيه على وجهه الصحيح فلم تخل بأدائه رأيته غضا طريا وجديدا مونقا - كما يقول الرافعي : (هذا على انه ترسيل واتساق وتطويل ، لا يضبط بحركات وسكنات كأوزان الشعر فتجعل له بطبيعتها صفة من النظم الموسيقى ، ولا يخرج على مقاطع الكلمات التي تجري فيها الألحان وضروب النغم ، مما يسهل تأليفه ، ويكون أمره الى الصوت ... وطريقة تصريفه وتوقيعه ..) ...

٢ - واما الكلمات وحروفها :

فيرى الرافعي ان الكلمة في الحقيقة الوضعية انما هي صوت النفس .. (وصوت النفس أول الأصوات الثلاثة التي لا بد منها في تركيب النسق البليغ ، حتى يستجمع الكلام بها أسباب الاتصال بين الألفاظ ومعانيها ، وبين هذه المعاني وصورها النفسية) ...

والأصوات الثلاثة هي :

١ - صوت النفس ، وهو الصوت الموسيقى الذي يكون من تأليف النغم بالحروف ومخارجها وحركاتها ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقة متساوقة ، وعلى نضد متساو ، بحيث تكون الكلمة كأنها خطوة للمعنى في سبيله الى النفس ، ان وقف عندها هذا المعنى قطع به .

٢ - صوت العقل ، وهو الصوت المعنوي الذي يكون من لطائف التركيب في جملة الكلام ، ومن الوجوه البيانية التي يداور بها المعنى لا يخطىء طريق النفس من أي الجهات انتحى اليها .

٣ - صوت الحس ، وهو أبلغهن شأنا ، لا يكون الا من دقة التصور المعنوي والابداع في تلوين الخطاب ، ومجاذبة النفس مرة وموادعتها مرة ، واستيلائه على محضها بما يورد عليها من وجوه البيان ، أو يسوق اليها من طرائف المعاني يدعها من موافقته والايثار له كأنما هي التي تريده ، وكأنها هي التي تحاول أن يتصل أثرها بالكلام ، اذ يكون قد استحوذ عليها وانفرد منها بالهوى والاستجابة .

ولو تأملت هذا المعنى فضلا من التأمل وأحسنت في اعتباره على ذلك الوجه لرأيته روح الاعجاز في هذا القرآن الكريم .

ذلك بأن صوت النفس طبيعي في تركيب لغتهم ، وان كان فيها الى التفاوت كمالا ونقصا ، وصوت الفكر لا يعجزهم أن يستبينوه في كثر من كلام بلغائهم أما صوت الحس فقد خلت لغتهم من صريحه ، وانفرد به القرآن ، وقد كانوا يجدونه في أنفسهم منذ افتنوا في اللغة وأساليبها ولكنهم لا يجدون البيان به في ألسنتهم لأنه من الكمال اللغوي الذي تعاطوه ولم

يعطوه .... الى هنا يكون الرافعي قد بلغ بالقضية أوجها تماما .

وإذا كان كل تعبير بشري يتطرق اليه النقص والاضطراب من بعض جوانبه على الأقل ، فان هذا مثال يطرد في كل ما أنت واجده من البلاغة العربية : (فلا ترى شيئا منها يروعك ويملك عليك المذاهب من نفسك بالتئام أجزائه ورشاقة معرضه وحسن تصويره ، الا وقعت منه على ضرب من الاستعانة بالخيال الشعري أو العادة الثابتة أو العاطفة المطمئنة أو نحوها والقرآن لا يستعين بشيء من ذلك في إحكام عبارته والتأتي بها الى النفس وانتظام أسباب التأثير فيها وليس الا أن تقرأه حتى تحس من حروفه وأصواتها وحركاتها ومواقع كلماته وطريقة نظمها ومداورتها للمعنى بأنه كلام يخرج من نفسك وبأن هذه النفس قد ذهبت مع التلاوة أصواتا ، واستحال كل ما فيك من قوة الفكر والحس اليها ، وجرى فيها مجرى البيان فصرت كأنك على الحقيقة مطوي في لسانك) .

ويسترسل الرافعي ليؤكد عديدا من الأساسيات الصميمة في نظم القرآن الكريم واعجاز تأليفه : فليس في كلمات القرآن اسراف على النفس ولا حشو من زيادة وفضول واعتراض ولا نبو بين اللفظ والمعنى حتى صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة .. ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف انفسها فيما هي له من أمر الفصاحة ، فيهيىء بعضها لبعض ويساند بعضا ولن تجدها الا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقي .. وقد وردت في القرآن الكريم كلمات طويلة : **(ليستخلفنهم في الأرض)** النور/ ٥٥ فهي كلمة من عشرة أحرف ، ولكن عذوبتها تأتي من تنوع مخارج الحروف ومن نظم حركاتها فانها صارت بذلك في النطق كأنها أربع كلمات اذ تنطق على أربعة مقاطع .. وقوله تعالى كذلك : **(فسيكفيكهم الله)** البقرة/ ١٣٧ فانها من تسعة أحرف ، وهي ثلاثة مقاطع ، وقد تكررت فيها الياء والكاف ، وتوسط بين الكافين هذا المد الذي هو سر الفصاحة في الكلمة كلها .. ان الرافعي هنا يبدو ذا حساسية لغوية مرهفة ، كما يبدو على صلة حميمة بخصائص النص القرآني .

وكذلك في الكلمات الأسماء المعربة كابراهيم واسماعيل وطالوت وجالوت ونحوها ، فانها لا تجيء الا أن يتخللها المد فتخرج الكلمة وكأنها كلمتان ـ وهذا سداد لغوي .

وقد تجيء الكلمة غريبة لغرابة الفعل الذي تجسده : **(تلك اذن قسمة ضيزي)** فقد وردت في سياق قوله تعالى : **(ألكم الذكر وله الأنثى . تلك اذا قسمة ضيزي)** النجم/ ٢١و٢٢ فغرابة التقسيم جاءت بغرابة اللفظ على أنها توائم فواصل سورة النجم التي جاءت في سياقها . لأن الفاصلة في السورة يائية

تقتضي هذا الايقاع ...

كما أن هناك ظاهرة تستلفت الرافعي ، وهي مجيء كلمات قرآنية معينة على صيغة الجمع دائما : كالأرجاء والأكواب والألباب ... وكلمات أخرى تجيء على صيغة المفرد دائما : كالأرض .. وكلها تجيء هكذا لقصد تركيبي معجز تفجر من خلاله عديدا من مواطن الروعة والجمال .

٣ ـ واما الجمل وكلماتها :

فيقول الرافعي : (الجملة هي مظهر الكلام ، وهي الصورة النفسية للتأليف الطبيعي) ويترقى تركيب الكلام مستوى بعد مستوى ـ كما يرى ـ حتى يصل الى المستوى المعجز الذي كانه القرآن : (وانما اطرد ذلك للقرآن من جهة تركيبه الذي انتظم أسباب الاعجاز من الصوت في الحرف ، الى الحرف في الكلمة ، الى الكلمة في الجملة حتى يكون الأمر مقدرا على تركيب الحواس النفسية في الانسان تقديرا يطابق وضعها وقواها وتصرفها ، وذلك ايجاد خلقي لا قبل للناس به ، ولم يتهيأ الا في هذه العربية عن طريق المعجزة التي لا تكون معجزة حتى تخرق العادة ، وتفوت المألوف وتعجز الطوق) .. وهذا تدرج في الاستدلال من الجزئي الخاص الى الكلي الشمولي .

ومن البين ـ كما يقول الرافعي ـ أن أهم أسباب الارتقاء كائن في الغلبة والتميز والانفراد حيث وجبت ، وهذا هو المستوى الذي أحرزه القرآن الكريم وحده ، فأحدث به هذا الانقلاب التاريخي الفريد ، حضارة تاريخية وحضارة روحية معا .

كذلك يتميز النظم القرآني ـ كما يرى الرافعي ـ بما يمكن تسميته (روح التركيب) لأن اللغة التي نجدها في القرآن ليست لغة مغايرة للغة العادية ـ اذا نظرنا الى مفرداتها ـ ولكنها تصير شيئا معجزا في القرآن من الوجهة التركيبية ويبقى غيره من التركيب ركاكة بلا اعجاز .. ان البناء هنا هو جوهر التشكيل الجمالي في القرآن .

ويلاحظ الرافعي أن أية بلاغة تتعاطى الكلام في باب الشرع ، وتقرير النظر وتبيين الأحكام ونصب الأدلة ، واقامة الأصول ، والاحتجاج لها ، والرد على خلافها .. تجيء لامحالة بكلام نازل عن طبقة كلامها في غير هذه الأبواب .. أما في القرآن الكريم فالأمر غير ذلك على الاطلاق فهو يردد الكلام بين كل هذه الأغراض والمعاني ولا ينزل عن طبقة الاعجاز في كل أولئك .. وهذا سر آخر من أسرار اعجازه واكتنازه .. والحق أن الرافعي هنا قبض على قضية فنية صميمة وهي الاقتدار على تذويب الفكر في وهج الابداع دون تقريرية مباشرة وأيضا دون تخييل بلا مضمون .

وعن (غرابة أوضاعه التركيبية) يتحدث الرافعي حديثا حديا اذا شئنا أن نقول فهو يضع حدا فاصلا بين الابداع البشري والابداع القرآني من خلال وعيه العميق بآدمية ابداع والهية ابداع آخر ، وكل ما في القرآن الكريم من قيم تركيبية تؤكد هذا

الفارق الحدي وتجعله مستوى من الابداع لا يقارن بغيره من مستويات الابداع في كل الأجناس وكل العصور .. انه هنا يمتلك فرادة معجزة .

وتبدو غرابة أوضاعه التركيبية في ائتلاف الألفاظ والنظام والسرد وأن التراكيب فيه مباينة للتراكيب المألوفة لدى بلغاء العرب واننا في القرآن وحده نستطيع العثور على (معجم تركيبي) يشكل أصل فنون البلاغة : (من ههنا كانت دهشتهم له ، وكان عجبهم منه ، اذ رأوه يجري مجرى الفن مما لا يعرفون له فنا ، ووجدوه في ذلك ببلاغة البلغاء جميعا ، واستيقنوه فوق ما تسع الفطرة ، ثم صار من بعدهم يأخذ منه أصول هذا العلم عصرا بعد عصر ، وقبيلا بعد قبيل ، حتى استقرت البلاغة على قواعدها وهو مع ذلك بحيث كان ، لا الفطرة استوفت ما فيه ، ولا الصناعة .. ولا يزال بعد كأنه في نمط بلاغته سر محجب)

هذه أبرز ملامح الدراسة الرائدة في فكرنا العربي المعاصر التي حدد بها الرافعي رؤيته المسلمة لقضية الاعجاز القرآني بدأها بدراسة الاشعاع الحضاري الذي أحدثه القرآن الكريم في المحيط العربي والانساني وقد سمينا هذا الفعل التاريخي (بالاعجاز المجالي) أي بما أحدثه القرآن في المجال الحضاري والانساني من تحول شامل .. ثم عطف بالدراسة صوب تأمل الخصائص الذاتية في النص القرآني فدرس تاريخية القول بالاعجاز أولا ، ثم توفر على دراسة ما في القرآن من خصائص أسلوبية في نظمه ، وتأليفه ، وأوضاعه التركيبية وطرائقه البلاغية .. مترقيا في ذلك من الحديث عن المفردات الصغيرة للقضية الكلية ، ومنتهيا الى شمول الحديث عن القضية الكلية ذاتها ، بلا مفارقة فاقعة بين حديثه هنا وحديثه هناك .. فهو حين يتحدث ـ مثلا ـ عن نظم القرآن واعجاز تأليفه ، يتحدث عن ذلك من خلال تأمل المفردات المكونة لهذا الاطار الكلي فيتوقف عند خصائص (الحروف وأصواتها) و(الكلمات وحروفها) و(الجمل وكلماتها) .. وهذه بدورها هي جوهر (النظم والتأليف) ..

على أن الرافعي في دراسته يلون المضوعية بالذاتية كثيرا ، ربما لأن طبيعة القضية ذاتها تحتشد بعناصر الحس العقيدي، الذي يجعل الدارس يتعامل مع الأشياء بغير الحيادية المنشودة في الدراسة العلمية ، وهذه وضعية لا حيلة للرافعي ولا لغير الرافعي فيها .

ومع ذلك فقد لا نغامر اذا قلنا ان المنهجية الصارمة كانت سمة من سمات هذه الدراسة العميقة. بدءا من التدرج الطبيعي في تناول الظاهرة، وانتهاء الى تجسيد اطار عام يقف الاعجاز القرآني فيه كائنا متجاوب الانحاء والملامح .. مع بعض التجوز في الأسلوب الرافعي وأيضا في الحركة الفكرية ، فكل ريادة محكومة في النهاية بمثل هذه التجوزات !!!



معنى الدعوة :

(الدعوة : من الدعاء الى الشيء . بمعنى الحث على قصده . ومنه قوله تعالى :

(قال رب السجن أحب الى مما يدعونني إليه) يوسف / ٣٣

وقوله عز وجل :

(والله يدعو الى دار السلام) يونس / ٢٥

ومثلها الدعاية . وفي كتاب هرقل : أدعوك بدعاية الاسلام . اي : بدعوته .

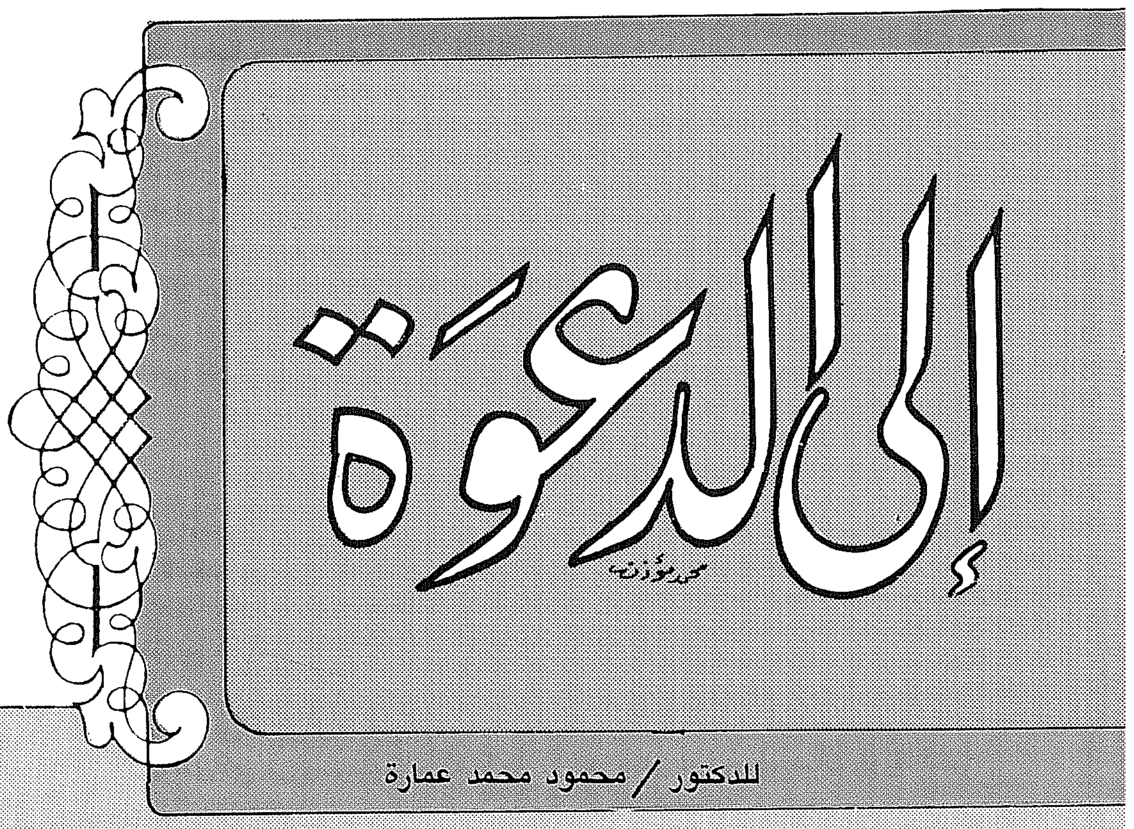
وهي في العرف :

حث الناس على الخير والهدى . والأمر بالمعروف . والنهي عن المنكر . ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل .

المراد بالدعوة :

ومن هذا التعريف يتضح المقصود بكلمة الدعوة عند اطلاقها .. وهو : الدعوة الى الله . قال صاحب القاموس :

(الرغبة الى الله)



للدكتور / محمود محمد عمارة

والرغبة الى الله تعالى . او الدعوة اليه تعني : الدعوة الى دينه وهو الاسلام :
(إن الدين عند الله الاسلام)

معنى الوعظ :

واذا كانت الدعوة في جوهرها : اقامة نظام الحياة ليتسق مع اصول الاسلام .. فان الوعظ هو :

استثارة المشاعر .. وترقيقها .. وحفز الهمم من مراقدها لتنشط .. وتنبعث عاملة بهذا الدين المدعو اليه .

انه عملية قلبية عاطفية .. تقوم بدورها الفعال .. حتى اذا عرضت حقائق الاسلام على العقل .. كانت اشواق القلب دافعا الى قبولها .. بل والدعوة اليها .

هل نحن في حاجة الى الدعوة ؟

وبصورة اوضح :

١ ـ فينا كتاب الله تعالى

٢ ـ وسنة نبيه المطهرة
٣ ـ وحوادث التاريخ بين ايدينا ومن خلفنا ..
٤ ـ وفينا ايضا واعظ الضمير في كياننا ..

فهل نحن مع هذا في حاجة الى دعوة ودعاة ؟ يقول أناس لا فائدة ! وربما وصل التشاؤم ببعض الناس حدا انكروا فيه ان يكون للوعظ قيمة .. لا من حيث توفر العوامل السابقة فقط .. بل لأن طبيعة الانسان لا امل معها في العودة الى الطريق المستقيم اذا هي حادت عنه .. يعني : لا أمل في الاصلاح .. وقد يأخذ الأمر شكل مؤامرة يراد بها وقف المد الاسلامي الزاحف .. وبث اليأس في قلوب تندفع على طريق الاصلاح .. راغبة الى ربها بمثل هذا المنطق :
« لا داعي للتهور دفاعا عن الاسلام .. لماذا ؟ لأن للدين ربا يحميه !! »

آراء المتشائمين .. والمغرضين !

رأي البراهمة :

قالوا : لا جدوى من الاصلاح .. ولا علاج الا بواحد من سبيلين :
اما بالزهد .. فرارا من الحياة .
واما بتقديم النفس قربانا للنار . يصير بها الانسان رمادا .

وفي امكاننا ان نقول ردا عليهم :
ان اللجوء الى اي من وسيلتين احلاهما مر .. انما يكون لو لم نجد هناك طريقا آخر للخلاص ..
أما وقد فتح الحق سبحانه وتعالى طريق العودة اليه أمام المسرفين على انفسهم .. مهما كانت الذنوب أحجاما وأعدادا .. فان فرصة الاصلاح اذن متاحة .. والأمل في العلاج قوي ..
ونحن في حاجة الى حداة مخلصين على طريق العودة .. يمهدونها تمهيدا أمام السالكين .. ليستأنفوا السير من جديد على سواء الصراط .

رأي أبي العلاء :

واذا كان البراهمة منطقيين مع انفسهم وزمانهم وبيئاتهم .. فما لرجل كأبي العلاء المعري يرفض النصيحة ويشكك في جدوى الموعظة الحسنة في مثل قوله :
وما قبلت نفس من الخير لفظة
وإن طال ما فاهت به الخطباء ؟!
كيف يقول بهذا مع انه وقف واعظا آمرا ناهيا بما روى من شعره الزاهد في الدنيا .. والذي يستحث الخطى الى الدار الآخرة ؟

وكيف يحرم على غيره ما اباح لنفسه ؟!
ثم انه رجل مسلم .. وتاريخ الاسلام حافل بما صنعته الكلمة الطيبة في عصور الظلام وكيف خرج بها الناس من الظلمات الى النور ؟! واذا لم يقبل هو من الخير لفظة .. فقد قبل غيره .. واحس في كيانه بالتغير الى الأفضل .. فهو اذن استثناء من القاعدة .. ويأسه من الحياة لا يصح ان يكون هو القاعدة لحياة حافلة بنماذج تتناول أمور عيشها عاملة آملة .. صالحة مصلحة .

واذا لم تؤثر كلمة الخير اليوم .. فسوف تؤثر غدا أو بعد غد ..
بل ان حق المسرفين في الموعظة لا يسقط بالتقادم ، وواجب الدعاة تخولهم بالموعظة بلا يأس وإن طال بهم المدى ..
على ان تعريف الدعوة مأخوذ فيه معنى : الحث .. والالحاح .. والحض .. باستمرار .. كما يفهم ذلك من نص التعريف الآنف الذكر ..
وذلك يعني بالضرورة دوام التذكير .. والأصل في ذلك قوله تعالى
(ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) !
ولمن وصل الله تعالى القول ؟
لهؤلاء المذكورين في الآية السابقة مباشرة :
(فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين) . القصص / ٥٠
فاذا لم يستجب القوم للموعظة .. فان الأمل في الهداية باق .. ولعلهم يتذكرون .. فيؤمنون .
ان الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة يجعل من الاستجابة امرا بعيدا بعدما تبين من الهدى :
(فان لم يستجيبوا لك)
لكنه مع هذا لا يطلب منه صلى الله عليه وسلم ان يعرض عنهم وينفض يده من تذكيرهم .. انه سبحانه يلفت نظره الى علة الإعراض هنا وهو : الهوى المتبع .. وتلك صورة من الانحراف تضع صاحبها في مقدمة الضالين .. وعلى رأس قائمة المنحرفين عن جادة الصواب ..
واذن .. فيمكن للقوم .. اذا رأوا يوما أنوار الحقيقة ـ أن يعدلوا موقفهم ويستديروا ليستقبلوا النور الوافد ..
وتلك نتيجة متوقعة .. لو تخلصوا من تحكم الهوى .. ولهم على نفس الطريق اخوة سبقوهم بالايمان ..
ولا تواجههم الآية بالظلم .. لكنها تقرر حقيقة عامة .. لا تشتبك اشتباكا مباشرا مع القوم : فلعل وعسى أن تتغير القلوب ..
(إن الله لا يهدي القوم الظالمين)
ومعنى ذلك ان الظلم منشأ الضلال .. فاذا تحرر الانسان من ربقته .. تحرر في

نفس الوقت من الضلال .. واسلم زمامه لهداية السماء ..
ولو تأملنا الآيات الكريمة التالية لوجدناها تعرض نماذج لأناس تلي عليهم الذكر فآمنوا بعد ما كفروا .. وانها لتتحدث عن سماحة انفسهم .. وبشاشة قلوبهم .. ثم عن ما ادخر لهم من الثواب المضاعف .. مما نعتبره تشجيعا للمعاندين .. لينقلوا خطاهم على نفس الدرب .. ليصلوا الى نفس المصير .. ولن يتم ذلك الا بالدعوة .. والدعوة المستمرة .. بلا يأس ولا ضجر .
وذلك قوله عز وجل :

(الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون .
واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين .
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون) . القصص / ٥٢ ـ ٥٤

شواهد من السنة :

لما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي .. اعاده الرسول صلى الله عليه وسلم الى قومه . ليدعوهم الى الاسلام .
ولما دعاهم الى مثل ما آمن به . وطالت دعوته .. وكان قبل هذا مسموع الكلمة فيهم .. أحس بشيء من الحرج .. الذي حمله على العودة اليه صلى الله عليه وسلم فقال :
إنه قد غلبني على « دوس » الزنا .. فادع الله عليهم فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم اهد دوسا ..
ثم قال له :
ارجع الى قومك : فادعهم .. وارفق بهم ..

ونلاحظ هنا ان اليأس قد استبد بالطفيل فطلب اهلاكهم ولكن الرسول الكريم امره ان يستمر في دعوته .. شريطة ان يغير خطته .. بمعنى ان يمارس جولته الجديدة بلا احساس بمركزه وسابق عهده فيهم فان من شأن ذلك ان يفسد خطته .. كلما تذكر كلمته التي لم تعد مسموعة .
وعليه ان يترفق بهم .. فانهم بهذا الرفق واصلون معه الى حيث أمر الله تعالى وامر رسوله صلى الله عليه وسلم ..

ان الموعظة الصادرة من قلبك قد لا تصادف قلبا خاليا لتتمكن منه .. لكن ذلك القلب الجامد قد يحملها الى من هو أدعى منه واقرب الى التقبل والالتزام ..
« وليبلغ الشاهد منكم الغائب »
وربما بقيت الكلمة الطيبة بذرة في النفس .. لا تورق ولا تثمر .. الا ان يتهيأ

المناخ .. وتستعد التربة .. ويسمح الجو .. فتنبت من كل زوج بهيج ..
ولن يتم ذلك كله الا بدوام الموعظة .. ونبذ اليأس .. الذي هو اساسا غاية الشيطان .. لتصبح الظروف انسب لعمله هو .

وعلى فرض ان الطفيل لم يحقق نجاحا .. فلا عليه .. والأمر كما يقول الشاعر :
« ومبلغ نفس عذرها مثل منجح »
اي اذا كنت تأخذ سبيلك لتحقيق هدف معين .. فان وصلت اليه .. فبها .. والا فأنت كالذي نجح في تحقيق مثله تماما مادمت قد بذلت أقصى جهدك ولم تدخر وسعا .

وعلى فرط عداوة ابي جهل للرسول صلى الله عليه وسلم .. وضياع الأمل كلية في هدايته .. الا ان ذلك لم يمنع الرسول الكريم من ان يكرر دعوته .. ودعوته بالكنية ـ يأبا الحكم ـ توددا اليه . وتلطفا به .

وأكثر من ذلك كله .. فاننا نطالع قوله صلى الله عليه وسلم :
(كنت بين شر جارين : أبي لهب . وعتبة بن أبي معيط . ان كانا ليأتيان بالروث فيطرحانه على بابي) كما روى صاحب السيرة الحلبية .
لكنه يروى الى جانب ذلك موقفه عليه الصلاة والسلام .. البالغ بالأمل منتهاه .. حين قال :
(ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من مجالسة عتبة بن أبي معيط ليدعوه الى الاسلام) .

وليس بيننا اليوم من هو أفدح جرما من عتبة .. ولا من هو شر من أبي جهل وابي لهب ..
ويحملنا ذلك على الاحتفاظ بقدر من الأمل في قلوبنا .. يحملنا على التذكير على رجاء أن تنفع الذكرى .. ايمانا منا بطبيعة الانسان .. وتطلعنا الى صحوة او انتفاضة واحدة من تحت رماد الغفلة يصير بها المعاند خلقا آخر .. وتاريخ الاسلام شاهد على ذلك ..

يقول المرحوم الشيخ علي محفوظ في كتابه : هداية المرشدين
(إن الأمراض والعلل تعرض للاجسام فتذهب بجمالها . وكثيرا ما تودي بحياتها . اذا لم تسعف بالعلاج الناجع . قبل استفحالها واشتداد خطرها .
والقلوب كالاجسام :
يعرض لها من العلل والأمراض ما يطفىء نورها . وقد يفقدها حياتها . وذلك يوردها مورد الضلال والغي . وانهماكا في اللذات والشهوات .. وعدم المبالاة بأنواع الفسق والفجور .. وسيئات البدع .. ونبذ الآداب الدينية والاخلاق

المحمدية .. فمن هذه الأفعال تكون أمراض القلوب وعللها قال تعالى :
(بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)، المطففين / ١٤

كل ذلك يحملنا على الاعتقاد بأهمية الدعوة وحاجة المجتمع اليها .. لا سيما وطبيعة الانسان معدة لتقبل دواعي الخير مهما ارتكبت من المعاصي .. انها صالحة للاعتبار دائما .. ومن واجب الدعاة ألا ييأسوا من ملاحقتها بالعلاج كلما كان الوقت مناسبا .. والظروف مواتية ..
والا .. فان الاستسلام للعلة مجافاة لروح الاسلام الذي يؤكد دائما على قبول التوبة مهما كان حجم الذنوب .. ومهما كان عددها ايضا ..
وذلك يعني بالدرجة الأولى الثقة بلا حدود في صحوة الضمير وتقبل العلاج من قبل عصاة بلغوا في الانحراف حد التشبع .. فلنقل كلمتنا .. فقد تصادف نفسا ارهقتها الخطيئة .. وتبحث عن الخلاص . قال بعض الحكماء .
(الموعظة موقظة للقلوب من سنة الغفلة . ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة . ومحيية لها من موت الجهالة . ومستخرجة لها من ضيق الضلالة) .

يقول الدكتور عبدالكريم زيدان معبرا عن وجهة نظر القائلين بالتذكير على أي حال ؟
القول الثاني :
يجب الاحتساب سواء نفع أولم ينفع . لأن احتسابه قيام منه بواجب شرعي . فلا يتوقف على انتفاع الغير به .
ولأن على المسلم أن يؤدي ما عليه . وليس عليه أن يقوم الغير بما عليه .. مثل ترك صاحب المنكر منكره . وأجابوا على احتجاج أصحاب القول الأول ـ المانعين للتذكير اذا لم ينفع ـ بأن الآية الكريمة :
(فذكر ان نفعت الذكرى) لا تعلق الوجوب على حصول الانتفاع للأدلة الآتية :
١ ـ ان المعلق « بإن » على الشيء .. لا يلزم أن يكون عدما عند عدم ذلك الشيء . يدل على ذلك آيات منها :
(فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم) .. النساء /١٠١ فان القصر جائز وان لم يوجد الخوف .
وقوله تعالى : **(ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة) .. البقرة / ٢٨٣** والرهن جائز مع وجود الكاتب .
٢ ـ ان ذكر الشرط في الآية الكريمة « **فذكر إن نفعت الذكرى** » لفوائد منها :
انه سبحانه وتعالى ذكر اشرف الحالتين عند التذكير وهي حالة الانتفاع .. كما قال تعالى : **(سرابيل تقيكم الحر)** وتقدير الآية : وتقيكم البرد .. وعلى هذا

فقوله تعالى :
(**فذكر ان نفعت الذكرى**) فذكر ان نفعت الذكرى أو لم تنفع .
ومن الفوائد ايضا :
ان المراد الحث على الانتفاع بالذكرى كما يقول الشخص لغيره اذا بين له الحق : قد اوضحت لك الأمر ان كنت تعقل . فيكون مراده الحث على القبول ،

وقفة
مع المفكرين الغربيين

ذكر الدكتور المرحوم محمد عبدالله دراز رأي بعض الفلاسفة الغربيين في مفهوم الأخلاق عندهم .. وفي امكان تغييرها من حال الى حال ..
ه « شوبنهور » الفيلسوف الألماني قال :
يولد الناس أخيارا أو أشرارا كما يولد الحمل وديعا .. والنمر مفترسا .. وليس لعلم الأخلاق الا أن يصف سيرة الناس وعوائدهم .. كما يصف التاريخ الطبيعي « حياة الحيوان » (مبادىء علم الاخلاق للمرحوم د/دراز ص٦)

ه ... الألماني « كانت » :
ان الذي يشاهد موقف الانسان في ظرف معين ويعرف سوابق تصرفاته في مثل هذا الموقف .. يستطيع أن يتنبأ صادقا بما سيفعله في مثل هذا الظرف المعين .. كما يتنبأ العالم الفلكي بكسوف الشمس . وخسوف القمر في ساعة محدودة « المرجع السابق » .

ه ... سبينوزا الهولندي :
(إن افعال الناس كغيرها من سائر الظواهر الطبيعية تحدث . ويمكن استنتاجها بالضرورة المنطقية الهندسية كما يستنتج من طبيعة المثلث ان زواياه الثلاث تساوي زاويتين قائمتين) المرجع السابق .

.... « ليفي برول .. الفرنسي » :
ان ميولنا الحسنة او القبيحة التي نجيء بها الى هذا العالم عند ولادتنا هي طبيعتنا . فكيف نكون مسؤولين عن طبيعة هي ليست من عملنا . أو على الأقل ليست من عملنا الشعوري الاختياري » المرجع نفسه .

ه ... هيوم الانجليزي :
(ان شعورنا بالمسؤولية ليس الا وهما خداعا)

مناقشة هذا الاتجاه

حين عزل الغرب الدين عن منصة الحكم .. ومضى وحده في التيه .. ارتكب خطأين :

الأول : تحكيم العقل فيما وراء الطبيعة .. فتاه دليله .. ومضى بين ركام من الظنون شقى بها طويلا ..

الثاني : الاعتماد على الضمير في مجال الأخلاق .. فضلوا وأضلوا .. لأن الضمير الذي لا يستمد نوره من الوحي السماوي .. ومن الايمان بالآخرة يتخبط في الحكم .. وتصبح الأخلاق في تقديره امرا اعتباريا .. يتلون حسب الأمزجة .. والأمكنة .

هذا الضمير الذي اباح للبرازيل ان تلقي بفائض البن لديها .. في البحر .. وسول لامريكا ان تلقي بفائض القمح عندها .. الى نفس المصير !
في الوقت الذي تتواطأ فيه القوى المعادية لارخاص المواد الخام لدى الشعوب المحتاجة فعلا الى هذا القمح .. وذلك البن !!

فلا هي بالتي اطعمت الشعوب المتخلفة من جوع .. وفضلت عليها اسماك البحر .. ولا هي بالتي انصفت ثلثي سكان الكرة الأرضية فأعطتهم ثمنا يناسب ما لديهم من امكانات وخامات .. انها تسلب .. ثم ترد الى هذه الشعوب بأغلى الأثمان !

هذا هو الضمير الغربي .. وتلك هي الأخلاق في نظره !
والقوم هناك منطقيون مع انفسهم :
وهــل ينبــت الخطــى إلا وشيجــه
وتنبــت إلا في منــابتهــا النخــل ؟!
والشيء من معدنه لا يستغرب كما يقولون :
ولكن الاسلام شيء غير هذا ..
ولدينا نحن المسلمين ما نرد به هذا التصور .. وما يترتب عليه من أحكام جائرة ..
واذا قرر « كانت » إمكان التنبؤ بموقف الانسان بناء على مواقف سابقة مشابهة .. فنحن نتساءل :

هل كان من الممكن ـ بهذا المقياس ـ التنبؤ بموقف عمر رضي الله عنه .. عندما دخل على اخته .. ونزع ما في يدها من آيات قرآنية .. مست شغاف قلبه فحدث التغير الكبير ؟!

كان المتوقع حينئذ .. ان يثور .. وتسيل الدماء هنا وهناك . ولكن شيئا من ذلك لم يكن .. واعلن الفاروق اسلامه في ظروف ما كانت تخطر على بال احد .. وقل مثل

ذلك في : عكرمة .. وخالد بن الوليد .. وغيرهم من الرعيل الأول .

وإذ يقرر « شوبنهور » ان دور علم الأخلاق لا يتعدى وصف واقع الانسان الذي لا يمكن تغييره .. كما لا يمكن تحويل النمر الى حمل .. والعكس .. اذا كان يقرر ذلك .. فانما يتحدث عن علم الأخلاق في منطق الغرب .. ان للنظرية الاخلاقية الاسلامية فاعلية وايجابية .. تمتلك بهما زمام الانسان لتنقله من محيط الى محيط كما يقولون ..

وهي ضد السلبية الواقفة عند حد التسجيل ووصف الواقع كما هو الشأن هناك .. ان الحياة هناك أرقام وأحجام .. ومقدمات تسلم الى نتائج .. هكذا في نظام آلي رتيب .. بينما الاسلام ـ كما قلنا ـ قوة فاعلة مؤثرة .. لا ترضى بالواقع .. ولا تستسلم له .. لكنها تروضه على فعل الخير استعلاء به على نوازع الشر العارضة على طبيعته ..

يقول المرحوم الدكتور دراز :

(ان القرآن حين يعرض نظريته عن الحق وعن الفضيلة .. لا يكتفي دائما بأن يذكر بها العقل . ويثير أمرها باستمرار أمام التفكير والتأمل .. وانما يتولى هو بنفسه التدليل على ما يقدم .. ويتولى تسويغه ..

وفضلا عن ذلك . فان طبيعة استدلالاته . والطريقة التي يسوق بها الدليل .. قد اختيرت كلتاهما على وجه يفحم أعظم الفلاسفة دقة . واشد المناطقة صرامة . في الوقت الذي تلبي فيه اكثر المطالب واقعية . كما تروق أرقى الأذواق الشعرية وأرقها . وابسط المدارك وأقلها) .

ان العقل يعرف الفضيلة بآثارها في واقع النفس وواقع الحياة .. ومن ورائه الوجدان يحرك الانسان للتنفيذ .. بل والاقتناع بأهمية الفضيلة .. ولو لم يكن من ورائها نفع مادي ..

فما هو الأمر هناك ؟

قلب مغلق على عقيدة دينية متحجرة .. لا تناقش .. بل تستسلم لما لا تعلم .. ثم .. في نفس الوقت عقل مبهور بالعلم الحديث .. ولا يعترف بهذه العقيدة .. ولا بالدين الا طقوسا ومراسم .. أي أن الكيان الانساني مضموم على اشد انواع التناقض .. ومع هذا يتغنى بالبحث العلمي النزيه ؟!

اي معنى للبحث وللنزاهة يبقى مع هذا التمزق .. والصراع داخل الكيان البشري ؟ بل أية حضارة يمكن ان تؤسس على هذه الكيانات الهشة ؟

وجاءت مقرراتهم في مجال الاخلاق على نفس المستوى .. مادية هابطة تقول احيانا كاشفة عن اساس الأخلاق :

(مثلا .. اذا ضعف هذا العصب .. انتهى بالمريض الى عادة الكذب . واذا مرض غيره .. انتهى به الى عادة السرقة .

وهكذا .. فتسمى شرورا ورذائل .. وان هي الا أسماء سمتها الأوهام . وثبتها طول الزمن . فنزلت منزلة القداسة .. .

بيد أن عملية التغيير تحدث اساسا في باطن الانسان .. الذي يغالبه فيغلبه .. ويقاومه فينتصر عليه .. ليخرج الانسان من التجربة انصع جوهرا .. وأخلد اثرا ..

(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هي المأوى) . النازعات / ٤٠ ، ٤١

(اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه)

وتجلية الاحساس بهذا الواعظ الذاتي .. ليقوى ويصبح قادرا على مباشرة سلطاته في التوجيه والارشاد .. هو ثمرة مباركة لمنهج القرآن في تربية النفوس واخذها بالفضيلة :

ونحن نرى العناية الفائقة التي التزمها هذا الكتاب ـ القرآن ـ في غالب الأحيان :

حين قرن كل حكم في الشريعة بما يسوغه . وحين ربط كل تعليم من تعاليمه بالقيمة الاخلاقية التي تعد اساسه :

ومن ذلك : انه عندما يدعونا ان نتقبل من اهلينا كل تسوية للصلح . حتى لو كانت في غير صالحنا يؤيد دعوته بتلك الحكمة :

(والصلح خير)

وعندما يأمرنا ان نوفي الكيل . ونزن بالقسطاس المستقيم .. يعقب على هذا الأمر بقوله :

(ذلك خير)

ولكي يسوغ قاعدة الحياء . التي تطلب من الرجال ان يغضوا أبصارهم . ويحفظوا فروجهم ـ نجده يسوق هذا التفسير :

(ذلك أزكى لهم)

وبعد ان يأمرنا بتبين السبب قبل ان نصدر حكما يقول :

(أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات / ٦

وننقل هنا بتصرف وجهة نظر المرحوم الاستاذ ابو بكر ذكرى في الرد على هذه النظرة المتشائمة المغرضة :

ـ الحكم على خلق انسان عادي لا يثبت على حال واحدة :

فبينما نراه على صلاح وتقوى حينا .. اذا بنا نراه وقد انقلب فجأة الى عكس ما كان عليه .

أكان يستطيع ان يغير اخلاقه حسب مشيئته لو كانت الطباع لا تتغير ؟ حسبما يدعي أولئك الفلاسفة ؟

على أنه من مقررات علم النفس : أن الاخلاق تتغير بتغير العالم .

ـ يستمر بعض الناس على خلق زمنا طويلا .. حتى يظن أنه لن يتغير . فاذا به ينقلب الى ضده بسبب عظة سمعها او حادثة وقعت له .. واذا جاز لانسان ان يرتد عن دينه كما تقول اخبار الغرب .. فان عودة الشرير الى طريق الخير أيسر وأولى .

ويحكي ابو العلاء في ذلك :

آبدى العتاهي نسكا وتاب عن ذكر عتبة
والخوف ألزم سفيا ن .. أن يغرق كتبه

وقد وزع الفيلسوف الروسي « تولستوي » اقطاعياته على الفقراء فما سر هذا التغيير ؟

ـ بالتربية والتهذيب تتحول طباع البهائم بل والسباع من الشره والعصيان الى الاعتدال والطاعة .. فكيف لا يتغير طبع الانسان ايضا ؟

ـ زعم الفلاسفة بأن الطباع لا تتغير انكاراً لحقيقة تاريخية شرعية وهي ارسال الرسل الذين بعثوا لهداية الناس .. ثم هو انكار لجهود المصلحين عبر القرون .

واذا كان هناك اليوم باحثون منصفون .. يلتقون مع وجهة النظر الاسلامية القاضية بامكان الاصلاح وضرورته ايضا ..

فقد بقيت للماكرين رغبة ملحة في وقف المد الاسلامي الزاحف .. عن طريق هذه الظنون المستترة وراء ما يسمى بالبحث العلمي ..

ثم بمثل هذه التساؤلات التي يطرحونها في طريق البعث الاسلامي الجديد .. كقولهم :

لا أمل في الاصلاح .. فارضوا بالأمر الواقع .. أو : ان الاصلاح ممكن .. ولكن لا تراعوا .. فللدين رب يحميه !

وإنها لمحاولات مكرورة يبتغي بها كسر حدة الحماس المشتعل في صدور ترى في الاسلام أملها وملاذها .. فلو تحقق املهم .. ورضينا بالواقع ..

ولو قعدنا مع الكسالى .. تاركين حماية الدين لرب الدين ..

ـ أي اذا اهملنا الحقل الاسلامي بلا حراسة ولا ديدبان يقظ تولى أعداؤنا حراسته !! وكنا كما يقول الشاعر ..

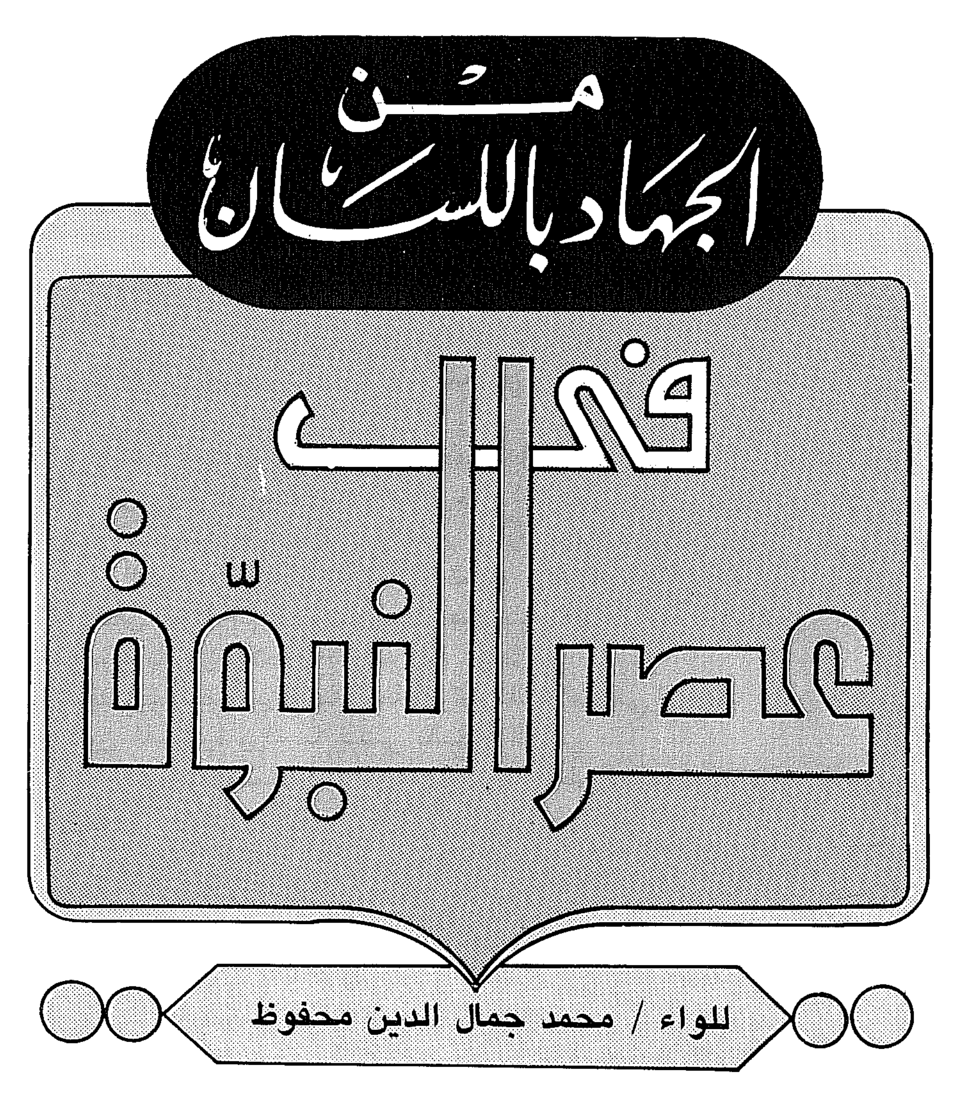
ومن رعى غنما في ارض مسبعة
ونام عنها تولى رعيها الأسد

ونحن ـ باسم الاسلام ـ مطالبون باليقظة .. والدقة في تناول معارف القوم هناك .

واذا كانت الحكمة ضالة المؤمن أنىّ وجدها التقطها .. فان عين الحكمة ان نأخذ ما نأخذ .. وندع ما ندع بمقياس الاسلام العادل ..

وقد تكلفنا المعركة جهدا .. ومالا .. ولا بأس اذا بقيت لنا شخصيتنا الوفية لدينها ..

تهون علينا ان تصاب جسومنا
وتسلم اعراض لنا وجسوم



انواع الجهاد في سبيل الله :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » (رواه أحمد وغيره)

يدل هذا الحديث الشريف على « وجوب » الجهاد باللسان بالاضافة إلى الجهاد بالأموال والأنفس ، والجهاد باللسان يكون بإقامة الحجة على الأعداء ، ودعوتهم إلى الله تعالى ، ورفع الأصوات عند اللقاء ، وبزجرهم ترويعا لهم ، ونحو ذلك من كل ما فيه نكاية للعدو ، قال تعالى : « **ولا ينالون مِنْ عَدُوٍّ نيلاً إلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالحٌ** » (التوبة ١٢٠)

ثم يقرر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجهاد باللسان لا يقل أهمية وأثرا عن الجهاد بالأموال والأنفس ، بل قد يكون أشد أثرا على الأعداء من القتال بالسلاح ، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اهجوا قريشا فإنه (أي الهجاء) أشد عليها من رشق النبل » (رواه مسلم - والنبل أي السهام)
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعبد الله بن رواحة وقد رآه يلقى الشعر في المسجد : « بين يدي رسول الله وفي حرم الله تقول الشعر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خل عنه يا عمر ، فلهي - يعني القصيدة - أسرع فيهم من نضح النبل » .
وسوف نتناول بعض صور الجهاد باللسان بقدر ما يتسع المقام .

أولا - الشعر :

كان يقف إلى جوار الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة من شعراء المدينة ينافحون عنه،هم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة،وقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان فشفى واستشفى »
وكانت مهمة أولئك الشعراء لا تقتصر على هجاء الأعداء أو دعوتهم إلى الله ، بل كانت تشمل أيضا الرد على ما يقوله شعراء المشركين من أمثال أبي سفيان بن الحارث ، وعبد الله بن الزبعري وضرار بن الخطاب وغيرهم ..
وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينصب لحسان بن ثابت منبرا في المسجد ،يقوم عليه قائما ، يفاخر عنه صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله يقول : « إن الله يؤيد حسانا بروح القدس ما نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : « اهجهم أو هاجهم وجبريل معك » (رواه الشيخان) وعن عروة قال : ذهبت أسب حسانا عند عائشة ، فقالت : « لا تسبه ، فانه كان ينافح عن النبي صلى الله عليه وسلم » (رواه الشيخان) .. وقد استخدم الشعر في عدة مهام نذكر منها ما يلي :-

○ الرد على شعراء المشركين :

ومن أمثلة استخدام الشعر في الرد على شعراء المشركين نذكر بعض شعر حسان ردا على هجاء أبي سفيان بن الحارث للرسول الكريم يوم أحد :

هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء

وقال شاعر المشركين عبد الله بن الزبعرى يوم أحد :

ابلغنْ حسان عني آية ... فقريض الشعر يشفى ذا الغلل
كم قتلنا من كريم سيد ... ماجد الجدين مقدام بطل

فقتلنا الضعف من أشرافهم — وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا ألوم النفس إلا أننا — لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم — علا تعلوهم بعد نهل

فأجابه حسان بن ثابت قائلا :

ذهبت يا بن الزبعرى وقعة — كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم — وكذلك الحرب أحيانا دول
نضع الأسياف في أكتافكم — حيث نهوى علا بعد نهل
وعلونا يوم بدر بالتقي — طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهم — وقتلنا كل جحجاح رفل
وتركنا في قريش عورة — يوم بدر وأحاديث المثل

الجحجاح : السيد .. والرفل بكسر الراء وفتح الفاء : الذي يجر ثوبه خيلاء)

○ الشعر في تعيير المشركين بالجبن :

وفي غزوة الخندق عبرت مفرزة من فرسان قريش الخندق في منطقة ضيقة فيه ، وفيهم عمرو بن عبد ود ، وعكرمة بن أبي جهل ، لكن المسلمين تصدوا لهم فنازل عليّ عمرو بن عبد ودفقتله ، كما قتل المسلمون رجلين من المشركين ، وعادت بقية الفرسان هاربة إلى قواعدها .. قال ابن إسحق : وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فر وألقى لنا رمحه — لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليم — ما ان تجور عن المعدل
ولم نلق ظهرك مستأنسا — كأن قفاك قفا فرعل

(الظليم : ذكر النعام ـ والفرعل بضم الفاء والعين : صغير الضباع)

○ شعر حسان يقنع بني تميم بالاسلام :

وبعد فتح مكة ، قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب ؛ فلما قدم وفد بني تميم دخلوا المسجد ونادوا الرسول صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته ، أن اخرج الينا يا محمد ، فآذى ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، فأذن الرسول صلى الله عليه وسلم لخطيبهم عطارد بن حاجب ، فلما

فرغ من خطبته ندب عليه الصلاة والسلام ثابت بن قيس بن الشماس فأجاب الرجل في خطبته ..
ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر فقال :

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا ... إذا احتفلوا عند احتضار المواسم
بأنا فروع الناس في كل موطن ... وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
وأنا نذود المعلمين إذا انتخوا ... ونضرب رأس الأصيد المتفاقم
وأن لنا المرباع في كل غارة ... نغير بنجد أو بأرض الأعاجم

(★) دارم من بني تميم
(★) (المعلمون : الذين يعلمون أنفسهم في الحرب بعلامة يعرفون بها - وانتخوا : من النخوة وهو التكبر والاعجاب - والأصيد المتفاقم : أي المتكبر المتعاظم - والمرباع : أخذ الربع من الغنيمة)
فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت أن يرد عليه فقال :

هل المجد إلا السؤدد العود والندى ... وجاه الملوك واحتمال العظائم
نصرنا وآوينا النبي محمدا ... على أنف راض من معد وراغم
نصرناه لما حل وسط ديارنا ... بأسيافنا من كل باغ وظالم
جعلنا بنينا دونه وبناتنا ... وطبنا له نفسا بفيء المغانم
ونحن ولدنا من قريش عظيمها ... ولدنا نبي الخير من آل هاشم
بني دارم لا تفخروا إن فخركم ... يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم ... لنا خول ما بين ظئر وخادم
فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم ... وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا ... ولا تلبسوا زيا كزي الأعاجم

(هبلتم : فقدتم وثكلتم - والظئر : التي ترضع ولد غيرها)
قال ابن اسحق :
فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس (من أشراف بني تميم) : وأبى ، إن هذا الرجل مؤتى له (أي لموفق له) ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى (أو أعلى) من أصواتنا .. فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوّزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

ثانيا - الشعارات والهتافات (صيحات القتال)

وهي من صور الجهاد باللسان التي اتخذها المسلمون لتحقيق عدة أهداف

كالتعارف فيما بينهم في أثناء الالتحام بالأعداء أو في الظلام ، ومنها إثارة انفعالات الشجاعة والحماسة في نفوسهم مع ترويع العدو وبث الرهبة والخوف في قلبه ، ومن أمثلة صيحات القتال التي استخدمها المسلمون في عصر النبوة « أحد أحد » في غزوة بدر ، و « أمت أمت » في غزوة أحد ، و « يا خيل الله اركبي » في غزوة ذى قرد ، و« حم ، لا ينصرون » في غزوتي الخندق وبني قريظة ؛ هذا الى جانب التكبير الذي كان شعار كل مسلم « الله أكبر » .. أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : صبح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر وقد خرجوا بالمساحى على أعناقهم فلما رأوه قالوا : هذا محمد والخميس ، فلجئوا إلى الحصن ، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم.فساء صباح المنذرين ..

(والمساحى جمع مسحاة وهي المجرفة التي يسحى بها الطين أي يجرف).

ثالثا ـ التفريق بين العدو وحلفائه :

في غزوة الخندق تجمعت قوى قريش والقبائل الأخرى واليهود للقضاء على المسلمين ، وحدث أن جاء نعيم بن مسعود الغطفاني (وكانت غطفان من القبائل التي انضمت إلى قريش في التجمع المذكور) إلى رسول الله صلى الله وسلم وأخبره أنه أسلم ولا يعلم قومه ، وطلب منه أن يأمره بما يشاء ، فقال الرسول : « إنما أنت رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت ، فان الحرب خدعة »

فقام نعيم بهذه المهمة بأسلوب بارع حاذق حيث حققت مهمته هدفها في الوقيعة بين المتحالفين وفي ازالة الثقة فيما بينهم ، فقد ذهب نعيم إلى يهود بني قريظة ـ وكان لهم نديما في الجاهلية ـ فقال لهم : « قد عرفتم ودّي إياكم ، وقد ظاهرتم قريشا وغطفان على حرب محمد ، وليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون أن تتحولوا منه ، وإن قريشا وغطفان إن رأوا نهزة (أي فرصة) وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ، ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهنا (رهائن) من أشرافهم حتى تناجزوا محمدا » .

قالت بنو قريظة : أشرت بالنصح ، ولست عندنا بمتهم ..

ثم خرج نعيم إلى قريش فقال لهم : « بلغني أن قريظة ندموا (أي ندموا على نقضهم العهد مع النبي) ، وقد أرسلوا الى محمد : هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم ، فأجابهم أن نعم .. فإن طلبت قريظة منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا لهم رجلا واحدا .. »

وجاء نعيم غطفان فقال لهم : أنتم أهلي وعشيرتي .. وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

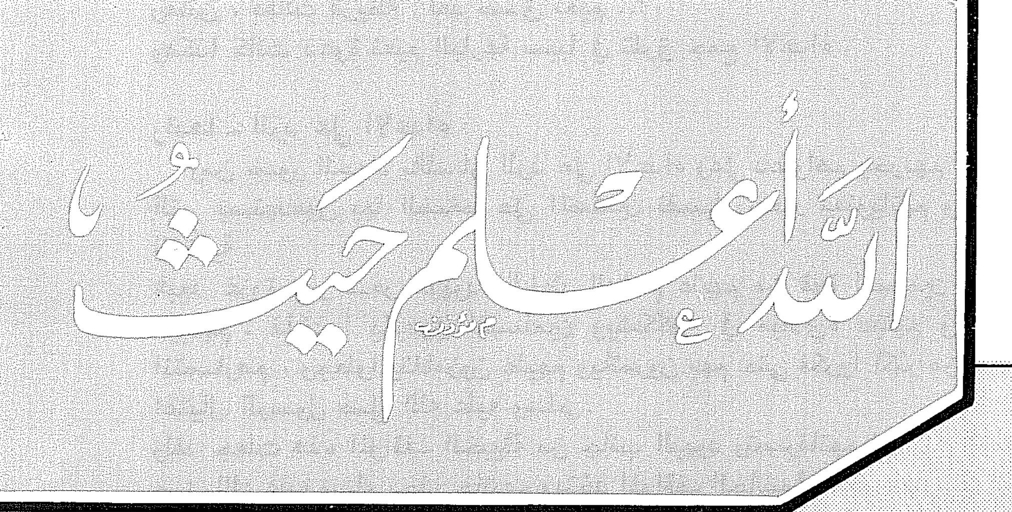
أرسل أبو سفيان وسادة غطفان إلى قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان في ليلة سبت وطلبوا منهم الاستعداد للهجوم نهار السبت ، ولكن قريظة اعتذرت بأنها لا تقاتل يوم السبت ، ثم طلبت رهائن من قريش وغطفان قبل أن تسرع بأي هجوم .
قالت قريش وغطفان : « لقد صدق نعيم » .. ورفضوا طلب قريظة باعطائها رهائن ، فقالت قريظة : لقد صدق نعيم ..!
وهكذا كانت دعوة نعيم البارعة سببا في تفرق جمع الأعداء .

رابعا ـ الرد على الأعداء :

ومن صور الجهاد باللسان الرد على الأعداء وعلى دعاواهم وحربهم النفسية التي يستهدفون بها الضغط على المسلمين نفسيا وتدمير معنوياتهم وارادتهم القتالية .
فبعد غزوة بدر شعر اليهود بالخطر الداهم عليهم من قوة المسلمين وازدياد هيبتهم ، فأخذوا يكيدون للمسلمين ويشككون في مبادىء دينهم وفي قيمة انتصارهم ، وجعلوا يتغامزون عليهم ويأتمرون بهم حتى فكروا أكثر من مرة في اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم .
ولقد جعلت هذه المواقف الخبيثة من جانب اليهود وتصرفاتهم الملتوية الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر جانبهم ويتخذ المواقف الحاسمة معهم ، فأرسل إليهم في أسلوب حازم تحذيرا قويا حتى يعودوا إلى رشدهم يقول فيه : « يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا فانكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم » .. في هذه الرسالة الدعوة إلى الايمان والصدق في القول وفيها التحذير الشديد لليهود لمخالفة عهدهم معه ، والجزاء المنتظر لكل مخالف للدين الحق ، وهي تنطوي على التأثير النفسي الذي يلقى في قلوبهم الرعب .

● وبعد انتهاء المعركة في أحد ، أشرف أبو سفيان على الجبل ، فنادى : أفيكم محمد ؟ فلم يجيبوه . فقال : أفيكم ابن أبي قحافة ؟ .. فلم يجيبوه .. فقال : أفيكم عمر بن الخطاب ؟ فلم يجيبوه .. فقال : أما هؤلاء فقد كفيتموهم .. وهنا أجاب عمر : ياعدو الله ، إن الذين ذكرتهم أحياء وقد أبقى الله لك ما يسوءك . وان محمدا يسمع كلامك الآن .. فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر والحرب سجال ، ثم جعل يرتجز ويقول : أعل هبل .. أعل هبل .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله بماذا نجيبه ؟ .. قال : قولوا : الله أعلى وأجل .. قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟.. فقالوا : وبماذا نجيبه ؟.. فقال : قولوا الله مولانا ، ولا مولى لكم ..

« في ذكرى مولد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم »



أشارت الكتب السماوية السابقة الى ظهور خاتم النبيين في أرض العرب ، تحقيقا لارادة الله تعالى في أن يطلع نور الاسلام من جزيرة العرب . جاء في « تثنية الاشتراع » من الكتاب المقدس : « جاء الرب من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران » والعبارة هذه تبشر بانتشار رسالات الله وظهور أوامره على لسان رسله الثلاثة : موسى الذي جاوز البحر الى سيناء بأمر الله ، وعيسى الذي بعث في فلسطين المسماة قديما بساعير ، ومحمد الذي بعث في فاران وهو الاسم القديم لمكة حيث الجبال المحيطة بها من كل جانب .

وفي مكة المكرمة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الاثنين من الاسبوع الثاني من شهر ربيع الأول من عام الفيل . وفي مكة بالذات نشأ رسول الله محفوفا برعاية الله تعالى ، ليقوم بتبليغ الاسلام ، وتفهيم الناس معاني الحياة السعيدة .

وقد يتساءل بعض الناس : ما الحكمة وراء اختيار ارض العرب مهدا للاسلام ؟ ولماذا خص الله تعالى مكة المكرمة بخاتمة الرسالات السماوية ؟

ان الذي يتفحص أحوال العرب السابقين ، ويتفكر في صفاتهم وأحوال بلادهم ، لا بد ان يصل الى الجواب .



فامتداد أرض العـرب واتساع آفاقها أمام الأبصار ، من عوامل الصفاء الذهني ، الذي يربط الانسان بفطرته ، فيجعله بسيطا في معيشته . بينما كانت الأمم الاخرى تعيش في اضطـراب نفسي ، وتضـارب في العـلاقات الاجتمـاعية ، وتكلف في المعيشة ، فضلا عن استعـلائها بقواها وقدرتها على الاهلاك والتدمير .

بل لعل العرب كانوا في حالة نفسية يصح أن تسمى حالة الوقـوع في الجهل البسيط ـ كما يقول الأستاذ الندوي ـ بينما غيرهم يعيش في جهل مركب ، وشتان بين معالجة المرضين .

والعرب السابقون أصحاب همة عالية ، وتصميم صادق ، وعزم جيد ، وتلك صفات لا تستغني عنها أمة حملت مبادىء دعوة عالمية . لأنه لا ينبغي للرائد أن يكون عاجزا مترددا يعيش على الغدر والالتواء .

أما بلاد العرب فقد كانت في مأمن من الضغوط الخارجيـة ، لانعدام الأطماع التوسعية من جيرانها الفرس والروم . فلماذا يطمعون بها ومواردها لا تكفي مواطنيها ؟ وماذا يفعلون في آلاف الأميال من الرمال الحارة التي لا يصبر على شدتها أبناء الفرس والروم الذين ألفوا حياة النعـومة وعاشوا في طراوة التحضر .

واضافة الى ذلك توسطت جزيرة العرب قارات العالم القديم ، فاكتسبت مركزا حيويا في توصيل الدعوة الاسلامية الى الأمم والشعوب مصداقا لقوله تعالى : (**وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها**) الشورى /٧ . ففي ولادة وبعثة خاتم النبيين في مكة استجابة من الله تعالى لدعوة أبي الانبياء ابراهيم خليل الرحمن : (**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم**) البقرة/ ١٢٩ ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه في الحديث الذي أخرجه احمد في مسنده : « انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى » .

لقد اختار الله تعالى جزيرة العرب مهدا لرسول الله ولدعوته ، لأنه لا طمع فيها لحاكم ظلوم ، أما مكة بالذات فلأن لأهلها الرئاسة الدينية والمكانة الاجتماعية عند جميع العرب ، ففيها البيت العتيق محج القبائل ، ومنطلق القوافل الى الشمال والجنوب ، اضافة الى تفوق لسان قريش في الفصاحة والاسلوب واللفظ .

وهكذا يتبين لنا أن الموقع الجغرافي والمكانة الاجتماعية والملكات النفسية كانت من المرشحات لأن تكون جزيرة العرب ومكة المكرمة بالذات مكانا لمولد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم في القرن السادس للميلاد .

أما الحكمة من وراء اختيار شخص محمد بن عبد الله لخاتمة الرسالات فتظهر مما يلي : أخرج مسلم عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد اسماعيل عليه السلام ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » فأكرم بهذا النسب الكريم الذي يتصل باسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام .

لقد كان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم محميا من المفاسد ، مأمونا من السفاح وكيف لا يكون كذلك ، وهو الذي تقلب في أصلاب طاهرة وأرحام كريمة حملت معاني السمو والشرف والعزة والنبل . أخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يلتق أبواي قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا ، لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما » .

وحينما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان ـ قبل اسلامه ـ عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجابه أبو سفيان : إنه فينا ذو نسب شريف . وهنا قال هرقل : وهكذا تبعث الرسل .

ان شرف النسب صفة لازمة في النبيين الكرام . وليس شرف النسب كثرة المال والمتاع ، وانما هو مكارم الاخلاق التي تلزم صاحبها بالتعالي عن النقائص ، وبذل النجدة والوفاء

والمحبة للناس .

وشرف النسب يكسب صاحبه المنعة في قومه اقرأ قوله تعالى عن قوم شعيب عليه السلام : (**قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز**) هود/ ٩١ .

لقد أوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبا مباركا ، فجده عبد المطلب سيد مكة على الاطلاق ، أعطته رئاستها لقوة نفسه وقوة خلقه ، فكان أبا لشبابها ، وأخا لكهولها فاتصف بالسماحة والعزيمة والبركة .

أما عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد اقتبس صفات الفضيلة من أبيه عبد المطلب ، فاشتهر بعفة النفس ، وحسن المروءة ، وطهارة العرض ، صان شبابه عن الرذائل في وقت انتشرت فيه الفواحش بين أقرانه ، فعاش بعيدا عنها في طهارة وعفة مع زوجه آمنة لينقلا وديعة الله إلى الوجود البشري .

وآمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتسمت بحسن الخلق ، ورجحان العقل ، وحسن الصبر ، فمنحت زوجاً محبوباً تتمناه فتيات مكة ، عاشت معه أيام زواجها ثم غادرها بعد ذلك في تجارة لأهله ، جاءه الأجل خلالها عند أخواله بني النجار في يثرب ، ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره ، وترك وراءه زوجته الصابرة المجاهدة وهي حامل بما أودعها من نسمة مباركة كانت رحمة للعالمين .

وهكذا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيماً فنشأ في رعاية جده وحضانة أمه ، لكنه لم يهنأ بوجودها ، اذ ماتت وهو في السادسة من عمره ، فحرم عطفها وحنانها ، غير أنه لم يحرم رعاية الله تعالى ، وهو اذ ولد كما يولد الناس ، غير أنه لم يتلق من الحياة إرثا من الملك أو الغنى ، وانما الذي استقبله من يوم مولده اليتم مع الفقر ، وهما أعدى أعداء الانسان ، خاصة تلك النبتة الضعيفة التي لم تقو جذورها في الأرض .

إنه لو جرت به الحياة على مألوفها ، لكان مصيره الى الضياع والتشرد كما ضاع كثير من الايتام والفقراء الذين لم يجدوا المعين والنصير والمرشد . خاصة في تلك البيئة القاسية الغليظة . ولكن ذلك لم يكن ، لأنه كان محفوظا بالعناية الالهية في جميع مراحل حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ممدودا بألطافها فهو المعد للنبوة ، وهو خاتم النبيين وصدق الله القائل : (**ولسوف يعطيك ربك فترضى . ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى**) الضحى / ٥ ـ ٧ .

لقد انفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين جيله ، بل الأجيال كلها ، بميزات جسمية وخلقية ، ليست في سائر الناس وان كان هو من الناس ، ولهذا لم يكن بدعا من الأمر ان يكون تكوين محمد صلى الله عليه وسلم ملفتا للأنظار ، فهو جميل في جسمه ، كما هو حسن في خلقه ، ولا

شك أن ذلك التناسق له أثر في الاستجابة لدعوته . روي أن أعرابيا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فراعه منظره وحسن هيئته ، فسأله : من أنت ؟ فقال : محمد بن عبد الله . قال : أنت الذي تقول عنه قريش إنه كذاب ؟ فقال رسول الله : نعم . قال الاعـرابي : والله ليس هذا بـوجه كذاب . فما الذي تدعو اليه ؟ فعرفه رسول الله حقيقة الاسلام فأسلم .

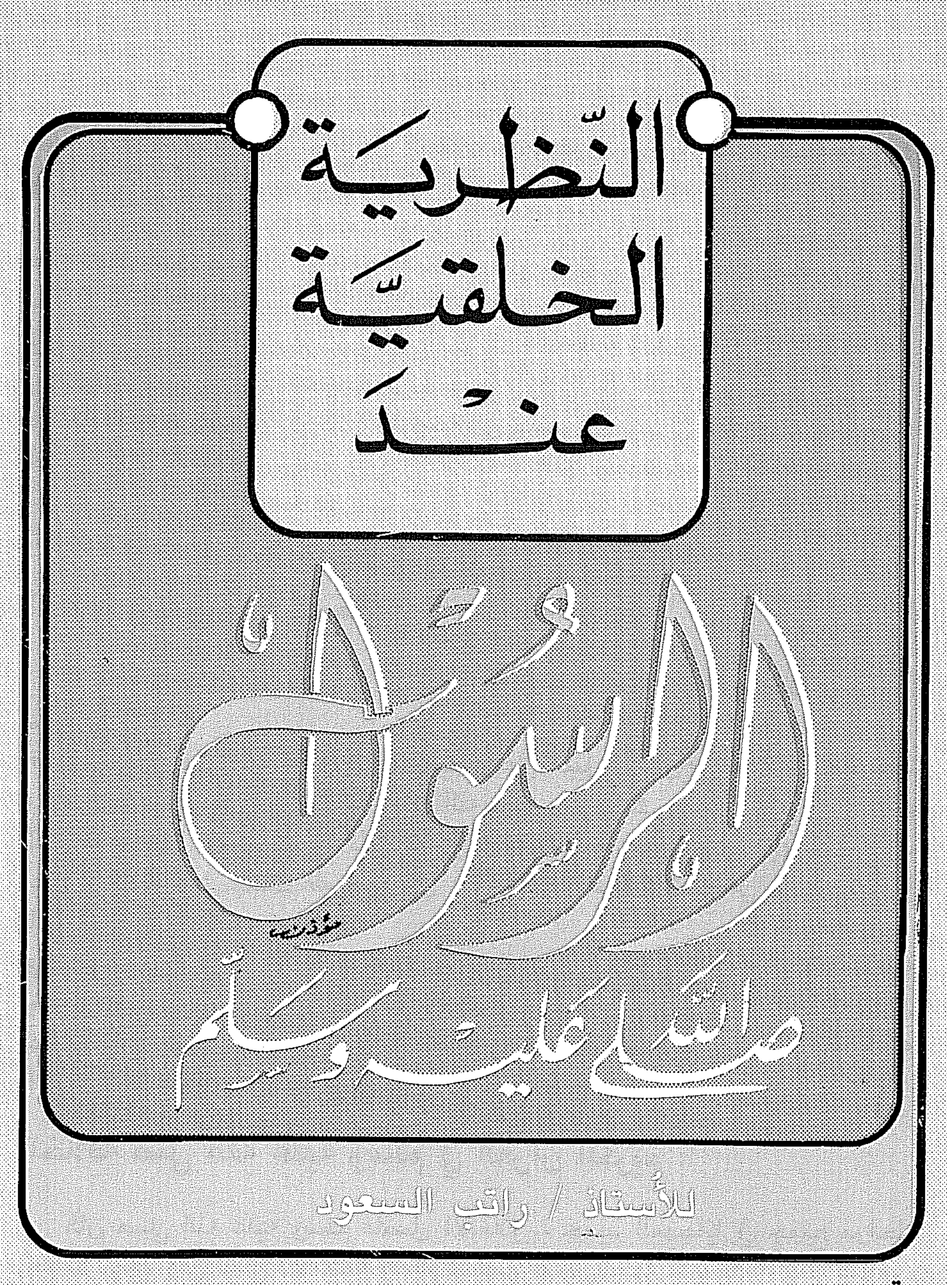
كان منظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يشد الانظار اليه ، لأنه الجمال والكمال . جمال الرجولـة ، وكمال الانسان ، ومن أجل ذلك أحبه كل من رآه ، اذ كل شيء في رسول الله يعلن قوته وجماله وكماله : فها هو قد بلغ الستين من عمره وشكله شاب تجتمع فيه وفرة العافية ، فشعره اسود ، بل ان الذين عدوا شعرات شيبه لم يرقوا بها الى العشرين . أخرج البيهقي عن أنس بن مالك خادم رسول الله أنه عد شعرات شيب رسول الله ثم قال : ما كان في رأسه ولا لحيته الا سبع عشرة أو ثماني عشرة شعرة بيضاء .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في شبابه طاهرا عفيفا ، حفظه الله من الانغماس في اللهو والرذيلة ، وهما أشد ما يخشى على الشباب . روى البخاري عن رسول الله أنه قال : « ما هممت بشيء من أمر الجاهلية الا مرتين : كنت في غنم ارعاها ، فقلت لغلام معي من قريش : اكفني غنمي حتى آتي مكة ، وكان بها عرس فيه لهو ومزمار ، فلما دنوت من الدار لأحضر ذلك ، ألقي علي النوم ، فما أيقظني الا حر الشمس ، وفي المرة الأخرى قال لصاحبه مثل ذلك ، فألقي النوم عليه كما القي في المرة الاولى .

ولا شك في أن الله تعالى أراد له الحماية من الاسترسال في الهوى ، لأن المرة الاولى تجر الى أختهـا ، وحينذاك تسيطر الشهوات على النفس ويصعب أمرها ولئلا يكون ذلك ، كانت العصمة المانعة في أول الخطوة لا بمجاهدة نفسية منه ، وانما بنعاس القاه الله عليه .

وفي مكة كان كبار القوم وصغارهم يقصدون الأصنام لتقربهم الى الله زلفى ، فينحـرون لها القـرابـين ، ويسجدون لها غدوا وعشيا . وكان محمد صلى الله عليه وسلم يتخلف عن ذلك لأن فطرته السليمة هدته الى غيره . أخرج أبو النعيم وابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : « هل عبدت وثنا قط ؟ قال : لا . قالوا : فهل شربت خمراً قط ؟ قال : لا . ومازلت أعرف ان الذي هم عليه كفر ، وما كنت أدري ما الكتاب ولا الايمان » .

وبعد هذا : لا يستطيع أحد ان يقول : لم اختيرت الجزيرة العربية ومكة المكرمة من دون الأماكن الاخرى لولادة النبي وبعثته ؟ لا يستطيع أحد أن يقول : لم اختير محمد دون غيره مـن الـرجـال ؟ وفيهـم الأبـرار الشجعان ؟ لا يستطيع احد أن يسأل ذلك ، لأن حكمة الاختيار لم تكن الا هنا . وصدق الله القائل : (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) الانعام / ١٢٤ .



تمهيد :

إذا كان القرآن الكريم هو الأصل الوحيد للتربية الاسلامية التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى للانسان ليخرجه سويا متكامل الشخصية ، فان الأخلاق النبوية ممثلة بالسلوك العملي لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم تعتبر الأفرع لهذه التربية .

والتربية النبوية ، لم تكن مجرد نظريات أو أقوال نسمعها ويكاد يكون تطبيقها

ضربا من المستحيل أو نوعا من الخيال ، كما هو الحال مع كثير من النظريات والأفكار التربوية القديمة والمعاصرة ، إنما كانت تربية واقعية ، طبقت في سلوك الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتصرفاته العملية ولم تقتصر على أقوال صدرت عنه فقط ، أو مجموعة آراء احتوتها كتب أو حفظت في رفوف المكتبات .
لهذا وغيره ، كان لزاما علينا معشر المسلمين ، أن تكون لنا بين الفينة والأخرى وقفة تأمل في تلك التربية النبوية والنظريات الخلقية ، ننهل منها الزاد الخلقي والسلوك القويم ، الذي نحن بأمس الحاجة اليه في عالم اليوم المضطرب ، وليكون دعامتنا الوطيدة ضد الهجمات الشرسة من جانب الاستعمار الثقافي الذي تشهده أكثر البلدان المسلمه ، والصهيونية العالمية .. التي وضعت من أول اهدافها هدم الأخلاق الاسلامية المبنية على العقيدة الربانية فيسهل عليها وضع يدها الملوثة على العالم بأكمله كما هو واضح في بروتوكولات حكماء صهيون .

الخلق في اللغة والاصطلاح :

الخلق بضم اللام وسكونها : لغة : الطبع والسجية ، وفي الاصطلاح يطلق في مجالين :
الأول : يطلق على الصفة التي تقوم بالنفس على سبيل الرسوخ ويستحق الموصوف بها المدح أو الذم ، ومنه « قوله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس : إن فيك لخلقين يحبهما الله الحلم والأناة ، قال يارسول الله : أخلقين تخلقت بهما أم جبلت عليهما ، قال : بل جبلت عليهما ، قال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله » (رواه مسلم).
والثاني : فهو يطلق على التمسك بأحكام الشرع وآدابه فعلا « وتركا » . ومنه « قوله صلى الله عليه وسلم : البر حسن الخلق ...» (رواه الترمذي) وقول عائشة رضى الله عنها في تفسير قوله تعالى « **وإنك لعلى خلق عظيم** » كان خلقه القرآن ـ رواه احمد وابو داود .

أخلاقه صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم :

كان صلى الله عليه وسلم فاضل الأخلاق ، حميد السجايا في جميع مراحل حياته ، فقد كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا »، حيث اجتمع فيه من أوصاف المدح والثناء ما تفرق في غيره ، وكيف لا و قد اختاره الله من بين البشر كافة ليشرفه لحمل لواء هذه الرسالة الخاتمة . وينيط به هذه المسؤولية الصعبة والمهمة التي تحتاج لمثل هذه الاخلاق والصفات .
ولعل هذا الشرف الذي حازه صلى الله عليه وسلم ، شرف الاختيار لحمل الرسالة وتبليغها للناس كافة ، فضل من الله ، وهذا الفضل يؤتيه الله من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم .

وقد أثنى سبحانه وتعالى على رسوله الكريم ، ونوه بذكر ما يتحلى به من جميل الصفات في آيات كثيرة ، من كتاب الله العزيز ، منها :

(١) قوله تعالى : « **ن والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجرا غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم** » القلم ـ ١ ـ ٤ .

فقد أخبر سبحانه وتعالى في هذه الاية الكريمة عما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من أخلاق فاضلة ووصف خلقه بأنه عظيم وأكد ذلك بثلاثة أشياء : بالاقسام عليه بالقلم وما يسطرون ، وتصديره بان ، وإدخال اللام على الخبر ، وكلها من أدوات تأكيد الكلام .

(٢) قوله تعالى : « **والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى** » النجم ١ ـ ٤ .

وتدلك هذه الآيات الكريمة على ما اتصف به صلى الله عليه وسلم من النصح والأمانة والقيام بأداء الرسالة على الوجه الذي أراده الله ، فالرسول الكريم بعيد كل البعد عن الغي والضلال ، ويقول الحق ، ويبلغ رسالة ربه التي يتلقاها بوساطة جبريل عليه السلام للأمة كافة .

(٣) قوله تعالى : « **وما هو على الغيب بضنين** » التكوير ـ ٢٤ .

وهذه الآية الكريمة فيها قراءتان : بالظاء والمراد به المتهم ، وبالضاد والمراد به البخيل . وكلا هذين المعنيين منفي عنه صلى الله عليه وسلم ، فليس هو بالمتهم بكتمان ما أرسله الله به ، وليس هو بالبخيل لما انزله الله عليه ، بل يبذله لكل أحد .

(٤) قوله تعالى : « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** »التوبة ـ ١٢٨ .

وقوله تعالى : « **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم** »الأعراف ـ ١٥٧ .

وقوله تعالى : « **واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم** » الحجرات ـ ٧

وقوله تعالى : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » ال عمران ـ ١٥٩ .

كل هذه الايات ، وغيرها توضح ما جبل عليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الرحمة والرأفة بالمؤمنين والحرص على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، والتألم من كل ما يشق عليهم .

من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم :

ليس بالامر السهل تفصيل القول في أخلاقه صلى الله عليه وسلم ، فذلك يحتاج

لمؤلفات طويلة ، ولا تستطيع مقالة مختصرة ـ كهذه ـ الايفاء بذلك ، إنما سنتناول الأمر بشيء من الاقتضاب فما لا يدرك كله لا يترك كله ، ومن هذه الاخلاق :

١) الجود والكرم :

لم يرق أحد من البشر إلى مرتبة الرسول صلى الله عليه وسلم في خلق الجود والكرم . الجود في الدعوة الى الله ، والجود في النفس ، والجود في الجاه ، والجود في المال ، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة ».

والجود في الدعوة الى الله أقصى صنوف الجود ، حيث أن حبه لأمته وللناس كافة كان يفرض عليه أن يبلغ هذه الدعوة الى كل البشر ليسعدهم في الدارين وليبعدهم عن عذاب جهنم ، وقد تمثل جوده صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة بالغزوات التي حارب فيها أعداء الدعوة الاسلامية وجرح في أكثرها وشج في وجهه وسال الدم منه وقد جاد عليه الصلاة والسلام بجاهه ، حيث صح عنه أنه قال : « لكل نبي دعوة مستجابة قد دعا بها فاستجيب له فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » (رواه مسلم).

وجاد صلى الله عليه وسلم بما أعطاه الله من المال ، فقد جاءته صلى الله عليه وسلم امرأة ببردة منسوجة فقالت نسجتها بيدي لأكسوكها فأخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا » اليها ولبسها ، فقال له رجل من الصحابة اكسنيها يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم نعم ، فدخل منزله فطواها وبعث بها اليه فقال له بعض الصحابة ما أحسنت .. لبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد سائلا »، فقال اني والله ما سألته لألبسها انما سألته لتكون كفني ، قال سهل بن سعد رضى الله عنه فكانت كفنه » (رواه الترمذي).

٢) العفو والحلم :

وكما كان صلى الله عليه وسلم غاية في الجود والكرم والايثار فهو غاية في العفو والحلم والصفح والصبر والتحمل . ولعل سيرته العطرة حافلة بالوقائع الدالة على ذلك .

ففي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا أخذ أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها . وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : « دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليكم قالت عائشة ففهمتها فقلت : وعليكم السام واللعنة . قالت : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق في الأمر كله فقلت يارسول الله ألم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت : وعليكم ».

وفي الصحيحين ايضا ، عن جابر رضى الله عنه ، قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قبل نجد فأدركنا رسول الله في واد كثير العضاه ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها ، قال وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر الا والسيف صلتا في يده فقال لي : من يمنعك مني ، قال : قلت الله . ثم قال في الثانية : من يمنعك مني ، قال : قلت الله . قال : فشام السيف فها هو ذا جالس لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم ».

٣) الرحمة والشفقة والرفق :

لم يحصل لأحد من البشر ما حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاتصاف بالرحمة لأمته والشفقة عليها والرفق بها ! حتى إن الله جلت قدرته نوه برحمته صلى الله عليه وسلم حيث قال في محكم التنزيل مخاطبا « اياه » : **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » ال عمران ـ ١٥٩ .

ففي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يدع العمل وهو يحب ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض عليهم ، ولما واصل صلى الله عليه وسلم في صيامه وعلم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك واصلوا معه فنهاهم عن الوصال اشفاقا عليهم قالوا فانك تواصل . قال اني لست كهيئتكم ».

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن اعرابيا بال في طائفة المسجد فثار اليه الناس ليقعوا فيه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه واهريقوا على بوله ذنوبا من ماء فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ». وعن أنس رضى الله عنه قال : ما صليت وراء امام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان منهم الضعيف والسقيم والكبير ، واذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء . رواه البخاري ومسلم .

وفي الصحيحين ايضا : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ».

هذه الاحاديث الشريفة وغيرها تدلك على الرحمة التي كان يمارسها صلى الله عليه وسلم بأمته وشفقته عليها . وحرصه على ان يبعد امته عن كل مكروه او ضيق أو حرج .

٤) الشجاعة والجرأة :

وكما كان صلى الله عليه وسلم غاية في العفو والحلم والرحمة والشفقة فانه كان غاية في القوة والشجاعة والجرأة والاقدام . وقد جمع الله فيه عليه السلام قوة البدن وقوة الايمان ، فاستعمل هذه القوة في عبادة الله وطاعته والدعوة لنشر رسالته الى الناس كافة .

أخرج مسلم في صحيحه أنه قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير . » فقد كان صلى الله عليه وسلم يتقدم أصحابه في الجهاد في سبيل الله وقد شج وجهه وكسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد . وفي غزوة حنين ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انهزم الكثير ممن معه ، ففي الصحيحين عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رجلا قال له : يا أبا عمار أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ فقال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ، إن هوازن كانوا قوما رماة فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا فأقبل الناس على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانهزم الناس فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا سفيان بن الحارث آخذا في لجام بغلته البيضاء وهو يقول : أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب .

ولعل هذا الحديث الشريف يبين لنا جليا ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الشجاعة التامة ، حيث انه حين انكشف عنه جيشه مع أنه كان يمتطي بغلة لا تصلح لكر أو فر ، ولم يقف عند هذا الحد بل كان ينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه .

٥) التواضع :

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا وأقربهم الى الضعيف والمسكين وأبعدهم عن الكبر والترفع ، علما بأنه بلغ الحد الأعلى في الكمال الانساني ، فقد خصه الله بخصائص وميزه بميزات امتاز بها عن البشر في الدنيا وفي الآخرة ، حيث جعله الله أفضل المرسلين وخاتمهم وسيدهم وإمامهم وأولهم خروجا من القبر وتقدما للشفاعة .

كان صلى الله عليه وسلم يرشد أمته الى التحلي بصفة التواضع ويرغبهم في التخلق بها ، ومما قاله صلى الله عليه وسلم في ذلك »: ... وما تواضع أحد لله الا رفعه الله » (رواه مسلم).

وفي الصحيحين عن أنس رضى اللهُ عنه قال : « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي : أف ولا لم صنعت ؟ ولا أصنعت ؟». وكان صلى الله عليه وسلم يخالط أصحابه ويداعب الصبي الصغير ، واذا مرَّ بالصبيان سلم عليهم .

وأخرج الامام أحمد في المسند أنه لما خير صلى الله عليه وسلم بين أن يكون عبدا « رسولا » أو نبيا ملكا اختار مقام العبودية والرسالة على مقام النبوة والملك . وروى البيهقي عن أنس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعا » . وفي صحيح البخاري عن الأسود قال : سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في أهله ؟ قال : كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة قام الى الصلاة . وروى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو دعيت الى ذراع او كراع لأجبت ولو أهدي الى ذراع أو كراع لقبلت .

فلعمري ما بعد هذا التواضع من تواضع ، وخصوصا إذا علمنا أن صاحب هذا الخلق هو سيد البشر وأكرمهم ، الذي جعل فيه الله من الخصائص والميزات حتى سما بها إلى منزلة لا يساويه فيها غيره .

٦) النصح في الدعوة إلى دين الله :

تخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاخلاق الفاضلة من جود وكرم وتواضع وشجاعة ورحمة وشفقة وعفو ، وغيرها من السجايا الطيبة ابان قيامه بتبليغ رسالته ونشر دعوته ، فقد قام عليه الصلاة والسلام بأعباء هذه المهمة على الوجه الاكمل وصبر على ما اعترضه في هذا السبيل من أذى وآلام .

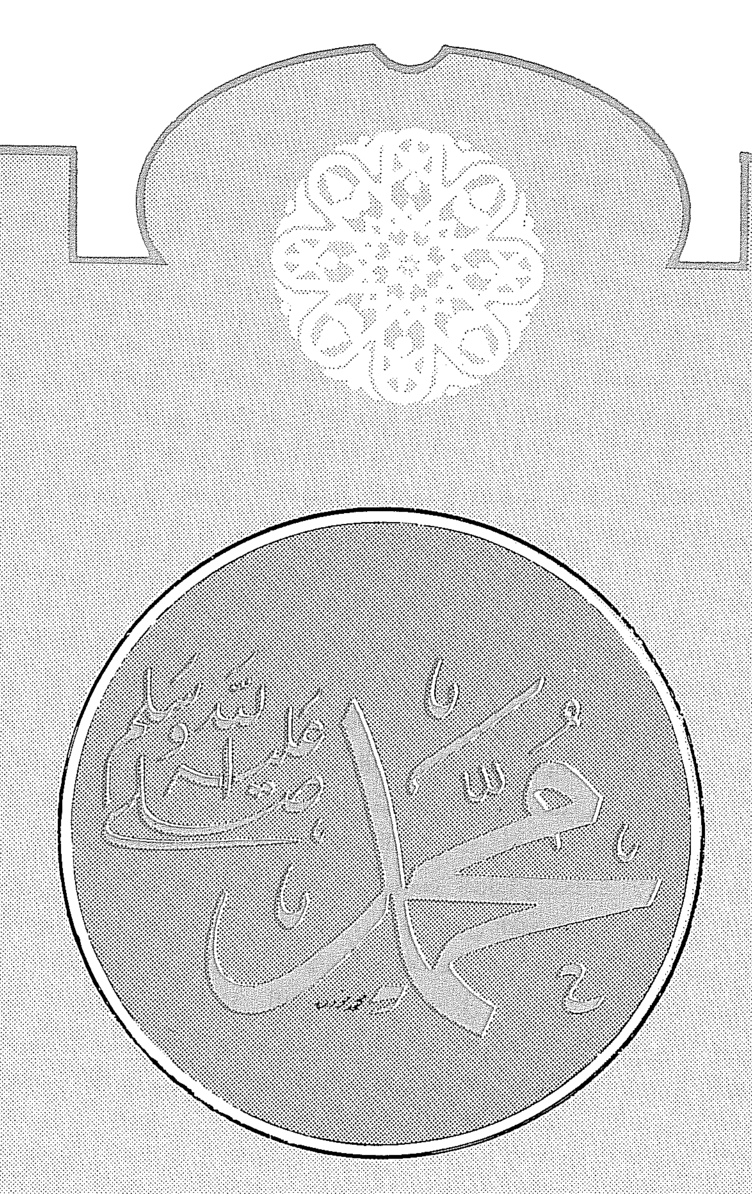
وقد ترك صلى الله عليه وسلم الناس على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك ، كفيلة لمن سلكها بعز الدنيا وسعادة الآخرة ، جاء ذلك نتيجة لاتصاف الرسول صلى الله عليه وسلم بكمال النصح وقوة البيان ونهاية الأمانة ، فما من شيء يقرب إلى الله الا دلّ عليه امته ورغبها فيه ، كما حذرها مما يخالف ذلك ، ولم يقصر صلى الله عليه وسلم في ابلاغ شرع الله مستخدما شتى الوسائل . حيث لم يدع وسيلة فيها إيضاح وإفهام للناس وحفز للهمم إلى القيام بطاعة الله والبعد عن معصيته إلا سلكها في سبيل دعوته الى الله .

خاتمة :

لعل في هذا غيضا من فيض مما كان عليه رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام فمن الصعب علينا ان نحصر في أوراق قليلة كل ما يرتبط بالرسول المربي .

لقد كان محمد عليه الصلاة والسلام منذ أول لحظة في حياته الى آخر خفقة من خفقات قلبه ، متحليا بكل خلق كريم ، مبتعدا عن كل وصف ذميم ، اجتمعت فيه كل الآداب الاجتماعية في التعامل مع الناس ، تلك الأخلاق والآداب التي ستبقى مصدرا للتعلم والتأسي والاقتداء لكل الأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وبعد فاني أسأل الله الكريم ، أن يلهمنا جميعا الصواب والرشاد وأن يوفقنا للتأدب بآداب نبينا والتحلي بأخلاقه والسير على منهاجه لنكون من الفائزين بشفاعته صلى الله عليه وسلم ، إنه سميع مجيب .



للأستاذ / عبد الله كنون

أي قلب لا يعتريه وجيب   عندما يذكر اسمك المحبوب
جمع الله للقلوب جميعا   فيك من كل ما تحب القلوب
السنا والسناء والحسن والاحسان فيك انتهى بها المنسوب
ومجالي الجمال في الكون طرا   هالة انت بدرها المرقوب
فالرياحين من شمائلك الغر شذاها وروضها المهضوب
والدراري من نور هديك اقبا   س على ضوئها تجاب الدروب

××××××××××

رحمة انت للعوالم مهدا   ة بأندى من الغمام تصوب
وأمان لها وفك عقال   وغد أفضل وعيش رغيب
أنت جليت اعينا كن منها   في غشاء به الظلام يلوب
وقرعت الاسماع بالحق والامـــــر الالهي فاستطير المريب

xxxxxxxxx

عرف الناس منذ جئت اليهم   كيف تصفو نفوسهم وتطيب
وتاخوا على التعاون والبـــــر فمنهم قبائل وشعوب
اهدر واكل فارق كان من جنـــــس ولون فليس فيهم غريب
واقاموا للعدل ميزان قسط   وكفوا ذا نوائب ما ينوب
اصبحت دارهم مثابة أمن   يعتفيها المحروم والمحروب
ويسود التعايش السمح فيها   ويزاح الخصام والتثريب

xxxxxxxxx

عظمت دعوة أتيت بها حيـــــن توالت على الأنام الخطوب
دعوة الله لم تزل تتحدى   كل دعوى بها الظلام مشوب
هي نور وشرعة ونظام   ويقين تحنو عليه الجنوب
كم قبسنا منها علوما واسرا   را بها جاءت الغيوب الطيوب
ووصلنا باللانهاية حبلا   وتسنى للطالب المطلوب
إن من يبتغي الهدي من سواها   لمريض قد غاب عنه الطبيب

xxxxxxxxx

ايها الحائر الذي ليس يدري   في ظلام الهوى الى ما ينيب
ضل قصد السبيل بين « يمين »   « ويسار » كما تضل النيب
وتجافت به عن الدرب (علما   نية) ما للعلم فيها نصيب
ها هنا الطهر والرضي والطمانـــــينة فانضح بمائها ما يريب
والتزمها عقيدة تملأ الصد   ر سرورا فهي الملاذ الرحيب
حيهل حيهل فهذا سبيل   واضح النهج قاصد ملحوب
قد كفاك (الأمي) صلى عليه اللـــــه ، ما لا يكفي حكيم اريب
وشفى الوحي منك غلة نفس   فاستقامت قناتها والكعوب

xxxxxxxxx

وهناك الاسلاد والفوز بالحـــــسنى فقد حُط عنك إثم وحوب



اشتدت الصلة في السنوات الأخيرة بين كلمتي « الثورة » و « الاسلام » وظهر ـ لأول مرة ربما ـ شعار الثورة الاسلامية ، تعبيراً عن آمال إسلامية يتم السير نحوها بطريقة معينة ، او تعريفا بواقع فرض نفسه بشكل ما .

والسؤال الذي يفرض نفسه هو : ما مدى اتفاق مفهوم كلمة « الثورة » مع جوهر الاسلام المتمثل في نظامه وشريعته ؟

ومعلوم ان « الثورة » في عرف السياسة الحديثة ، تعني اي تغيير جذري شامل ، يحدث في الأنظمة السياسية او الاجتماعية ، قفزاً فوق سنة التطور والتدرج ، سواء تم ذلك بطريقة سلمية هادئة ، أو بعامل عنف وسفك دماء .

غير ان الواقع الذي رصده التاريخ ، بدءا من الثورة الانجليزية التي ظهرت عام ١٢١٥ الى الثورة الفرنسية عام ١٨٧٩ الى الثورات الأخرى التي ظهرت هنا وهناك ، الى يومنا هذا ، حصر معنى الثورة في السعي الى التغيير الجذري بعامل العنف واراقة الدماء .. ولا شك ان هذه الأداة تفاوتت شدة واتساعا ما بين ثورة واخرى . غير انها ظلت سبيلا اساسيا وقاسما مشتركا بينها جميعا .
وهكذا ، فان التصور النظري ، وان كان لا يمنع من ان تقوم ثورة يسلك بها اصحابها طريق السلم ، الا ان الواقع لم يساعد هذا التصور ، يوما ما ، على فرض نفسه في مجال التطبيق .

ولا ريب ان لهذا الواقع اسبابه التي لا يصعب التنبه اليها ، غير ان هذا الحديث خارج عما نحن هنا بصدده .

إذن ، فلابد أن نتساءل : هل تتفق طبيعة الاسلام ، بحد ذاته ، مع اي منهج ثوري : « يقوم على الشدة والعنف » لاقامة المجتمع الاسلامي وتشييده ؟

بوسعي أن أبادر فأقول : ان حقيقة المجتمع الاسلامي الذي يقره الاسلام فعلا ، لا يمكن ان يشيّد ، اعتمادا على سبيل الشدة والعنف ، كما هو منهج الثوريين في الواقع والتاريخ . وما سبق ان قام مجتمع اسلامي صحيح ، على مثل هذا الأساس .
ذلك لأن إشاعة أحكام الاسلام ونظامه في المجتمع ، ما ينبغي ان تأتي إلا ثمرة لرسوخ جذوره الاعتقادية في الأفئدة والعقول . وذلك هو مجمل الفارق الكبير بين النظام الاسلامي وسائر الأنظمة الاجتماعية أو السياسية الأخرى .

الأنظمة الوضعية الثورية ، تفرضها اقلية مقتنعة بها او مستفيدة منها ، على اكثرية لا مصلحة لها فيها . ومن ثم فلا مفر من تثبيتها بطريقة واحدة لا ثانية لها ، وهي ان تلصق بالأمة إلصاقا ، وتحمل عليها حملا . وإنما اداة ذلك ـ على الأغلب ـ سلوك طريق الشدة والعنف .

اما عندما تكون هذه الأنظمة متساوقة مع رغبات المجتمع متآلفة مع فطرة الأفراد ، ومع مصالحهم اجمالا ، فلا داعي عندئذ للالتجاء الى سبيل الثورة والعنف ، كما هو واقع كثير من الدول القائمة .

اما نظام الاسلام ، فلا يصلح ، بل لا يقبل ، ان ينهض الا على دعامة خفية تكمن في اغوار النفس الانسانية ، ألا وهي استشعار معنى العبودية لله تعالى والخضوع لواقعها ، مع ما يستلزم ذلك من اليقين بوحدانيته ، ومراقبته للانسان ، وبأن مردّه اليه ، وبأنه سيجزيه الجزاء الأوفى على كل ما صدر منه من

خير او شر .. ولذلك كانت سائر الأعمال السلوكية التي تصدر من الانسان مهدرة لا قيمة لها في ميزان المثوبة الالهية يوم القيامة ، ان لم تنهض على هذه الدعامة الايمانية ولم تصطبغ بها . ونصوص القرآن صريحة وقاطعة في الدلالة على ذلك : **(وَقَدِمْنا الى ما عملوا من عمل فجعلناهُ هباءً منثورا)** ٢٣/الفرقان **(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء)** ٣٩/النور .

وبمقتضى هذه الحقيقة التي تبرز الفارق الجوهري الكبير بين طبيعة النظام الاسلامي وسائر الأنظمة الأخرى ، كان واجب المسلمين في السعي الى اقامة هذا المجتمع متمثلا باديء ذي بدء في العمل بالسبل الممكنة كلها على تنبيه العقول الى حقائق العقيدة الاسلامية ودلائلها العلمية الثابتة وعلى إزالة الشبهات التي قد تعوق دون الجزم بها ، ثم بالعمل بالسبل الممكنة ايضا على اخضاع هوى الأفئدة والنفوس لما استيقنته العقول وصدقت به . وهذا هو أعم معاني الجهاد واشملها واهمها في الشريعة الاسلامية .

وما من ريب في ان طريقا يتجه به سالكه الى العقول والأفئدة ، لا يصلح الا ان يكون طريق مرحمة وسلم وحكمة وأناة . وما من شك في ان أخطر العقبات التي قد تبرز على متنه إنما يتمثل في الضغينة والعنف .
وخير ما يمثل هذه الحقيقة ويبرزها صافية عن الشوائب ، قول الله عز وجل :

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل/ ١٢٥ .

فان أعوزك مظهر تطبيقي تتجسد فيه هذه الحقيقة ، فدونك فتأمل في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، واستعرض مراحل دعوته كلها ، فلن تجد من خلالها الا ممارسة مستمرة لهذه الحقيقة ، وسعيا دائبا على هذا الدرب .

لقد أمضى عليه الصلاة والسلام ثلاثة عشر عاما من عمر دعوته الى الله والجهاد في سبيله وهو يخاطب العقول بالارشاد والتذكير ، ويتجه الى القلوب يستثير فيها العواطف الانسانية والفطرة الاسلامية ، دون ان يحرفه عن ذلك الطريق ما امعنت فيه قريش من العناد والبغضاء ومقابلته بشتى مظاهر الكيد والعدوان .

وربما توهم بعض الناس ، أنه الضعف الذي كان يعانيه النبي واصحابه آنذاك ، فهو الذي منعه من ان يقابل الشر بمثله ، وحمله على الصبر الى حين ..

غير ان هذا وهم وباطل من القول .. فلو كان الذي يمسكه على تلك الحال من التجمل والرحمة وسعة الصدر ، عجزه عن المقاومة ورد الكيد بمثله ، إذن لفرضت

طبيعة الثورة نفسها على حاله ومظهره ، ولتجلى ذلك ، على أقل تقدير ، في حقد ينفثه او توعد يشفى غليله به ، ولدعا عليهم ذات مرة بالسحق والمحق ، لا سيما وان دعاء الرسل والأنبياء أمضى من اسلحة الثائرين .. ولكنا قد علمنا انه صلى الله عليه وسلم ما كان يستقبل عدوانهم الا بمزيد من الشفقة والرحمة ، ولقد أبى ان يحرك لسانه بالدعاء عليهم حتى في أحلك الساعات واقسى الظروف التي مرت به .

فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة واستقر به المقام فيها ، نظر المشركون فرأوا انه قد وجدت للنبي ارض يركن اليها ، واحاطت به جماعة تستن بسنته وتدعو بدعوته ، وانها بسبيل ان تنتشر في الناس وتستقر في افئدتهم وعقولهم ، فهاج بهم عندئذ هائج الضغينة والحقد ، وهبّت من ذلك ثورة لاهبة في صفوف المشركين ، تسعى لحماية الباطل الذي توارثه الأباء والأجداد ، وتلح على خنق حقائق الدين الذي بعث به محمد عليه الصلاة والسلام .

وهكذا فان الأمر سار على عكس ما يتوهمه المتوهمون .. فالدعوة الاسلامية ، التي اختط رسول الله سبيلها الآمن الحكيم ، هي التي واجهت من المشركين ثورة البطش والعنف والعدوان ، وليس المشركون هم الذين فوجئوا من النبي واتباعه بتلك الثورة التي تنسب على ألسنة بعض الناس الى الاسلام .

وما واجه المسلمون اعداءهم يوما ما « وهم بقيادة المصطفى عليه الصلاة والسلام » على طول تلك المواجهة وعرضها ، بشيء من تشنجات الثائرين واحقادهم الهائجة . وانما كانوا يتصدون لثورتهم بالاخماد ، ويواجهون قوتهم بالتوهين ، ويلاحقون جموعهم بالتفريق ، وقاية لحقائق الدين الاسلامي ان تغتال في اشخاصهم ، فينكفيء الناس مرة اخرى الى ظلام الجاهلية ، ويعودون الى ماضيهم التائه المشؤوم .

لقد قيل للنبي عليه الصلاة والسلام ، إن أهل نجد بحاجة الى من يدعوهم الى الاسلام ويعرفهم به . فأرسل اليهم سبعة من عيون أصحابه ، يخوضون اليهم غمار أحقاد ضارية ، دون ان يجهزهم عليه الصلاة والسلام الا بمنطق الحق مضمخا بلوعة الشفقة والحب ، فتخطفتهم جميعا يد الغدر ودارت عليهم رحى القتل ولم يعد منهم أحد !.. ثم قيل مرة اخرى له عليه الصلاة والسلام عن شدة احتياج اهل نجد الى من يعرفهم بالاسلام ، فأرسل اليهم بدلا من اولئك السبعة سبعين من خلص أصحابه ، ولم يجهزهم الا بمثل ما جهز به إخوانهم من قبل ، فما كادوا يبعدون في ارض نجد حتى أحيط بهم ، وقتلوا عن آخرهم ، الا واحدا فقط ، وهو عمرو بن أمية الضمري ، وكأن الأقدار استبقته ليعود بالنبأ الأليم الى رسول الله .

فأي الفريقين ثائر هائج مغتاظ ، وأيهما يسعى الى إنفاذ دعوة الحق مضمخة بضياء المنطق ، نابضة بروح المحبة والاخلاص ؟!

ولما صد المشركون رسول الله عن البيت ، وقد اتجه اليه مع اصحابه معتمرين مسالمين آثر السلامة ، وعاد الى المدينة أدراجه ، ووقع مع المشركين على كتاب

صلح بين الفريقين كانت بنوده كلها خدشا لكرامة المسلمين واجحافا بحقهم ، لو انهم كانوا يسيرون في معاملة المشركين سيرة الثائرين .

ولما امكنه الله من العودة ظافراً الى مكة ، واظفره الله بأهلها ، وسار اليها ممتطيا أعلى ذرى القوة والنصر ، كان يراقب قلبه ألا يتسلل اليه شيء من روح السخيمة وهوى الانتقام ، وكان يحاذر الا يتسلل الى رأسه شيء من نشوة الظفر والانتصار ، وكان يراقب اصحابه ايضا ويحذرهم من ان يفتحوا افئدتهم لشيء من تلك المشاعر .. ولما بلغه ان سعد بن عبادة قال ، وهو على مشارف مكة ، كلمة اجرتها نشوة النصر على لسانه ، « اليوم يوم الملحمة ، اليوم نستحل الكعبة » رد عليه رسول الله قائلا : « بل اليوم يوم المرحمة .. اليوم تكسى الكعبة » .

وأبى رسول الله ، وهو يدخل مكة من اعلى قمم النصر ، الا ان يكون خاشع القلب مطأطىء الرأس ، يرتدي كسوة الذل والعبودية لمولاه !.. وقدم على المشركين قدوم الغائب على أهله .. وبدّد مخاوفهم من البطش والانتقام بقوله : اذهبوا فأنتم الطلقاء !..

فتلك هي صورة مراحل الدعوة الاسلامية في حياته صلى الله عليه وسلم كلها ، هل تجدها مسوقة الا برحمة القلب وشفقة النفس ، وهل تجدها متجهة الا الى العقول بالاقناع والى الأفئدة بايقاظ معاني الانسانية والحب ؟!..

غير ان المشكلة التي قد ترد على كلامنا هذا - في تصور بعض الناس - هي مسألة الجهاد .. أليس الجهاد أقدس شرائع الإسلام ؟ وهل يكون لمعنى « الثورة » مظهر أجل من هذا وأبرز ؟

والجواب أن الجهاد الذي شرعه الله قتالا للكافرين ، واستقر بابا من اخطر ابواب الفقه الاسلامي ، ليس في حقيقته اكثر مما تشرعه أي دولة ديمقراطية مسالمة اليوم ، بصدد حماية سلمها ورعاية أمنها .. وهو شيء ضروري لابد منه باجماع سائر فلاسفة القانون وعلم الاجتماع ، مادام ان البغي على وجه الأرض لم ينقطع بعد ، وأن مطامع الظلم والعدوان لا تزال بارزة المخالب والأنياب .

هل تجد دولة على وجه الأرض لا تهتم بانشاء جيش لها ، ولا تنصرف الى حماية ثغورها وتحصين حدودها ؟.. ان الجهاد الذي شرعه الله وألزم به عباده المسلمين ليس اكثر من ذلك ، مهما رأيت له من مظاهر وأشكال .

يقول ابن رشد في مقدماته على مدونة الامام مالك : « فاذا هوجر العدو ، وحميت أطراف المسلمين وسدت ثغورهم ، سقط فرض الجهاد عن سائر المسلمين » مقدمات ابن رشد ص٢٦٣ .

ويقول الشربيني في مغني المحتاج / ج ٤ ص٢١٠ : « ويحصل فرض الكفاية بأن يشحن الامام الثغور بمكافئين للكفار ، مع إحكام الحصون والخنادق وتقليد الامراء » .

وحسبك ان تعلم أن مشروعية الجهاد ليست من قبيل شرعة المقاصد والغايات ، وانما هي وسيلة لابد منها في ظروف معينة تفرض نفسها ، لتحقيق

غايات انسانية لا غنى عنها .

يقول العز بن عبدالسلام « ان الجهاد لا يتقرب به الى الله من جهة كونه افسادا ، وانما يتقرب به من جهة كونه وسيلة الى درء المفاسد وجلب المصالح » قواعد الأحكام ١/١١٢ ومعنى هذا ، كما قال جمهور الفقهاء ، ان الأصل هو السلم وحقن الدماء ، ولا تشرع الحرب إلا عندما تكون هي الوسيلة الوحيدة الى حماية السلم ودرء الفتن وحماية الأرواح . وعندئذ لا مناص من تطبيق القاعدة القائلة : يتحمل الضرر الأخف درءا للضرر الأعظم .

وبمقتضى ذلك يقرر معظم الفقهاء ان الباعث على القتال الذي يدخل في تعريف الجهاد ، انما هو درء الحرابة ، وحماية واجب الدعوة الاسلامية أن يمكن المسلمون من النهوض به على أتم وجه ، وليس صفة الكفر التي يتلبس بها غير المسلمين .

ومن أبرز الأدلة على ذلك ان رسول الله مازال ينهي في غزواته عن قتل الأجراء والعبيد والنساء والشيوخ ، والرهبان الذين انقطعوا في كهوفهم أو معابدهم . وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده على هذا النهج . فلوكان الباعث على القتال كفرا ، لاستوى في موجب القتل هؤلاء وغيرهم،بداية المجتهد ١/ ص ٣٧٢ .

غير ان هذا لايعني أن الجهاد في الشريعة يدخل تحت ما يسمى بالحرب الدفاعية .. فهذا العنوان ، لا يعبر عن حقيقة معنى الجهاد ولا عن طبيعته .

ان الجهاد (اذا ميزنا عنه قتال الصائلين والبغاة) انما يبتغي منه درء أسباب الحرابة والظلم من جانب ، وحماية واجب الدعوة الاسلامية التي كلف الله بها جميع عباده المسلمين من جانب آخر .. اذ الاسلام بمعناه الاعتقادي والسلوكي ، هو المنهج الذي فطر الله عليه عباده واختاره لهم والزمهم به في هذه الدنيا ، ولاراد لما ألزم الله عباده به ، لذا فقد كان عليهم جميعا ان يتقيدوا به في حق أنفسهم ، ثم ان ينشروا دعوته والتعريف به في اهل الأرض جميعا على اتم وجه وبأقوم سبيل .
وما ينبغي ان تلقى هذه الدعوة أي صدّ أو عدوان ، مادامت مقيدة بحدود التعريف العلمي وازالة ما قد يكتنف الاسلام من شبه ومشكلات . فان لقيت هذه الدعوة صدا وعدوانا ، فهو ظلم صريح يملك المسلمون حق مجابهته والوقوف في وجهه ، ولا فرق بين ان تأخذ هذه المجابهة شكل الهجوم او الدفاع .

إذن فالجهاد ليس مظهرا لثورية الاسلام كما قد يتوهم بعض الناس . وانما هو الحزام الذي تتخذه اي أمة من الأمم ، في اي زمان ومكان ، لحماية سلمها ، والتمكن من اداء دورها الإنساني البناء على صعيد الأسرة الانسانية جمعاء .

★★★

وبعد ، فانما اردت ان أخلص من هذا كله الى تأكيد النقاط التالية ، واني لعلى يقين بأنها تهم كل متحرق على عودة راشدة الى الاسلام ، مهتم بأمر الدعوة الاسلامية والعمل لمصلحته ، بشكل ما :

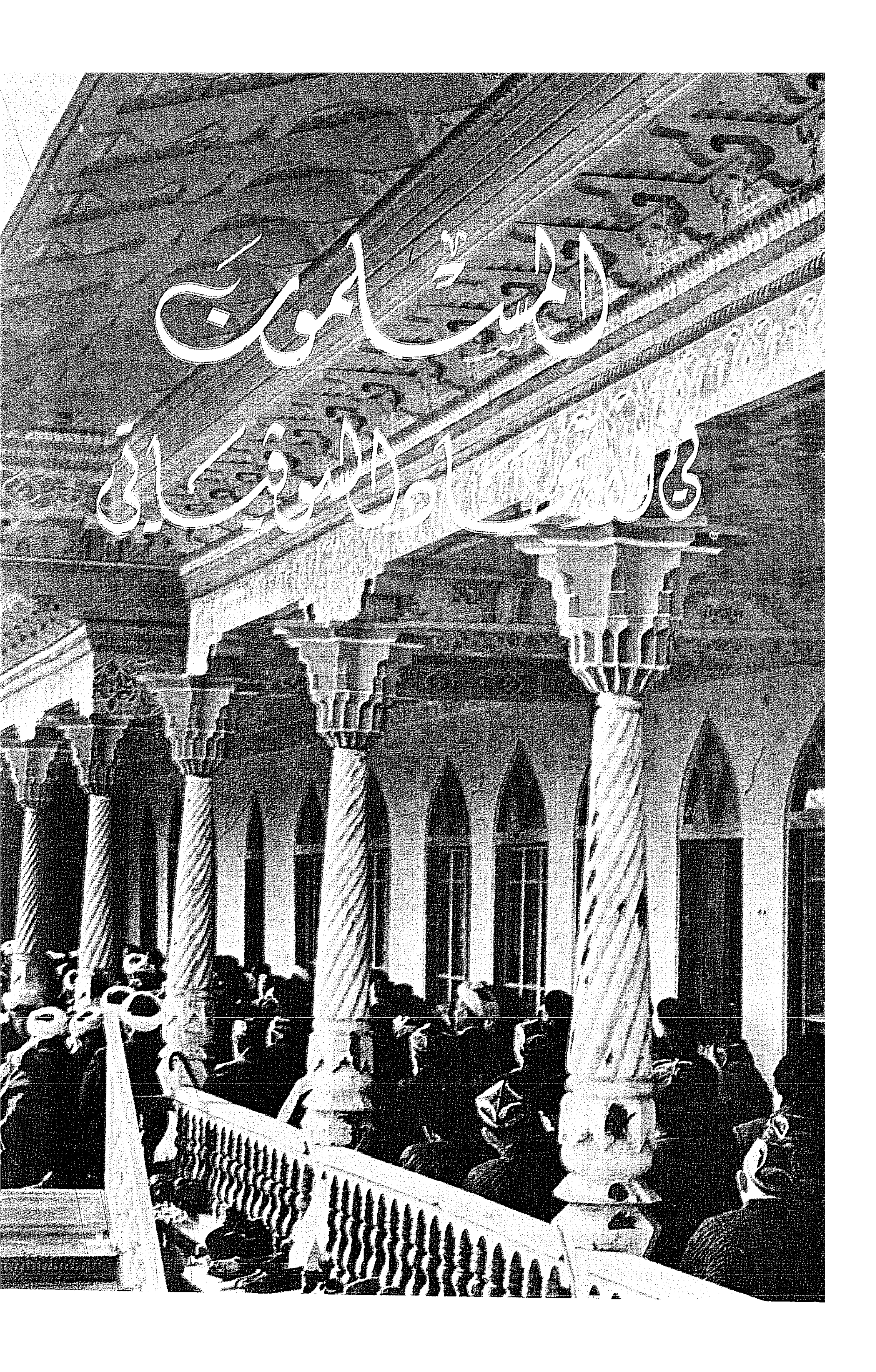
اولا : يتميز هذا العصر بكثرة الحركات الثورية التي تظهر في كثير من اطراف العالم الثالث ، مدفوعة بعوامل واسباب شتى ، ولكنها جميعا تتلاقى على صعيد مشترك يمثل الهياج النفسي والأحقاد المستعرة والسعي الى التشفي والانتقام .. وقد تجد بين اصحاب هذه الحركات من يكون معذورا في وقوعه تحت سلطان هذه العوامل . ولكن فليحاذر أولئك الذين لا غرض لهم الا العمل من أجل الاسلام والدعوة اليه ، من أن يصابوا بعدوى هذه الحركات ووبائها . فمحال ان ينهض وجود حقيقي للاسلام على دعامة من هذا القبيل !.. ان كل نظام من النظم الوضعية قد يفرض لصقا ، بواسطة الضغط الثوري ، الا الاسلام ، فانه لا يستقر وجوده إلا بغرس أصوله في تربة الأفئدة والعقول ، ثم استنباته بالرعاية والتوجيه ولا يتم هذا الا بمعاناة فردية صابرة .

ثانيا ـ انما يتكون المجتمع الاسلامي من أفراده الصالحين أولا . ولا تتمثل مهمة المسلمين في اكثر من النهوض الحقيقي بهذا الواجب . فإن هم انجزوا ذلك في صبر وإخلاص ، تكفل الله لهم ببقية الأمر ، وتوج جهودهم هذه بنظام إسلامي متماسك وسلطة اسلامية راشدة .. لذا ، فليحذر المسلمون من آفة هي اخطر آفات الحركات الاسلامية التي قد تظهر هنا وهناك ، اذ ما يكاد اصحابها يرون ان الاقبال على الاسلام يتزايد ، وان يقظة اسلامية واعية بدأت تظهر في صفوف الأجيال الناشئة ، وان الانظار أخذت تحسب للقوة الاسلامية حسابا ـ حتى تعاجلهم النشوة ويستبد بهم الزهو !.. فيتركون القاعدة التوجيهية التي ما كلفهم الله بغيرها ، ويطمحون الى حيث القمة ليبدلوا النظم والمظاهر والأشكال !!.. ولابد أن ينكفىء هؤلاء الطامحون على أعقابهم ، وقد خسروا قواعدهم الأولى ولم يفوزوا بأحلامهم الأخرى !.. وتلك هي مصيبة كثير من أصحاب الحركات الاسلامية في اكثر بقاع الأرض .

ثالثا ـ على المسلم الذي ينهض بأعباء الدعوة الاسلامية ، ان يكون شديد الرقابة على نفسه ، فلا ينتصر لها من حيث يتوهم أنه ينتصر لدين الله .. فإن بين هذين الطرفين حاجزا دقيقا جدا لا يكاد يبين ، ولكنه مع ذلك حاجز ذو أهمية بالغة ، ان ضاعت معالمه على السالك وقع من جرّاء ذلك في مغبة ضياع خطير ، وذهبت جهوده كلها أدراج الرياح .

★★★

لست أدري ، وانا اقرر هذه الحقيقة ، هل كنت رقيبا على نفسي الى الدرجة القصوى ، متيقظا للحاجز الدقيق الذي يمنعني من الانجراف نحو الانتصار للذات ؟.. أرجو ان اكون قد وفقت لذلك . وإني لأعوذ بالله من فتنة النفس والهوى .


المسلمون
في الاتحاد السوفياتي



الوفد الاسلامي السوفيتي

○ ضيف وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

○ زار الكويت منذ ايام قليلة ماضية وفد اسلامي من الاتحاد السوفيتي . والوفد يمثل المسلمين هناك ، والبالغ عددهم « ٧٠ » مليون مسلم ،

○ وقد اعدت الوزارة للوفد الاسلامي السوفيتي برنامجا حافلا اطلع خلاله على المعالم الاسلامية في الكويت ، ومقابلة كبار المسئولين هنا .

○ والوفد يتكون من :-

○ سماحة المفتي : الحاج محمود بن كيكي رئيس الادارة الدينية لمسلمي شمال القفقاس .

○ وعضوية كل من :

○ زاهد عبدالقادر - المدرس بالمعهد العالي الاسلامي في طشقند ، باسم الامام البخاري .

○ والشيخ محمد صادق كما - امام وخطيب المسجد المركزي في جمهورية قرقيزيا .

○ وهذه الزيارة تمت بناء على دعوة رسمية تلقاها الوفد من وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية - وتعتبر اول زيارة يقوم بها وفد اسلامي سوفياتي لدولة الكويت .

وقد كان لمجلة الوعي الاسلامي شرف مقابلة الاخوة الزوار واجراء هذا الحوار معهم وذلك حول مختلف القضايا التي تهم المسلمين ...

○ سماحة المفتي ما هي أهداف زيارتكم للكويت وهل حققتم تلك الأهداف ؟

● لعل اهم سبب لزيارتنا هذه هو التعرف على اخوان لنا في الله هنا في الكويت ... وذلك تحقيقاً لقوله تعالى : « **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » ولقد حثنا رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم على تبادل الزيارات ويسرنا جداً مقابلتكم انتم في مجلة الوعي الاسلامي لأنقل لكم تحياتنا الشخصية وتحيات ٧٠ مليون مسلم يعيشون في الاتحاد السوفيتي ...

ان تبادل الزيارات بين المسلمين لهو امر مهم جداً ... ورؤية أخوة اعزاء لنا تربطنا بهم رابطة العقيدة الواحدة ... عقيدة التوحيد ورسول واحد صلى الله عليه وسلم وكتاب واحد هو القرآن الكريم .. امر ضروري بالنسبة لنا ...

○ من قابلتم في الكويت ؟

ـ لقد كان لنا الشرف الكبير بمقابلة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله الصباح كذلك التقينا بمعالي وزير الأوقاف السيد أحمد الجاسر ووكلاء الوزارة

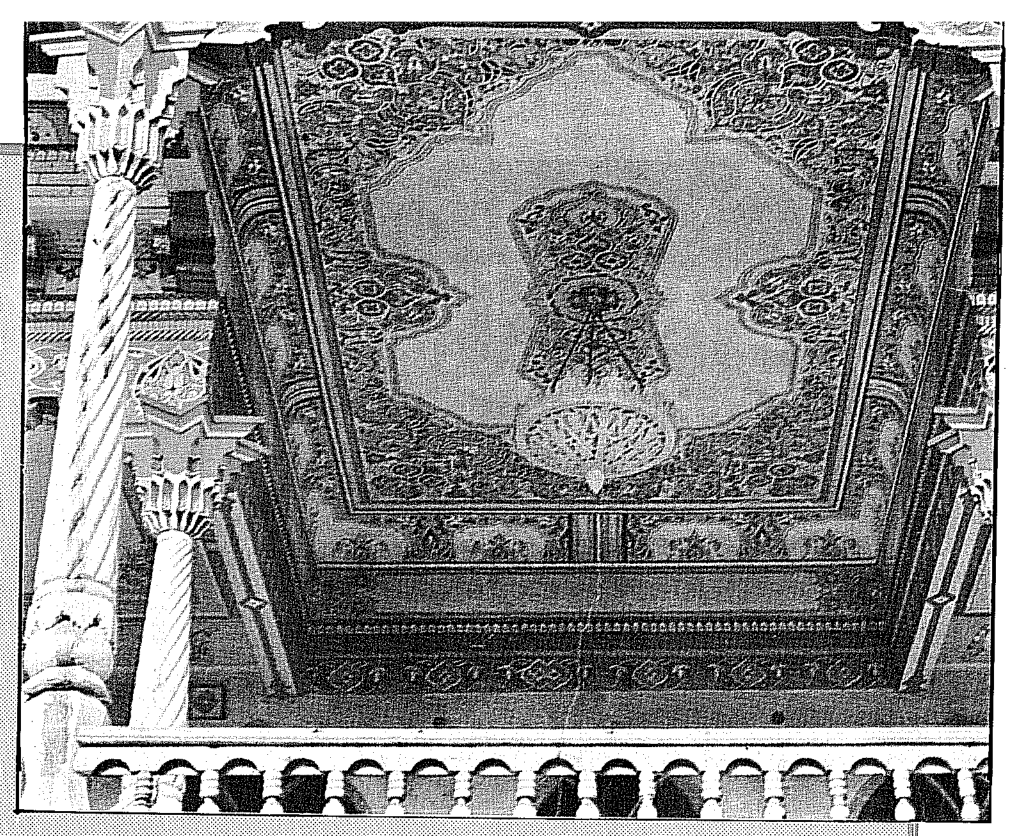


* رئيس الوفد الحاج محمود بن كيكي .

وموظفيها كما زرنا قسم الموسوعة الفقهية وزرنا اقسام المجلة واطلعنا على سير العمل بها لقد سعدنا جدا بهذه اللقاءات ونحمد الله كثيراً على توفيقه لنا بمقابلة هؤلاء الاخوة .

○ هل زار سماحة المفتي دولا اسلامية اخرى غير الكويت ؟

● نعم .. لقد زرت موريتانيا وغانا وفولتا العليا واليمن الشمالية ، وقد سررت كثيرا عندما علمت ان كثيراً من النصارى في هذه الدول قد من الله عليهم وهداهم الى الاسلام .. ولدي النية ان شاء الله لزيارة دول اسلامية أخرى في المستقبل .



○ سماحة المفتي .. هل لك ان تقول لنا شيئاً عن الحرية الدينية في الاتحاد السوفيتي ؟

● ـ بكل سرور ... يضمن دستور الاتحاد السوفيتي للمواطنين السوفييت حرية الاعتقاد لكل مواطن وذلك دون تدخل الحكومة .. نحن في الادارات الدينية نقوم بمهمة الاهتمام بالشئون الاسلامية كما نرعى اقامة الشعائر الدينية الاسلامية واصدار الفتاوي وتعيين الائمة وخطباء المساجد كما يدخل في اختصاصنا طبع الكتب الاسلامية والمصاحف واقامة المؤتمرات الاسلامية ..

والحكومة السوفيتية لا تتدخل في شئون المسلمين ونحن كذلك لا نتدخل في شئون الحكومة ...

○ سماحة المفتي هل لكم أن تعطونا فكرة عن المراكز الاسلامية في الاتحاد السوفيتي ؟

○ توجد في الاتحاد السوفيتي أربع ادارات دينية مستقلة تنظم الشئون الدينية لمسلمي الاتحاد السوفيتي :

الأولى : تقع في طشقند واسمها الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازقستان ويرأس هذه الادارة الدينية سماحة المفتي شمس الدين خان ابن المفتي الراحل ضياء الدين خان .

الثانية : الادارة الدينية لمسلمي شمال القوقاز وهي الادارة الدينية التي أرأسها ..

الثالثة : الادارة الدينية لقسم سيبيريا وأوروبا من الاتحاد

السوفييتي ويرأسها سماحة المفتي طلعت تاج الدين وهو خريج من جامعة الأزهر الشريف ..
الرابعة : الادارة الدينية لمسلمي ما وراء القوقاز .

○ سماحة المفتي .. بودنا لو نعرف عدد الحجاج السوفييت الذين يحجون إلى بيت الله الحرام سنويا ؟

○ يزور بيت الله حجاج سوفييت كل سنة وبعدد قليل وقدحججت أنا شخصيا أربع مرات وأنوي زيارة بيت الله الحرام في السنوات المقبلة إن شاء الله ..



* السيد/زاهد عبد القادر - عضو الوفد

○ هل لنا ان نعرف العدد السنوي لحجاج بيت الله الخارجين من الاتحاد السوفيتي ؟

○ بحدود ٢٠ - ٢٥ حاجا سنويا

○ سماحة المفتي .. كما تفضلت وبينت أن عدد مسلمي الاتحاد السوفييتي يبلغ ٧٠ مليون مسلم فهل تعتقد أن ٢٠ أو ٢٥ حاجا يمثلون شيئا لهذا العدد الضخم ؟

○ لعل السبب الرئيسي في عدم زيادة هذا العدد هو المصاعب الناتجة عن عدم امكانية الحصول على إذن لزيارة المملكة العربية السعودية وذلك بسبب عدم وجود علاقة بين بلدنا والسعودية .. ويضطر حجاجنا للذهاب إلى بلد ثالث مثل مصر أو الاردن أو سوريا ثم الحصول على إذن الزيارة من السفارة السعودية هناك ..

نأمل أن يزداد عدد الحجاج السوفييت في المستقبل إن شاء الله ..

○ هل تصدرون نشرات أو مجلات إسلامية في الاتحاد السوفيتي ؟..

○ نعم لقد طبعنا المصحف حوالي ٧ مرات وفي كل مرة نطبع ما يقارب من ٥٠ - ٧٠ الف نسخة كما نطبع ونصدر مجلة إسلامية بعنوان « المسلمون في الشرق السوفييتي » وهي تصدر باللغات : العربية ، التركية ، الفرنسية ، الانجليزية والفارسية . جميع المطبوعات تتم على نفقة تبرعات المسلمين .



* الشيخ محمد صادق عضو الوفد مع مندوب المجلة نجيب الرفاعي .

○ هل لكم علاقات مع جهات خارجية إسلامية ؟

نعم .. لدينا علاقات مع حوالي ٧٠ دولة إسلامية وغير إسلامية حيث نتبادل المنشورات والزيارات ..

○ هل لديكم ما يكفيكم من كتب إسلامية ؟

○ لدينا كتب إسلامية كثيرة . نحصل على الكتب الاسلامية من رابطة العالم الاسلامي في مكة .. كما تصلنا الكتب الاسلامية وكتب التدريس باللغة العربية من جمعية الدعوة الليبية ..

○ سماحة المفتي .. ماذا عن أفغانستان ؟

○ نحن لم نأت لأغراض سياسية بل هدفنا هو الامور الدينية فقط

○ هل أعجبتكم الكويت وهل من كلمة أخيرة ؟

○ نحن مسرورون جدا باللقاءات التي حصلت بيننا وإخواننا المسلمين في الكويت وسنحكي لأخوانكم المسلمين في الاتحاد السوفيتي عن هذه اللقاءات كما سنكتب عنها في مجلاتنا ونشراتنا ..

ندعو لكم بالتوفيق في مجلة الوعي حيث أن عملكم هذا يعتبر جهادا في سبيل الله ..



للاستاذ / محمد عزت الطهطاوي

من العلماء المسلمين الأفذاذ ، ولد ونشأ في بلاد الهند ـ وكان له شرف الدفاع عن الاسلام والتصدي لاعدائه هناك ـ حيث أرادوا القضاء عليه ـ فرد كيدهم في نحورهم فباءوا بالخيبة والخسران المبين .

يصفه الدكتور بركات عبدالفتاح دويدار عميد كلية الدعوة الاسلامية بجامعة الازهر بقوله : « **لقد كنا في مصر ولا يسمع بالشيخ رحمة الله الا بعض الخواص ، ولكن بمرور الزمن وجدناه يتصدر الاستاذية حيث اتجه الكثيرون للتلمذة عليه بعد وفاته ليعوضوا مافاتهم في حياته ، فصار كالمعدن النفيس الذي لا تفقد نفاسته مهما طال الزمن . وينقب عنه الباحثون علهم يظفرون منه بشيء** . كتاب المدرسة الصولتية د . أحمد حجازي السقا

ويقول عنه الدكتور / أحمد حجازي السقا المحقق لكتاب إظهار الحق ، للشيخ رحمة الله في طبعته الأخيرة « لقد رد الشيخ رحمة الله ومساعدوه على الحركة التبشيرية بمثل ما يفعل المبشرون ، ردوا على الكتب بالكتب ـ وأسسوا جماعة التبليغ للدين الاسلامي ـ وبمناظرته للقسيس « بفندر » رئيس البعثة التبشيرية ببلاد الهند وغلبته له ، رفع المسلمون رؤوسهم الى السماء

بانتصار الاسلام على النصرانية ولما خزى النصارى فكروا في الاعداد العسكري المسلح للاستيلاء على الهند استيلاء كليا وتم لهم ذلك سنة ١٨٥٧ ميلادية » . كتاب إظهار الحق تأليف الشيخ رحمة الله الهندي طبعة ١٩٧٨ نشر دار التراث العربي بالقاهرة .

ذلك هو الشيخ رحمة الله بن خليل الله المعروف بخليل الرحمن ولد بحى (درباركلان) في قرية (كيرانه) التابعة لمحافظة (مظفرجار) في بلاد الهند في غرة جمادى الاولى سنة ١٢٢٣ هـ الموافق ٩ من مارس ١٨١٨م ـ أما نسبه فينتهي الى عبدالله الكبير بن عمر بن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وما يزال نسب هذه الذرية المباركة لعثمان بن عفان الذين استوطنوا بلاد الهند محفوظا في (الطوبار) أي السجل التاريخي القديم جيلا بعد جيل حتى اليوم في مبنى جلال الدين في مدينة (باني بت) .

وكانت عائلته واسعة الثراء عظيمة الجاه كبيرة النفوذ حتى ليقال إن الشيخ ولد في قصر من قصورها المشيدة ـ وفي صغره قرأ القرآن الكريم ـ ودرس كتب الشريعة الاسلامية واللغة العربية واللغة الفارسية على يد آبائه ـ ولا ستكمال تعليمه العالي ارتحل الى مدينة (دلهي) حيث التحق بمدرسة الاستاذ / محمد حيات ثم اتجه الى (لكنوك) مدينة العلم والادب والحضارة ، وتتلمذ هناك على المفتي سعدالله كما تتلمذ على آخرين من علماء الاسلام .

ثم عاد الشيخ رحمة الله الى وطنه في قرية كيرانه حيث اشتغل هناك بالتدريس . المرجع السابق

هجمة النصرانية على بلاد الهند وموقف الشيخ رحمة الله منها :

وفي ذاك الزمان من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي كان المبشرون (النصارى) من طائفة البروتستانت جادين في نشر دينهم في بلاد الهند ويستهدفون الاسلام بكل طاقاتهم ، فأخذوا في الانتشار في جميع البلاد يبشرون بصليبيتهم في مجامع الناس وينشرون رسائلهم وكتبهم بين مختلف الطبقات ـ وكان منهم القسيس (بفندر) رئيس البعثة التبشيرية في عموم الهند ، وقد ألّف كتابا سماه (ميزان الحق) يدعو فيه السكان علنا الى النصرانية ، فدبّ الملل في نفوس الناس ـ وكادوا أن يخرجوا من ملتهم ـ وفجأة تنبه علماء المسلمين وعلى رأسهم الشيخ رحمة الله بن خليل الله للخطر الداهم على الاسلام والمسلمين هناك ، فوضعوا خطتهم التي ترتكز على محورين :

المحور الاول .

مطالعة كتب الدين النصراني وما شرحه علماؤهم في عقيدتهم كي يعرفوها حق المعرفة عند مناظرتهم لخصومهم أو عند الكتابة عنها .

المحور الثاني :

مقاومة الغزو التبشيري النصراني بأسلوب الفكر المستنير وإظهار الحجة القوية دفاعا عن الاسلام ودحضا للنصرانية وذلك على رؤوس الاشهاد .

وفي هذا يقول الشيخ رحمة الله « دعوت العالم النصراني « بفندر » أكبر القسيسين ورئيس البعثة التبشيرية في الهند للمباحثة والمناظرة علنا وعلى مرأى ومسمع من الناس لنحق الحق ونزهق الباطل - وقد انعقدت الجلسة الأولى للمناظرة في التاريخ المحدد لها بحي (أكبر أباد) في مدينة (أجرا) وكان مرافقا للشيخ رحمة الله الدكتور محمد وزير خان كما كان مرافقا للقسيس بفندر القسيس (فرينتش) أما شهود تلك المناظرة فكانوا كثيرين منهم رئيس الديوان ومستشار النظارة المالية والمفتي الحافظ - وباشكاتب النظارة المالية - ونائب أمير مدينة بنارس - وإمام الجامع الكبير في أجرا الشيخ قمر الاسلام كما حضرها رئيس تحرير جريدة مطلع الاخبار خادم علي خان وبعض أمراء الانكليز ومستر وليم حاكم المعسكر ومستر ليدلي المترجم الاول للدولة . **كتاب مجاهد في التاريخ ترجمة الدكتور احمد حجازي السقا** .

موضوعات المناظرة التاريخية :

كانت موضوعات المناظرة التي اتفق عليها خمسة هي

١) النسخ .
٢) التحريف .
٣) التثليث .
٤) حقية القرآن .
٥) رسالة محمد « صلى الله عليه وسلم » .

ماذا دار في جلسة المناظرة الاولى بتاريخ ١٠ من ابريل سنة ١٨٥٤ ؟

في بداية هذه الجلسة قام الشيخ رحمة الله وعرض وجهة نظره في النسخ وتحريف الانجيل وأثبت بأدلة استخرجها من كتب أهل الكتاب أنفسهم أن النسخ ممكن عقلا وواقع فعلا وأن الانجيل المتداول ليس هو الذي نزل من السماء على المسيح عليه السلام وخلال المناقشة اعترف القسيس بفندر بقوله (لا يوجد التحريف إلا في سبعة مواضع أو ثمانية في الانجيل) فعندئذ وقف الشيخ قمر الاسلام إمام المسجد الجامع وقال للمحرر الصحفي خادم علي خان اكتب في صحيفة مطلع الأخبار أن القسيس بفندر اعترف بالتحريف في الانجيل في سبعة مواضع أو ثمانية .

فصاح القسيس بفندر « نعم أنا اعترف الى هذا الحد - ولكن مثل هذا القدر القليل لا يضر الكتب السماوية » الا أن الشيخ رحمة الله ردّ عليه بقوله اذا ثبت

التحريف في وثيقة من الوثائق فانه لا يعمل بها وتكون لاغية - وحيث قد أقررتم بثبوت التحريف في سبعة أو ثمانية مواضع فكيف يكون الانجيل (الذي أصيب بالتحريف) صحيحاً وتؤمنون به وتدعون اليه .

والى هنا انتهت الجلسة الاولى من المناظرة واتفق الطرفان على الحضور في جلسة أخرى تعقد في اليوم التالي . المرجع السابق

جلسة المناظرة الثانية بتاريخ ١١ من ابريل سنة ١٨٥٤ :

ولقد حضر في جلسة هذه المناظرة كثير من رجال الدين والسلك السياسي وكبار الناس كما حضرها القسيس وليم كلين - والقسيس هارلي وآخرون كثيرون غيرهم من رؤساء البلاد وكبار رجال الحكومة وعلماء الدين وعامة الشعب ذلك لأن الناس سمعوا بما دار في الجلسة السابقة وأن المسلمين قد غلبوا القساوسة النصارى .

وعندما انعقدت هذه الجلسة جرت المناظرة حول تحريف الانجيل - لكن لوحظ أن القسيسين كانوا يتحدثون بمنطق ملتو - ويحتدون في المناقشة بغضب شدّيد ، وينطقون بكلمات تستفز الشيخ رحمة الله وتغضبه ، لشعورهم بانعدام حجتهم وضعف موقفهم ، وعلى العموم فقد انتهت تلك الجلسة بهزيمة القسيس بفندر والذين معه - وعندئذ امتنع ذلك القسيس عن الحضور في باقي الجلسات واكتفى بمراسلة الشيخ رحمة الله في أول مايو سنة ١٨٥٤م وحتى ١٦ أغسطس من تلك السنة وما ردّ بجواب مقنع مما دعا الدكتور وزير خان الى توجيه رسالة اليه يقول فيها (كان يجب عليكم) :

أولا : الاجابة عن أسئلة الشيخ رحمة الله ثم بعد ذلك .

ثانيا : تلقون الانجيل وراء ظهوركم لاقراركم بتحريفه ، ولا تمتنعون عن حضور جلسات المناظرة حتى يتم بحث الموضوعات المتفق عليها . المرجع السابق

أسباب امتناع القسيس عن حضور المناظرة بعد انصرام جلستيها الاولى والثانية :

حدث في بداية انعقاد المناظرة الاولى أن أخذ الشيخ رحمة الله على نفسه عهدا أمام الحاضرين أنه اذا لم يستطع الاجابة على أسئلة القسيس بفندر فسيلزم نفسه بقبول عقيدة النصرانية ، كما التزم بهذا الشرط وأخذه على عاتقه القسيس المذكور إذ أعلن بأنه اذا غلب في المناظرة فسيعتنق دين الاسلام .

فلما أثبت الشيخ رحمة الله في مدة يومين فقط أن الانجيل شابه التحريف ، وانتزع الاعتراف الصريح بهذا من القسيس المذكور أمام الحاضرين امتنع القسيس عن

الحضور حتى لا تتكرر هزائمه في باقي مواضيع المناظرة فيضطر الى ترك دينه تنفيذا للشرط السابق الالماع اليه ـ لذلك فانه اكتفى من الغنيمة بالفرار من الميدان ليلعق جروح ذلته وجهله وحتى يسدل الستار على فشله الذريع .

ولما سمعت رئاسة الكنيسة البروتستانتية في أوروبا بما حدث لقسيسها بفندر من هزيمة ، سحبته من بلاد الهند وأوفدته ـ الى المانيا وسويسرا وبريطانيا ثم الى القسطنطينية عاصمة الخلافة الاسلامية وقتئذ ـ عضواً في بعثة تبشيرية أخرى لنشر النصرانية هناك .

وفي القسطنطينية أشاع ذلك القسيس كذبا أن علماء المسلمين في بلاد الهند فشلوا في مناظرته لهم ، مما أدى الى انتصار النصرانية على دين الاسلام ، فانزعج السلطان العثماني من تلك الاشاعة الكاذبة وحزن حزنا شديدا ، وأرسل سريعا في طلب الحقيقة من واليه بمكة المكرمة ، حيث كان يقيم الشيخ رحمة الله بعد فراره من بلاد الهند ولجوئه الى الاراضي الحجازية إثر احتلال القوات الانجليزية للهند ومحاولتهم القبض عليه عند مقاومته لهم . المرجع السابق

كيف احتفى السلطان العثماني بالشيخ رحمة الله ؟

ولما عرف السلطان العثماني بحقيقة مادار في المناظرة بين الشيخ رحمة الله والقسيسين في بلاد الهند وتغلبه عليهم ، أرسل في طلبه ، وبمجرد وصوله الى مدينة القسطنطينية ترك القسيس بفندر بعثته التبشيرية وفرّ هاربا من هناك ـ أما السلطان العثماني فقد خرج لاستقبال الشيخ رحمة الله في موكب رسمي واحتفى به حفاوة بالغة ، فقد دعا في حفل استقباله جميع علماء الدين في قاعدة الخلافة وكبار رجال الدولة واستمع الجميع من فم الشيخ لتفاصيل مادار في مناظرته مع القسيس بفندر وكيف قاوم جيوش الغزو الانجليزي في بلاد الهند . ولما انتهى الحفل الرسمي أنعم عليه السلطان بالخلعة السلطانية ، وأكرمه بالوسام المجيدي ، وجعل له راتبا شهريا من قبل دولة الخلافة . وكان يسمح له بحضور المجلس الاعلى لشئون الدولة مع شيخ الاسلام ورئيس الوزراء .

وسدا لباب الفتنة أمر السلطان العثماني بالقبض على القسيسين الأجانب ومصادرة كتبهم وطردهم من البلاد . المرجع السابق

حالة الهند السياسية في ذلك الوقت :

كانت الهند في ذلك الزمان تحت سلطان المغول المسلمين لكن في وقت بدأ فيه سلطانهم يلفظ أنفاسه الأخيرة من الضعف ـ وكانت شركة الهند الشرقية « الانجليزية » تعمل على

بسط نفوذها على عموم الهند ـ ولما قام الهنود بثورتهم الكبرى ضد تلك الشركة سنة ١٨٥٧ انتهت الثورة باستئصال الحكم المغولي والقضاء على الحكومة الاسلامية واستيلاء الانجليز على جميع البلاد ـ وكان من أول أعمالهم مجابهة الاسلام والمسلمين فقتلوا الآلاف المؤلفة من خيرة علماء المسلمين المجاهدين هناك فثار الشيخ رحمة الله على الانجليز وقاومهم أشد المقاومة مع من كان معه إلا أن الانجليز استعملوا الخديعة واشتروا بعض المواطنين الخونة فانهزم المجاهدون المسلمون ، وفرّ الشيخ رحمة الله الى مكة المكرمة في سنة ١٢٧٤ هـ التي توافق سنة ١٨٥٨ م كما قدمنا آنفا .

ولما لم يعثر له الانجليز على أثر في بلاد الهند ، أحصوا أملاكه وكانت كثيرة وصادروها جميعا وباعوها في مزاد علني بثمن بخس روبيات معدودة بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٨٦٤ م انتقاما منه . المرجع السابق

قيام الشيخ رحمة الله بالتدريس في المسجد الحرام :

ولما استقر به المقام في مكة المكرمة علم بمقدمه كبير علمائها الشيخ أحمد ابن زيني دحلان ، الذي كان يقوم بالتدريس في المسجد الحرام فقابله ودعاه الى ضيافته وأكرمه غاية الاكرام خصوصا لما سمع بما جرى في المناظرة التي كانت بينه وبين القسيس بفندر أمام رؤساء الهند وسفراء الدول الاجنبية وغلبة الشيخ رحمة الله على القسيس المذكور ، ثم طلب كبير علماء المسجد الحرام من الشيخ القيام بالتدريس في المسجد الحرام حتى ينتفع الناس به وبعلمه فقام به خير قيام .

مؤلفاته في نقد دين النصرانية وغيرها :

ألّف الشيخ رحمة الله كتبا كثيرة في نقد دين النصرانية والرد عليها وياحبذا لو اهتم المسلمون وولاة أمورهم في زماننا المعاصر لا بطبعها ونشرها فحسب ، بل وتدريسها في مختلف المعاهد الدينية والعلمية ليتسلح المسلمون بها أمام الحملات التبشيرية الضارية التي يوجهها الغرب الصليبي حاليا الى بلاد الاسلام ونذكر من هذه الكتب :

أولا ـ كتاب اظهار الحق :

ويتضمن هذا الكتاب تفاصيل المناظرة التي سبقت الاشارة اليها بين الشيخ رحمة الله والقسيس بفندر ويقع في ٤٢٠ صفحة ـ وقد ترجم الى اللغات الاوربية المختلفة بأمر من الحكومة التركية في ذلك الوقت .

ثانيا ـ كتاب إزالة الشكوك :

وهو يجيب على ٣٩ سؤالا سألها رجال النصارى علماء الاسلام ـ ويقع في جزءين ويحتوي على ١١١٦ صفحة ويتناول بالأدلة القاطعة إثبات نبوة

محمد خاتم النبيين « صلى الله عليه وسلم » كما أثبت تعمد أهل الكتاب تحريف التوراة والانجيل .

ثالثا ـ كتاب إزالة الأوهام :

وقد ألّفه الشيخ رحمة‌الله باللغة الفارسية للرد على كتاب (ميزان الحق) الذي ألّفه القسيس بفندر باللغة الفارسية ـ وقد فند فيه حجج النصارى التي أوردها القسيس بفندر في مؤلفه المذكور .

رابعا ـ كتاب أحسن الأحاديث في إبطال التثليث :

تكلم فيه الشيخ رحمة‌الله عن التثليث في النصرانية وأبطله بالدلائل العقلية والنقلية .

خامسا ـ كتاب البروق اللامعة :

أثبت الشيخ رحمة الله في هذا الكتاب أن محمدا صلى الله عليه وسلم مكتوب عنه في التوراة والانجيل ولانبي بعده بأدلة استخرجها من الكتب المقدسة عند أهل الكتاب .

سادسا ـ كتاب التنبيهات في إثبات الاحتياج الى البعث والحشر :

وفيه يؤكد الشيخ رحمة‌الله حقيقة البعث بعد الموت وأن الحياة الآخرة هي غير الحياة الدنيا ـ وذلك ردا على منكري البعث وحشر الخلائق يوم القيامة . كتاب إظهار الحق تأليف الشيخ رحمة‌الله الهندي

مكانة الشيخ رحمة‌الله العلمية :

كان رضوان الله عليه عالما جليلا وباحثا عظيما ، جمع الى علمه الديني بعقيدة الاسلام وشريعته ، إلمامه الكبير بما تنطوي عليه عقائد وكتب اهل الكتاب من تحريف وتغيير وتبديل ، فجادلهم وأفحمهم وانتصر عليهم ، كما ألّف الكتب القيمة في مجابهتهم والرد عليهم وقد بلغ من قوة حجته وسطوة براهينه وأدلته أن جريدة لندن تايمس علقت على واحد من مؤلفاته عندما وصلت الى مدينة لندن الترجمة الانجليزية لكتابه (اظهار الحق) بقولها (لو اطلع الناس على هذا الكتاب فانهم لن يقبلوا الدين النصراني وبذلك يتوقف نشر الديانة النصرانية) المرجع السابق

رحم الله الامام رحمة‌الله بن خليل الرحمن الهندي لقاء ماجاهد وجادل ودافع عن الاسلام بنفسه وبلسانه وقلمه وكتبه وأنزله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، فهو لم يتوان قط طيلة حياته عن إعلاء كلمة الله ورفع راية الاسلام في عصر كانت الفتن فيه تحدق بالمسلمين وتحيط بهم ظالمة ومظلمة ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .



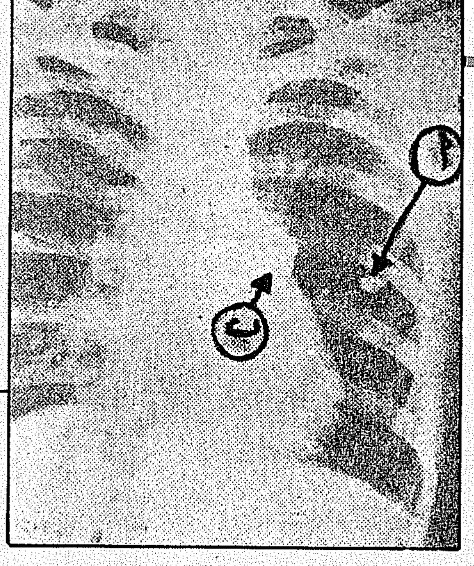
خرج صاحبنا من بيته متوكلا على الله مستعينا به متوجها إلى عمله واستقل إحدى وسائل المواصلات العامة وشاء حظه العاثر أن يجلس قبالة أحد الثرثارين الذين ينسون أنهم في مكان عام . وفجأة توقف ذلك الثرثار عن الكلام وتشنج قفاه العريض وأصداغه الضخمة واقترب من نافذة العربة وأطلق بصقه من بين شفتيه الغليظتين كأنها قذيفة موجهة تناثرت شظاياها فأصابت الجالسين حوله الذين تعددت ردود الفعل عندهم ، فمنهم من نهره ومنهم من نظر إليه في صمت نظرة أبلغ من الكلمات ولكنه لم يعبأ بذلك كله ، وحينما جاءت محطة نزوله غادر العربة بكل برود وكأنه ما فعل شيئا !! وقال قائل : لو كنا في أوربا ما رأينا مثل هذا المنظر الذي تتقزز منه النفوس ورد صاحبنا قائلا :

بل لو فهمنا اسلامنا والتزمنا بآدابه ما رأينا مثل هذا المنظر ولا غيره ، ومتى نتخلص من عقدة الخواجة ؟ وتساءل القائل في دهشة : وهل تناول الاسلام مثل هذه الأمور ؟ وأجاب صاحبنا : نعم ـ ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

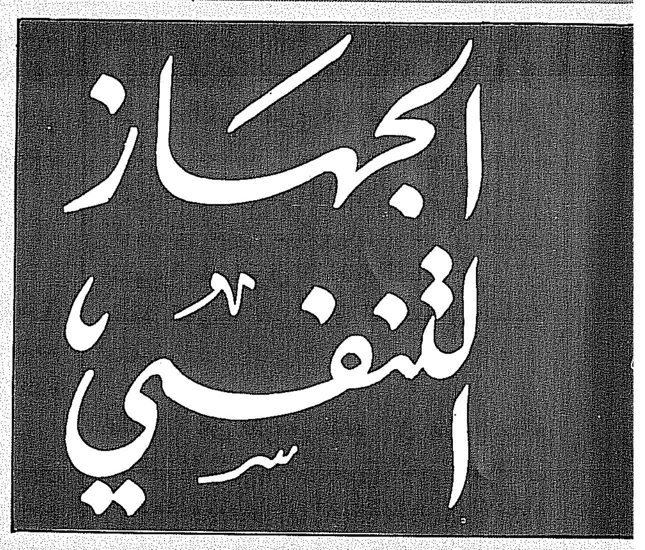
« إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود .. فنظفوا أفناءكم وساحاتكم ولا تشبهوا باليهود يجمعون الأكباء (القاذورات) في دورهم » (رواه البزار في مسنده) وقوله : عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« البصاق على ارض في المسجد خطيئة وكفارتها دمها » (رواه مسلم)

وهكذا ترى في هذين الحديثين من التوجيهات النبوية ما يقي الفرد شر الإصابة بالمرض بمحافظته على النظافة دائما في ملبسه ومسكنه ومأكله ومشربه والأماكن العامة والخاصة التي يغشاها



○ صورة اشعة للصدر تبين إصابتين بالتدرن بالرئة اليسرى .



الجهاز التنفسي

للدكتور/غرَيب جمعة

أو ما يقي المجتمع أيضا شر انتقال العدوى بين أفراده بمنع البصاق على الأرض وهو ما يسميه الأطباء في العصر الحديث : بصحة البيئة . وما كان الاسلام ليمنع البصاق في المسجد ويعتبره خطيئة تستوجب كفارة ثم يسمح به في أماكن العمل والطرقات ووسائل المواصلات .

وقد سبق - أخي القارىء - تناول مرضين من أمراض الجهاز التنفسي في عدد ذي القعدة ١٤٠٣ من هذه المجلة الغراء وبينا كيف تنتقل العدوى بهما وطرق الوقاية منهما وفي هذه المرة نتناول مرضا ثالثا شائعا ألا وهو :

التدرن الرئوي = الدرن الرئوي = السل الرئوي= T.B = tuberculosis

كلمة عامة :

هو واحد من الأمراض المُعْدِيَةِ وقد تمكن العلماء من اكتشاف ميكروبه منذ زمن بعيد ويطلق على ذلك الميكروب اسم :

عصية التدرن أو بآسيل التدرن وهو يصيب الرئتين بصفة خاصة لكنه قد يصيب أعضاء أخرى مثل :

الكليتين ، العقد اللمفاوية ، الجلد ، الحنجرة ، العظام ، المفاصل ، الامعاء وأجزاء معينة من أعضاء التناسل . وسوف يقتصر الحديث هنا على إصابة الرئتين فقط ، وهي تحدث في أي سن وأي جنس لذلك يجب التنبه لها خصوصا بالنسبة للأفراد الذين يخالطون مرضى السل والعاملين في المستشفيات والمصحات وبعض المصابين بالأمراض المزمنة مثل البول السكري . ويتميز ميكروب هذا المرض بأنه يغزو الجسم في هدوء وبطء لذلك يحتاج المرض الى وقت طويل في العلاج . وقد أصبح العلاج

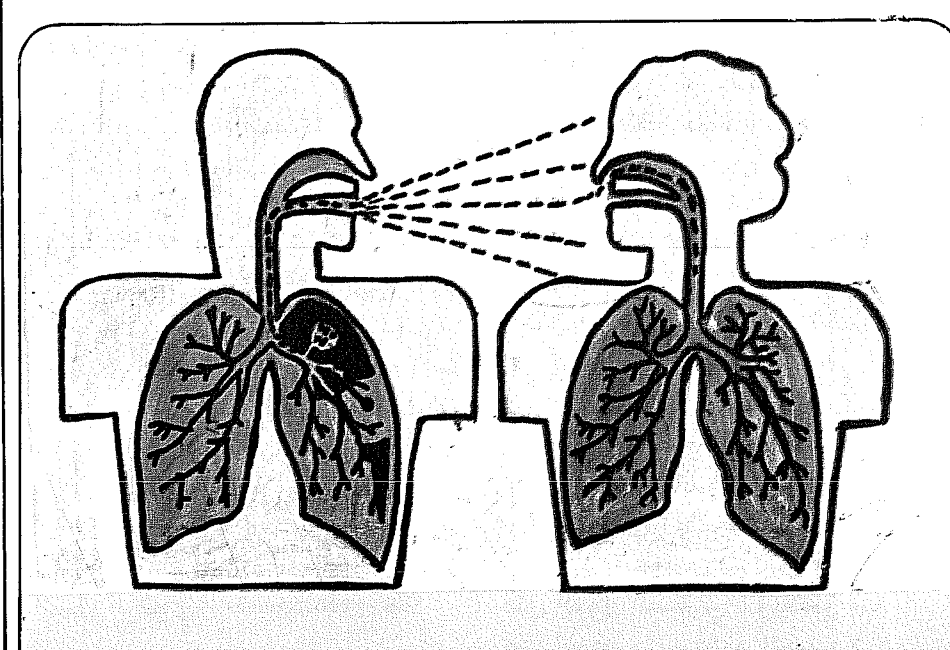
بفضل الله ميسورا والشفاء يكاد يكون كاملا إذا تم اكتشاف المرض مبكرا ولم تعد الاصابة بالسل الرئوي شبحاً يثير الذعر عند المريض وعند من حوله من المخالطين .

كيف تتم الإصابة بالمرض ؟

تصل الميكروبات إلى الجسم بطرق شتى ولكن مصدرها واحد وهو بلغم المريض المصاب بهذا الداء ومن هذه الطرق :

أولا : **الاستنشاق** : ويتم ذلك بطريق مباشر بواسطة الرذاذ الذي يخرج مع السعال والبصاق مُحَمَّلاً بالميكروبات من الشخص المريض كما في حالة التقبيل مثلا وهذا هو السبب غالبا في انتقال العدوى من الآباء إلى أولادهم ، وقد يكون بطريق غير مباشر وذلك باستنشاق الذرات التي تخرج مع السعال والبصاق والتي يحملها الهواء أو الغبار الجاف نتيجة البصق على الأرض وحتى إذا جف البصاق فإن ميكروبات الدرن تعيش شهورا طويلة في البلغم الجاف دون أن تفقد قدرتها على غزو الجسم وإصابته بالمرض .

ثانيا : **عن طريق الفم** : في هذه الحالة يدخل الميكروب عن طريق الفم ليصل إلى الأمعاء ويؤدي إلى إصابتها بدرن الأمعاء ويكون ذلك نتيجة شرب اللبن القادم من حيوان مصاب بالدرن أو تناول لحومها أيضا .



○ المريض بالدرن الرئوي يخرج عند السعال رذاذا من فمه يحمل الاف الميكروبات والعطس كذلك ، وهذا الرذاذ يسبح في الهواء ويلوثه بحيث اذا استنشقه شخص اخر دخل الهواء رئتيه حاملا الميكروبات والخطر الاكبر هو من تكرار حصول ذلك ، إذ يصعب على الجسم مكافحة غزو الميكروبات المتكرر .

ماذا يحدث داخل الجسم ؟

١) عند دخول الميكروبات إلى الجسم السليم لأول مرة تسمى هذه الحالة :

بمرحلة الاصابة الابتدائية وفيها تتكاثر الميكروبات ولكن الجسم يقوم بتجميع وسائل الدفاع التي حباه الله إياها في مكان الإصابة وتدور معركة شرسة ويكتب النصر للجسم في المعركة الأولى ويكون ذلك بقتل بعض الميكروبات ومحاصرة نشاط المتبقى منها بتغليفه بنسيج ندبى غليظ وتظهر تلك الندب في رئات كثير من الأشخاص الأصحاء الذين لا يشكون من أعراض المرض عند الكشف بالأشعة على الصدر . وتظل الميكروبات المحاصرة على قيد الحياة ولكن دون خطر يذكر ، والإصابة الابتدائية لا تسبب أعراضا ملحوظة في العادة ولكن من الضروري اكتشافها لتظل الميكروبات المحاصرة دون انطلاق . ويتم اكتشاف الإصابة الابتدائية باختبار بسيط يسمى اختبار « مانتوه » حيث يقوم الطبيب بحقن مادة تحت الجلد تسمى مادة (التيوبركيولين) وهي عبارة عن سائل معقم به عناصر باسيل الدرن . فإذا كان الاختبار ايجابيا دَلَّ ذلك على وجود ميكروبات سبق لها غزو الجسم وفي هذه الحالة يستطيع الطبيب أن يعرف ما إذا كانت تلك الميكروبات لا تزال سجينة أم أنها انطلقت لتمارس نشاطها الإجرامي داخل الجسم وذلك بتصوير الصدر بالأشعة وباكتشاف علامات الدرن النشيط في مراحله الأولى .

مقاومة الجسم : تتوقف مقاومة الجسم لميكروبات الدرن على عنصرين أساسيين :

أولهما : حالة الجسم الصحية . فسوء الصحة وطول السهر والعمل المضني في الأماكن الرطبة والإقامة في الأماكن المزدحمة سيئة التهوية وسوء التغذية والأمراض المزمنة كل ذلك يضعف قدرة وسائل الدفاع الموجودة بالجسم .

وثانيهما : كثرة التعرض لميكروبات الدرن ولأعداد كبيرة منها كما في حالة معاشرة شخص مصدور (مريض بالدرن) دون اتخاذ الاحتياطات اللازمة للوقاية كما يحدث بين زوجين لا يعلم أحدهما بإصابة الآخر وكما يحدث لطفل يعيش مع والد مصدور أو مدرسة أو مُربِّيَةٍ تعاني من هذا المرض .

٢) مرحلة ما بعد الاصابة الابتدائية (الدرن النشط) :

وتحدث هذه المرحلة حينما تسقط وسائل الدفاع صرعى أمام الميكروبات الغازية وتنهار مقاومة الجسم وتعيث الميكروبات فسادا في الجسم بحريتها إما بواسطة الدم حيث يحملها إلى أعضاء الجسم المختلفة مثل العظام والمفاصل والجهاز البولي .. الخ أو بواسطة الشعب الهوائية بالرئتين وهنا تكون تكون الإصابة مركزة بالرئتين وهي تحدث عادة عند الشباب ومتوسطى الأعمار وهي أكثر مراحل المرض شيوعا وتمثل غالبية الحالات من مرض الدرن الرئوي .

الأعراض :

حينما نذكر الأعراض هنا فإننا

نذكرها ببساطة والتشخيص النهائي متروك للطبيب المختص والغرض من ذكرها هو مجرد التنبيه لمن يشعر بها أو ببعضها أن يقوم بعرض نفسه على الطبيب حتى يمكن اكتشاف الحالة مبكرا أما أن يجزم شخص عادي لآخر بأنه مريض بالدرن دون أثارة من علم فهذا تدخل فيما لا يعنيه ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه . ومن هذه الأعراض :

١) قد يشكو المريض سواء كان طفلا أو شابا من ضعف قدرته وفقدان شهيته للطعام ونقص في الوزن وارتفاع في درجة الحرارة ولما كانت هذه أعراض أمراض أخرى فاننا ننبه مرة أخرى إلى عدم الاندفاع في التشخيص وترك الأمر لأهله

« **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** » (النحل/ ٤٣) ومن العجيب أننا نحترم التخصص في المجالات المختلفة أما في مجال الدين أو مجال الطب فما أكثر من يتطوع بالفتوى متجاوزا حدوده . بل إن بعض السيدات يعالجن بعضهن أو أولاد بعضهن من النوافذ أو من شرفات المنازل !!

٢) بالنسبة للبالغين قد يلاحظ المصاب إحساسا بالفتور أو الضعف أو غير ذلك من الأعراض إلا أنها تكون محتملة فلا تسترعي الانتباه ولكن تظهر أعراض أخرى مثل السعال والبلغم وارتفاع درجة الحرارة والعرق الليلي الغزير ونزيف الرئتين ويكون ذلك بعد حوالي ستة أشهر أو أكثر من بداية فتك المكيروبات بالرئتين .

٣) عادة يصاحب الدرن الرئوي المزمن التهاب الغشاء البلوري (الجنبة) المحيط بالرئة ويكون على هيئة ما يعرف بالانسكاب البلوري أي تكوّن سائل بتجويف البلورا بين الرئة والقفص الصدري وتكثر المضاعفات في الإصابة الرئوية ولكل أعراضه المميزة .

٤) من مضاعفات الدرن الرئوي انفشاش الرئة المفاجىء بعد إنثقاب تجويف تدرني (درني) عميق واتصاله بتجويف البلورا حيث يسمح بدخول الهواء والمادة المعدية إلى داخل التجويف .

٥) إذا ما أفرغت إصابة رئوية مزمنة محتوياتها فجأة في الشعَبْ الهوائية الرئوية انتشرت الإصابة في جزء كبير من الرئة وأدت إلى ما يسمى بالالتهاب الرئوي الدرني .

وأحب أن لا ينزعج القارىء الكريم حينما يقرأ مثل هذه الأعراض أو المضاعفات التي يمكن أن تحدث نتيجة الدرن الرئوي لأن نسبتها انخفضت انخفاضا كبيرا بفضل الله الذي وفق العلماء إلى H كتشاف المضادات الحيوية . ولكنها حقائق نذكرها حتى لا يهمل المريض علاجه خصوصا وأنه يستغرق وقتا طويلا ربما يسبب له الملل من الاستمرار في العلاج .

العلاج :

لا يمكن هنا أن نكتب تذكرة طبية

(روشتة) نمطية ولكن الأمر متروك للطبيب المعالج حيث يستطيع أن يحدد نوع العلاج والجرعة الكافية والمدة اللازمة لهذا العلاج والأبحاث التي يجب عملها قبل وبعد العلاج وكل ما يمكن أن نقوله هنا هو كلام عام للاستنارة فقط .
في الحالات البسيطة يمكن أن يعالج المريض في المنزل أما الحالات الشديدة وكذلك في بدء علاج الدرن النشط فيجب على المريض أن يدخل إحدى المصحات القريبة منه حيث يجد كل أسباب الراحة البدنية والذهنية ويتعرف على نظام التغذية اللازم ووسائل العناية الطبية التي تنتهي به الى الشفاء بإذن الله .

وهناك نوع آخر من العلاج هو العلاج الجراحي حيث يستأصل الجَرَّاحُ جزءاً من الرئة أو يستأصل الرئة بأكملها وذلك في حالة فشل العلاج الدوائي ومثل هذه الجراحات لها تفاصيلها وضروراتها وليس هنا مجال تفصيلها .

الوقاية :

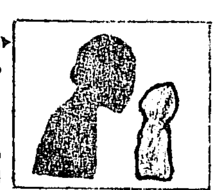
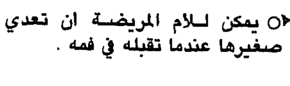
تنحصر الوقاية من هذا المرض في ثلاثة أمور :

١ ـ المحافظة على الصحة

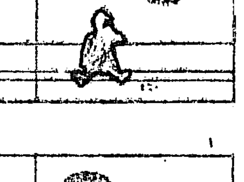
٢ ـ منع التعرض لميكروبات الدرن

٣ ـ كشف المرض في أطواره الأولى .

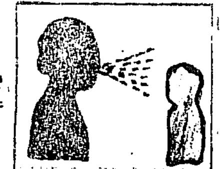
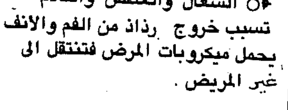
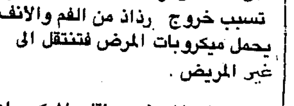
والوصول إلى هذه الأمور الثلاثة يكون

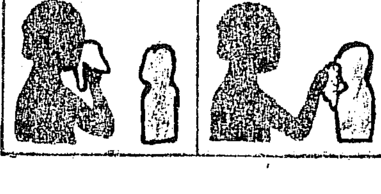
○ يمكن للأم المريضة ان تعدي صغيرها عندما تقبله في فمه .



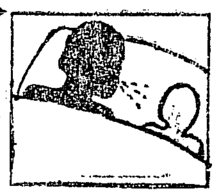
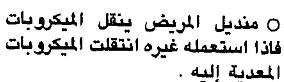
○ البصق على الارض قد يتسبب في نقل الميكروبات إلى طفل برىء أثناء لعبه فتنتقل العدوى من اصابعه الى فمه .

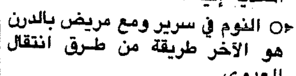
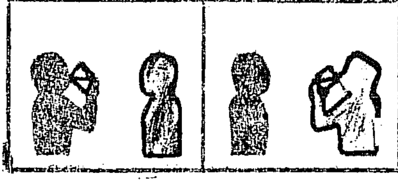
○ السعال والعطس والكلام تسبب خروج رذاذ من الفم والأنف يحمل ميكروبات المرض فتنتقل الى غير المريض .



○ منديل المريض ينقل الميكروبات فاذا استعمله غيره انتقلت الميكروبات المعدية إليه .

○ النوم في سرير ومع مريض بالدرن هو الآخر طريقة من طرق انتقال العدوى

○ ما يستعمله المريض من ادوات قد تتلوث من شفاه المريض فاذا استعملها شخص اخر انتقلت اليه الميكروبات .

باتباع التعليمات الآتية :

أولا : بالنسبة للمريض :

١) يجب أن تكون للمريض أدواته المنزلية الخاصة به مثل : كوب - ملعقة - سكين - طبق . الخ كذلك يجب أن يكون له فراشه الخاص وملابسه التي يجب أن لا يشاركه فيها أحد .

٢) إجتهد أن لا يصل اليك شيء من رذاذ الشخص المصاب خصوصا إذا كان لا يضع منديلا على فمه عند العطس أو السعال ولا داعي لتقبيل المرضى عند الزيارة أو السماح لهم بتقبيل الأطفال ويكون ذلك بطريقة مهذبة لا تؤذي مشاعرهم .

٣) عند إصابة أحد الزوجين بالدرن النشط يجب أن لا يصر أحدهما على النوم بجوار الآخر بدافع التضحية والوفاء والمشاركة في الآلام كما يجب أن تتوقف المعاشرة الجنسية بينهما حتى التماثل للشفاء .

ثانيا : تعليمات عامة :

١) رفع مستوى المعيشة وتوفير الغذاء الصحي حتى يمكن المحافظة على مقاومة الجسم كما يجب تجنب الإفراط في الإجهاد البدني والعيش في الأماكن الرطبة سيئة التهوية .

٢) الامتناع عن تناول اللحوم إلا إذا كانت مذبوحة في سلخانات حكومية وتحت اشراف طبي دقيق حيث تعدم اللحوم المصابة بالدرن وبمعنى آخر يجب الاطمئنان الى مصادر اللحوم مهما تعددت مصادرها كذلك يجب الامتناع عن شرب اللبن إلا إذا

كان معلوم المصدر أو تمت عملية البسترة بالنسبة له وإذا تعذرت هذه العملية فإن غلي اللبن قبل شربه يساعد على الوقاية من ميكروبات الدرن .

٣) توفير البيئة الصحية من حيث المسكن ويجب أن يلاحظ ذلك عند بناء المساكن وعند تخطيط المدن الجديدة فكلما كان المسكن صحيا تضاءلت فرصة العدوى بالدرن كما يجب تجنب الازدحام في أماكن النوم سواء كانت حجرات خاصة أو أماكن عامة مثل العنابر والمسعكرات والفنادق .

٤) يجب المحافظة على نظافة البيئة المحيطة بالانسان من التلوث بالغبار والأدخنة وذلك له أهمية قصوى في حماية الصدر ولكن مع الأسف هناك من يُلَوِّثُونَ بيئتهم الخاصة بانتشار عادة التدخين بينهم سواء كانوا فرادى أو جماعات يتبادلون وسيلة التدخين على أفواههم واحدا تلو الآخر وقد يكون أحدهم مصابا بهذا الداء ويتطوع (غير مشكور) بعدوى الجميع وهم يحسبون أنهم في

ساعة من ساعات الحظ التي لا تعوض !! ويزداد الطين بلة حينما يتعاطون المخدرات في مثل هذه المجالس الشيطانية أو المجالس المرضية (بفتح الميم والراء) وقد ثبت علميا ارتفاع نسبة الإصابة بالدرن في هؤلاء المدخنين عن غيرهم ممن

عافاهم الله من هذا البلاء .

٥) يجب اجراء فحص طبي شامل كل عام يتضمن الكشف بالأشعة على الصدر وفحص البصاق فحصا جيدا خصوصا بالنسبة للعاملين في المطاعم والفنادق ووحدات التغذية وليتقوا الله في صحة عباده من يتساهلون في إعطاء شهادات صحية تثبت سلامة هؤلاء الأفراد من غير كشف أو تحليل مقابل مبلغ مادي زهيد هو في الحقيقة سحت النار أولى به .

٦) عند الاصابة بنزلة شعبية يمتد علاجها أكثر من ثلاثة أسابيع وعند الشعور بعرق ليلي غزير وارتفاع في درجة الحرارة أو بلغم دموي مع السعال يجب الذهاب إلى الطبيب فورا .

٧) غسل الأيدي جيدا قبل وبعد الطعام وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « بورك في طعام غسل قبله وغسل بعده »

٨) يُبلغ الطبيب إذا كان أحد أفراد العائلة قد أصيب بالدرن من قبل . فعلى الرغم من أن الدرن ليس مرضا وراثيا إلا أن هناك بعض العائلات لديها استعداد للإصابة به .

٩) إجراء فحص طبي قبل الزواج إذا شك أحد العروسين في إصابة الآخر ولا حرج في ذلك .

١٠) التربية الصحية والتثقيف الصحي وزيادة الوعي عند الأفراد من خلال وسائل الإعلام المختلفة حتى تربى عند الناس العادات الصحية السليمة أو السلوك الصحي السليم مثل عدم البصق على الأرض أو العطس أو السعال في وجوه الآخرين دون وضع اليد على الفم أو إستعمال منديل كما يجب أن تُغْلي المناديل جيدا وحبذا لو كانت من ورق ثم تحرق بعد إستعمالها بواسطة الشخص المصاب وذلك لما قلناه سابقا من أن الميكروب يقاوم الجفاف لمدة طويلة .

١١) التطعيم بواسطة طعم الـ : ب . س . ج وهو يعطي مناعة جزئية عند البعض بعد شهرين من التطعيم .

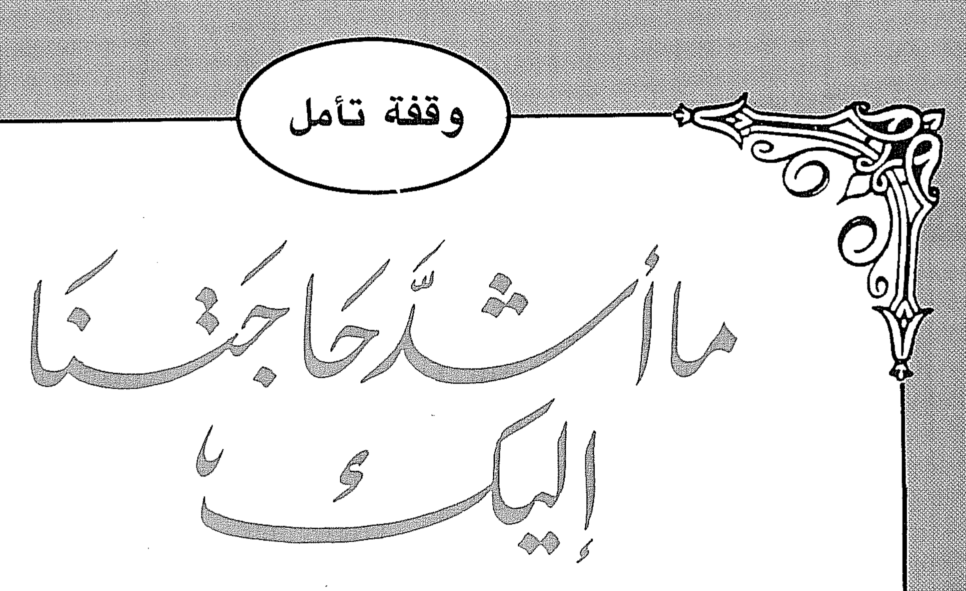
وبعد ..

فهذه كلمة عن هذا المرض لعلها تلقي ضوءا كاشفا يستنير به من يقرؤها في وقاية نفسه وأسرته ومجتمعه بإذن الله من هذا الداء اللعين .

ويقف الانسان خاشعا في إجلال وإكبار لمن يُعلِّمنا السلوك الصحي السليم في الحديثين الشريفين السابقين في أول المقال وهو الذي لم يدخل مدرسة ولا جامعة ولكن **حسبه أنه نبي يتكلم** ، ويأتي بعض الأغرار والصعاليك ليشككوا في سنته على غير علم وربما لا يعرف أحدهم آداب قضاء الحاجة أو كيف يتوضأ !! ألا سحقاً للجهل والجاهلين . ألا تباً للضلال والمضلين . ولن يكون حظهم من النيل من السُّنَّة النبوية الصحيحة بأحسن من حظ من سبقوهم في موكب الضلال والإضلال وما أصدق قول القائل :

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة
أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وقفة تأمل



● نحن في الوعي الاسلامي لا نستطيع أن نغفل حَدَثاً مُهمّاً ، بل أعظم حدث في تاريخ الانسانية ، وهو مولد خاتم الأنبياء عليهم جميعا صلوات الله وسلامه ، ومهما قيل عن أمر الاحتفال بالمولد النبوي ، فإننا نجدها مناسبة لنتدارس واقع المسلمين اليوم ، وما ينبغي أن يكون عليه .

● وليس بدعا من القول أن نقول : ما أشد حاجتنا إليك يا رسول الله .. فهاهي أمة الاسلام اليوم ، وقد ضاع منها الطريق ، وانمحت معالمه أو كادت ، وفقدت عقلها ، ونزفت دماؤها بأياد إسلامية ، وتحول الأحياء الى جثث منتنة ، وفي هول الفجيعة .. سقط الأطفال والشيوخ ، والنساء ، والرجال ، حتى أن اليد اليمنى قطعت اليد اليسرى ، واعتدت أعضاء الجسم الواحد على بعضها ، وأكلت المعدة نفسها ، وأصبح حالنا كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله ، والعدو يعيش أفراحه بما يرى ما نحن فيه ، وأصحاب المأساة وجهوا بنادقهم الى صدورهم بدلا من أن يوجهوها الى عدوهم ، فما أحوجنا إليك لتقول لهم : **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار** . ولتذكّرهم بقوله تعالى : « **واتقوا فتنة لاتصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة** » .

● لقد جئت يا أشرف خلق الله ، رحمة للعالمين ، ومرشدا للحائرين ، ومنيرا درب السالكين ، ومنقذا للضالين ، فاهتدى بك المؤمنون ، وعاداك الكافرون ، رغم حرصك على إيمانهم ، وعلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة .. فقد قال الله تعالى عنك : « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** » . ولكن القوم ساءت حالهم ، فالقوي يأكل الضعيف ، والغني يبخل بماله ، وذو السلطان يبطش بسلطانه ، فما أشد حاجتنا إليك لتقول لهم : لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، وما كنت تخشاه على

أمتك قد وقع .. فالشح مطاع ، والهوى متبع .

● ما أشد حاجتنا إليك لتقول لأصحاب السلطان والجاه .. « لا يحل دم امرىء مسلم إلا باحدى ثلاث الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » . فكم من بريء سُفِكَ دمه ، وكم من الفتن والمصائب نزلت بعباد الله ، ولا ذنب لهم .

● ما أشد حاجتنا إليك لتقول للمتعاملين بالربا .. إن كل ربا موضوع ، ولتردد على مسامعهم : « **لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** » ولتردعهم بقوله تعالى : « **فأذنوا بحرب من الله ورسوله** » .

● ما أشدَّ حاجتنا إليك ، لتقول للغشاشين المخادعين : « **من غشنا فليس منا** » . **وللذين يسرقون في المكيال والميزان** « **أوفوا الكيل وزنوا بالقسطاس المستقيم** » . وإلا فالويل لهم .. « **ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون** » .

● أمراض وأمراض قد تفشّت في أمتك يا رسول الله ، وَبُحَّ صوت الدعاة ، ولا فائدة ، عيوب وعيوب هنا وهناك ، ثقوب وثقوب تعددت في ثوبنا الاسلامي ، حتى اتسع الخرق على الراقع .

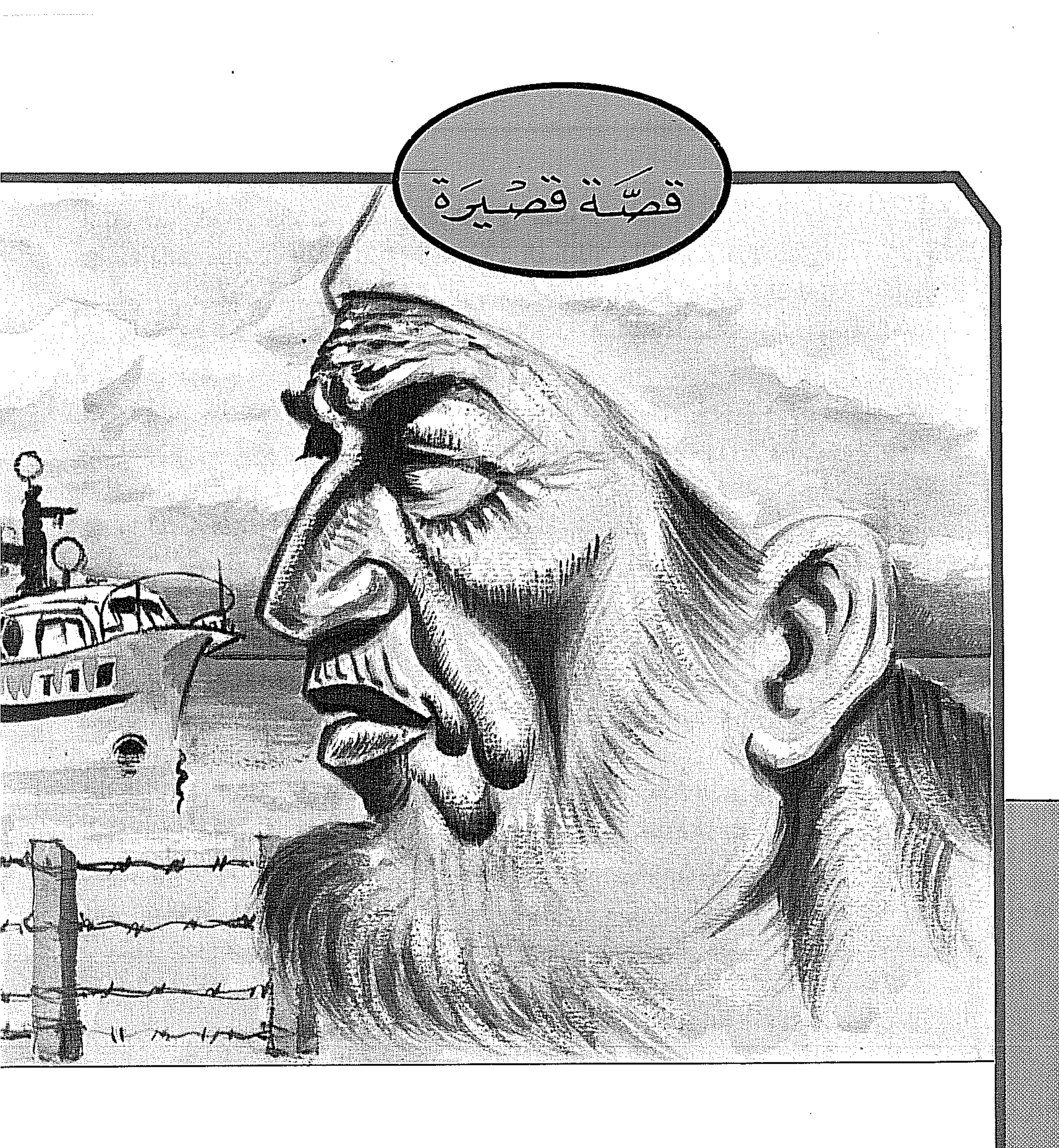
● يا رسول الله .. في ذكرى مولدك .. يخطر في بالنا هذا السؤال : ماذا لو عدت إلينا من جديد ؟ هل ستفتح الدول الاسلامية حدودها أمام دعوتك ؟ هل سيستجيب الحكام للخير الذي ترغّبهم فيه ؟ هل سيطبقون شرع الله على أنفسهم وعلى شعوبهم ؟ هل سيرضخ الأغنياء فيبذلون من أموالهم ما فيها من حقوق أوجبها الله عليهم ؟ هل سيقلع أكلة الربا ، وأموال اليتامى ، وحقوق الناس بالباطل .. هل سيقلعون عن عاداتهم ؟ هل سينال المسلم ـ أيا كان موقعه ـ حقه في الحرية .. حرية القول ، والعمل في ظل الشريعة الاسلامية ؟ وهل سينال كل إنسان حقه في العيش الكريم ؟

وألف هل ، وهل .. وإذا أجاب المعنيون بهذا بأنهم سيستجيبون .. فإنا نقول لهم .. كما قال الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ..

ونقول : إن كتاب الله بيننا ، حفظه الله وصانه ، وان سنة الرسول قد توافر عليها العلماء فأخرجوا لنا الحديث الصحيح ، وان السيرة العطرة لأصحاب رسول الله مدوّنة ، وهم كالنجوم ، بأيهم نقتدي نفلح ، وما دام وحي الله قائما ، وسنة الرسول موجودة ، وسيرة الصحابة بين أيدينا ، فلا عذر لنا ، ولا نجاة لنا إلا باتباع ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى الله عنه ، وخير منهج منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفضل الناس أصحابه ، فهل سنسلك طريقهم .. نرجو ، ونرجو الفلاح لأمتنا ، وأن ينقذها الله من الضلالة والتيه .

فهمي عبد العليم الإمام

قصة قصيرة



فجأة اختفى الشيخ أمين ، ظن أهل المدينة في أول الأمر أنه في سفرة من سفراته التي يجمع فيها أموالا لتعمير المساجد القديمة أو بناء الجديد منها كما هي عادته ، ومع ذلك فقد أخذوا يتساءلون حينما طال مغيبه .

ـ أين ذهب الشيخ ؟

ـ الى أين سافر هذه المرة ؟

ـ متى يعود يا ترى ؟

لقد شعروا بفراغ موحش وجدب حقيقي بعد غيابه .... انهم أحوج ما يكونون اليه الآن .

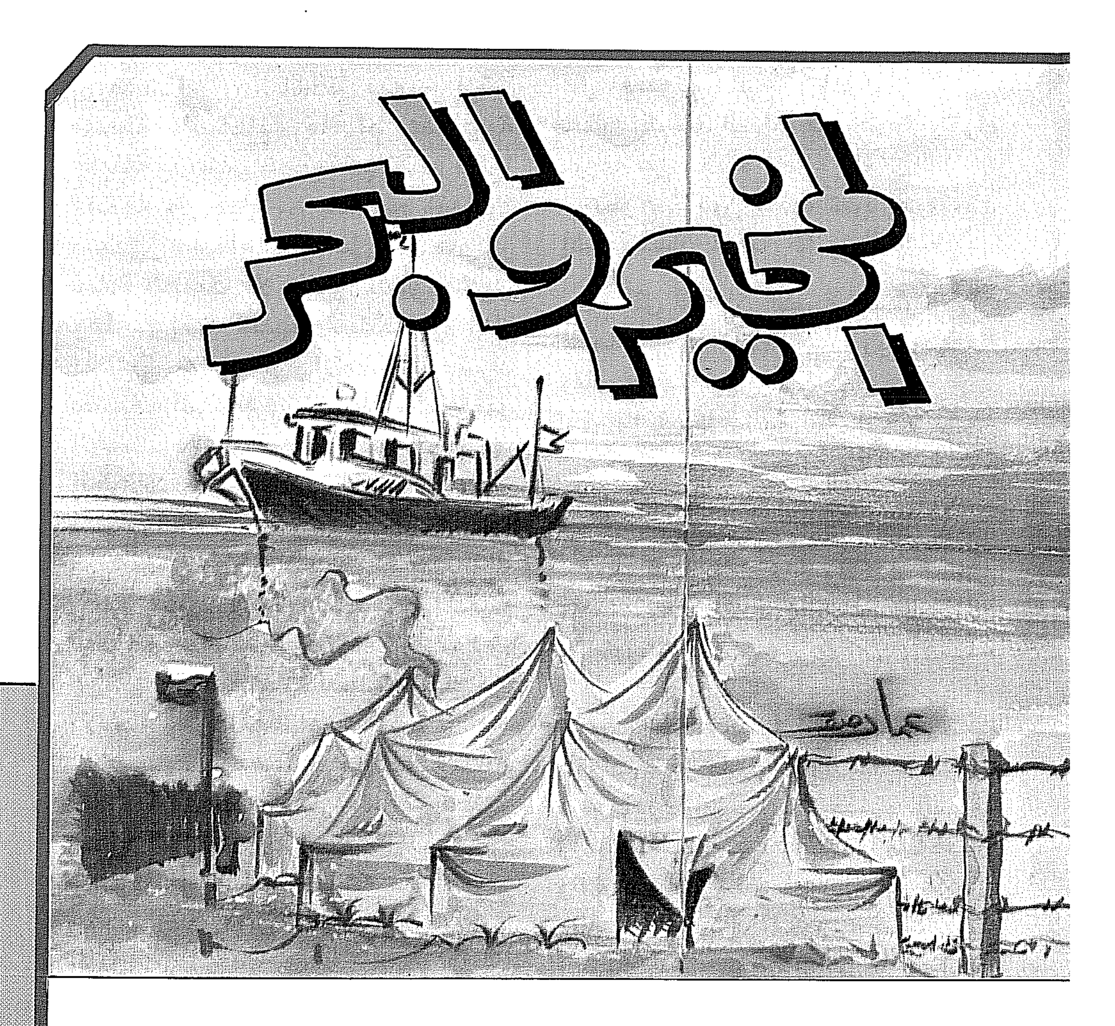
ـ هل جبن الرجل عن ملاقاتهم ؟

هكذا قال قائل منهم: (**بمبوطي أعرج يعمل في البحر**)

ـ لقد أغروه بالمال فاحتجب

ورد رجل من أهل المدينة .

ـ كيف تسول لكم انفسكم هذا الظن ؟ إنكم تطعنون انفسكم بما تتقولون ،



للأستاذ / محمد جاد البنا

أنتم لا تعرفون حقيقة الشيخ أمين .

....

لم يكن الشيخ أمين على درجة من العلم تؤهله لأن يتولى أمر الإفتاء في المدينة الساحلية التي كانت قبل الاحتلال الأخير تعج بكل لون وجنس من طلاب التجارة والسياحة والمتعة

ولكن كان الشيخ أمين بالقطع على درجة من التقوى تؤهله لأن يحتل مكانا طيبا من قلوب أهل المدينة البسطاء الذين لم يعجبهم ورعه وتقواه فحسب وإنما أعجبهم صدقه وإخلاصة أيضا فهو يصلح بين المتخاصمين وهو يعين المحتاجين من ماله القليل ثم هو يشارك الجميع مسراتهم وأحزانهم .

ما هذا ؟ ..... المحتل يدوس أرض المدينة الساحلية بأقدام عسكرية غليظة ودبابات ضخمة لم تشهد مثلها المدينة من قبل ... صحيح انهم لا يعتدون اعتداء بدنيا على أحد فأوامر سادة العسكر ألا ينفّروا القلوب لأول وهلة، وإنما عليهم استئناس اهل المدينة ... ولكن الاحتلال يترك بصماته الدنسة في كل مكان ... الأوامر العسكرية تحدد بداية السير في الطرقات ونهايته ... أهل الضيعة المجاورة للمدينة مازالوا يتحدثون عن مريضهم الذي مات بين أيديهم فقد ردّهم الجنود الغلاظ عن دخول المدينة بعد الساعة العاشرة ليلا ، وكانوا في طريقهم الى الطبيب فالضيعة تخلو من الأطباء ومن المشعوذين أيضا .

صاحب مصنع « الحلويات الشامية » قدم بلاغا للشرطة يطلب إحالة شكواه الى المحكمة المدنية كي يطلب تعويضا عما لحقه من أضرار بسبب منع عمال مصنعه عن وردية الليل .

أهل المدينة لم يحزنوا من أجل مصنع الحلوى فليس هناك من يتعامل معها الآن ... وإنما حزنوا من أجل مريض الضيعة الذي فارق الحياة بسبب تسلط هؤلاء الأوغاد .

همس يدور هنا وهناك .... الشيخ أمين في مخبأ سري ومعه بعض الشباب ... ترى ماذا يفعلون ؟

قال الراوي معلقا : الناس عادة لا يصبرون حتى يعقلوا الأمور .

قال بمبوطي البحر الأعرج .

ـ قلت لكم منذ البداية هرب الرجل بتقواه وورعه عن ملاقاة أعداء الله .

« وتطوع ، دون فائدة تعود عليه ببث إشاعة تمس كرامة الشيخ أمين » .

ـ لم أقل لكم إن اللحية مصنوعة وأن العمامة تخفي تحتها مصنع رياء ودهاء !

وقال حمادة أبو شنب .

ـ وماذا يفيدنا الشيخ أمين أو غير الشيخ أمين ، البركة في الحكومة ، الحكومة لازم تكون من فوق .

قال الراوي معلقا : واحتدم النقاش وتعمق دون فائدة فالكلمات عمياء ، والعقول في الآذان .

ومع هذا فحينما قيل في المدينة إن القوات تتجه مدججة الى المخيم المجاور فزع أهل المدينة ... أخذتهم الشفقة والرحمة بجموع النساء والأطفال والشيوخ العزل فقد أجبر المحتل الرجال والشباب على ترك المخيم ... فماذا يريد العسكر من المخيم اذاً ـ ماداموا قد أخلوه من المقاتلين ومن السلاح !! ..

تسللت إشاعة تقول:(يبدو أن مصدرها **بمبوطي البحر الأعرج**) : إن بعض الرجال والشباب تسللوا الى هناك ومعهم بعض السلاح ... قال الراوي : الأقرب الى الصواب أنها فرية افتعلها العدو ليفتك بالأطفال والشيوخ، ويقيم لهم مذبحة جماعية يقضي بها على مستقبل المقاومة. على أيةِ حال قد آشاعوا في المدينة أنها مجرد عملية تمشيط وتأديب لا أكثر .

عادت فلول القوات التي كانت تدق الأرض بالأمس وكأنها ستخرقها أو ستبلغ الجبال .... الأخبار تقول .... لقد وقعت في كمين أفنى معظمها في ساعات ... نجا البعض منها بأعجوبة .... أهل المدينة في دهشة .... كيف استطاع النساء والعذارى والأطفال والشيوخ التصدي لهذه القوات والفتك بها ؟
يبدو أنهم لم يكونوا وحدهم ...

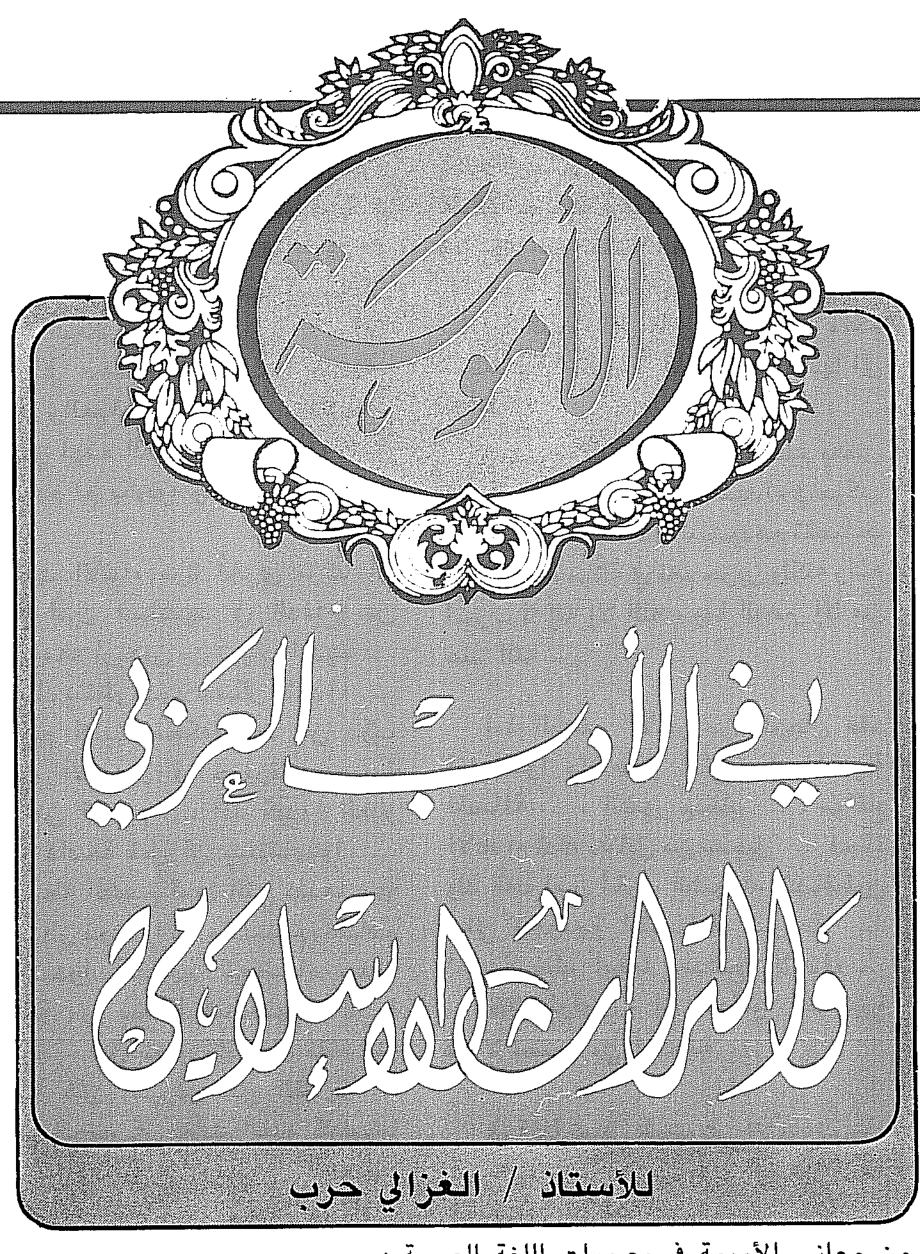
جاءت الأنباء مرة أخرى تؤكد ان الشيخ أمين استشهد في الدفاع عن المخيم ومعه أربعون من شباب المدينة ... كان هناك ينتظر قدوم عسكر الأعداء .... أعد لهم كمينا محكما بعد أن درّب الشباب الأربعين في جزيرة مهجورة قريبة من المخيم .... لقد كبّدوا العدو خسائر فادحة قبل أن يستشهدوا .... كانت خطة الشيخ أمين التي نفذها معه الشباب،أن تجردوا من ملابسهم ودنياهم ... ارتدوا أكفانهم البيضاء بدوا كالملائكة .... حملوا أسلحتهم ، قاتلوا بضراوة .... في شوق كانوا الى لقاء الله من هنا كان صبرهم على القتال .... قنابلهم الحجرية جعلت العدو كعصف مأكول .. بنادقهم اليدوية البسيطة عطلت تقدُّم الدبابات ... بطولات نادرة كتبوها بدمائهم هناك على أرض المخيم .... قال الراوي : يقولون: إنها مازالت مكتوبة حتى اليوم وستظل الى أمد بعيد .... هرّبوا الأطفال والنساء قبل المعركة إلى مخيم آخر ... المخيم الآن لا شيء فيه سوى جثث القتلى والشهداء .... العدو سارع الى هناك بسيارات مصفحة ليجمع أشلاء قتلاه ... إنه حريص على جثث القتلى حرصه على أرواح الأحياء .
لم يبق غير جثث الشهداء يفوح عطر الشهادة من أكفانها الجميلة المطرزة بخيوط الدماء قال قائل منهم : من منكم يا شباب يتسلل الى المخيم فيعود بها الى المدينة ؟

في هدوء الليل تسلل الى المخيم بعض الشباب ليعودوا بجثث الشهداء في موكب فرح وبهجة ... كانت أناشيدهم تتصاعد الى السماء مرتّلة في نغم حزين ولكنه رائع آسر ـ لا إله إلا الله ، وما النصر إلا من عند الله .

أما البعض الآخر من الرجال فقد انشغلوا بإشعال الثورة في المدينة المسالمة ..... الشرر يتطاير .... مواقع الأعداء تدك بقنابل من سجيل .... فجأة ولد ألف أمين آخر ، الشهداء يتساقطون وعلى وجوههم ابتسامة الراحة .... المدينة تدك أيضا بمدافع الاعداء ...
قال الراوي : إن الحامية الصغيرة قد لا تصبر على المقاومة .

في غفلة تسلل البمبوطي الأعرج وحده الى البحر ليغتسل من أرتال الظن السيء وليتطهر من حوبة الندم .... بعضهم قال : .... بل لينقل الى حامية العسكر المرابطة في عرض البحر ، موجز الأنباء الجديدة كي يعززوا قواتهم داخل المدينة .

قال الراوي معلقا على ما حدث : مسكين صاحبنا البمبوطي .



من معاني الأمومة في معجمات اللغة العربية :

-) معنى الجامعية .
-) ومعنى الكثرة .
-) ومعنى الأصالة ، وذلك ما تنطق به الكنايات العربية أو الاسلامية الآتية :

أم رحم ، وأم القرى : كناية عن مكة المكرمة ، مشرق العروبة ، ومهبط الاسلام ، وأم النجوم : كناية عن المجرَّة ، التي عرفت بكثرة نجومها في السماء ، وأم الكتاب : إما كناية عن اللوح المحفوظ ، الذي اجتمعت فيه خطوط القضاء

والقدر من الأزل الى الأبد وإما كناية عن سورة الفاتحة ، التي جمعت وجازتها ، مقاصد القرآن الكريم ، الذي نزل تفصيلا لما أجملته هذه السورة ، التي عرفت بفاتحة الكتاب وأم القرآن ، وقد رجعنا إلى ما تيسر من أمهات الأدب العربي القديم ، والتراث الاسلامي ، متسائلين عن مدى أهمية الأمومة وأفضالها ، فراقتنا الوان من أدب النفس ، وروائع من أدب الدرس ، استروحناها في ظلال الأمومة الوارفة الحنون ، وهأنذا أعرض على قراء الوعي الاسلامي ماتيسر من هذه الروائع ، وتلك الألوان ، ـ والله المستعان : من ألوان ادب النفس والدرس في ظلال الأمومة، الألوان الأربعة الآتية :

●) لون البر المثالي بالأمومة .
●) ولون الشكوى الصارخة من العقوق للأمومة .
●) ولون الاستاذية التربوية العملية للأمومة .
●) ولون الاشادة بالأبناء النجباء ، والأمهات النجيبات .

أ) أما لون البر المثالي بالأمومة :

فمن أروع نماذجه أن علي بن الحسين بن علي سأله أحدهم : لماذا تتحاشى أن تأكل مع أمك ، في صحفة واحدة ؟ فقال : أخاف ان تسبق يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه ، فأكون قد عققتها .

ب) وأما الشكوى الصارخة من العقوق للأمهات :

فقد جأرت بها أم ثواب الهزَّانية شاكية عقوق ابنها في أبيات :

ربيتـه وهو مثـل الفـرخ أعظمـه ... أم الطعـام ترى في ريشـه زغبـا
حتى إذا آض كـالفحَّـال شـذبـه ... أبَّـارهُ ونفى عن متنـه الكُـرُبـا
أنشـأ يحـرق أثـوابي ويشـربني ... أبعد ستين عندي يبتغى الأدبا ؟ !!

جـ) وأما الأستاذية التربوية العملية للأمومة :

فحسبنا من نماذجها وأساليبها ما يأتي :

●) أستاذية الأم العربية الكريمة ، غنية بنت عفيف لولدها حاتم الطائي في السخاء والاريحية في الكرم ، كما تنطق بذلك أخبارها .
●) وأستاذية فاطمة بنت الخرشب الأنمارية لأولادها الأربعة في السيادة والطموح وبفضلها صاروا « كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها ؟ » ـ على حد تعبيرها المشهور .
● ـ وأستاذية ريحانة بنت معد يكرب لأولادها الخمسة ، في الفروسية والبطولة ومهابة الحماية .
●) وأستاذية صفية بنت عبد المطلب لولدها الزبير بن العوام الذي قال حسان بن ثابت في الاشادة بأستاذية أمه له :

وإن امـرأ كـانـت صفيـة أمـه ... ومـن أسـد في بيتـه لمـرفَّـل

●) وأستاذية أم الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف ، الذي وعى عن أمه قولها له : أنفق أنفق يا عبد الرحمن ... « فكان لقولها هذا أبلغ الآثر ، فيما عرف عنه من الكرم الفياض ابتغاء وجه الله » .

●) وأستاذية أم الامام مالك بن انس ، الذي أقر لأمه ، بفضل صرفه عن الغناء والطرب ، إلى التفقه في الدين ، حتى صار من أعظم أئمة الاسلام المشهورين .

●) وأستاذية الأمهات العربيات صاحبات الوصايا البليغة لأولادهن ذكورا أو إناثا ، وحسبنا من هذه الوصايا وصية الأم التي قالت لولدها ـ فيما قالت من وصيتها « **إياك والنميمة فإنها تزرع الضغائن ، ولا تجعل نفسك غرضا للرماة** » ووصية الأم الأخرى التي قالت لولدها من وصيتها : « **يابني إن سؤالك الناس ما في أيديهم ، أشد من الافتقار إليهم** » ووصية الأم الفزارية أسماء بنت خارجة لابنتها قبيل زفافها إلى زوجها : « **يا بنيتي إنك خرجت من العش الذي فيه درجت ، فصرت إلى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أرضا يكن لك سماء** .... » إلى آخر هذه الوصية المشهورة التي رويت بأساليب مختلفة ، ولكنها متقاربة في المعنى ...

د) وأما الاشادة بالأبناء النجباء ، والأمهات النجيبات :

فكانت تارة بالنثر ، وتارة بالشعر ، من طراز ما قاله الشاعر العربي القديم في نجابة الأولاد الثمانية ، وللأم النجيبة ربطة بنت سعيد بن سهم التي كنى عنها في شعره هذا « بأخت بني سهم » ودعونا هنا من الأبناء السفهاء ، الذين لم يتورعوا عن هجاء امهاتهم ، كما صنع ضابىء بن الحارث والحطيئة وأمثالهما ، ممن حرموا الاهتداء بالتراث الاسلامي الرفيع ، في إشادته بالأم وأفضالها فقد حرص القرآن الكريم على ان يقرن طاعتها وشكرها بطاعة الله وشكره إجمالا شفعه بتفاصيل الحمل والوضع والرضاعة ، في آيتين من سورة « الاحقاف » وسورة « لقمان » كما شفعه بتفاصيل ودقائق حسن المعاملة للوالدين في سورة « الاسراء » وحرصت السنة المطهرة على إبراز فضل الأم ومكانتها ، وواجب البر بها ، فقد روى البخاري **أن رجلا استأذن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الجهاد ، فسأله الرسول الانسان : « أحيٌّ والداك ؟ قال : نعم : « ففيهما فجاهد »** ..

وأخرج النسائي وغيره ، أن رجلا يسمى « جاهمة » قال : « يا رسول الله ، إني أريد الغزو وقد جئت إليك استشيرك ، فسأله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هل لك من أم ؟ قال : نعم ، فقال له : الزمها فإن الجنة عند رجليها » .

وأخرج البيهقي عن أنس بن مالك ، أن رجلا قال : يا رسول الله .... إني أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه ، فسأله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هل أحد من والديك ؟ قال : أمي ... قال : فاتق الله فيها ، فإنك اذا فعلت

ذلك ، فأنت حاج ومعتمر ومجاهد ...

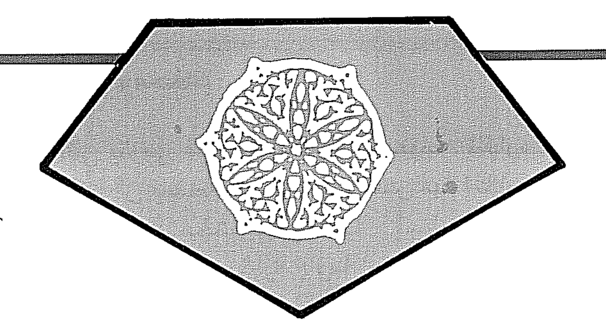
فالأم هي المدرسة التي يتربى فيها الانسان منذ نعومة أظفاره ، وتعطيه من رعايتها وحنانها ما لا يمكن أن يمنحه غيرها ، ولذا فإن لها المكانة السامية ، فما أروع المثل العربي الذي أورده الزمخشري في كتابه « اساس البلاغة » ، ونصه : « مالك إلا أمك ـ وإن كانت أمة (أي جارية) وما أروع ما قاله الفزولي ـ وهو غير الفزالي ـ رواية عن الأصمعي : كانت إحدى النساء العربيات ، تأتي بولدها الصغير ، قبل زحف الصباح على الدنيا بالحركة والنور ، ثم تقف به فوق تل عال ، لتناجيه في حنان دافق ، وحنين فياض : أي بني وريحانة فؤداى ، خذ صفو هذا النسيم قبل أن تكدره الخلائق بأنفاسها ... !!!! تلك هي الأم الحنون ، في قمة أمومتها ، التي لا ترتفع إلى مستواها أية قمة أخرى ولو كانت قمة الزوجية التي دلت التجارب قديما وحديثا ، على أنها دون قمة الأمومة بكثير ، وأين الزوجية من الأمومة في المثال الحي الآتي :

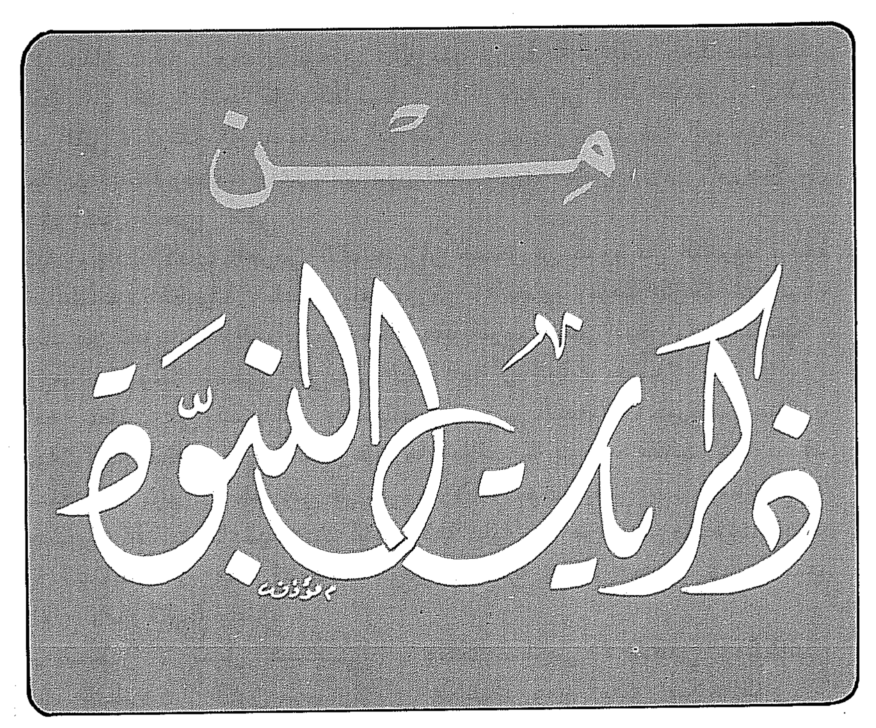
حدثتنا امهات الأدب العربي القديم ، أن صخر بن عمرو بن الشريد ، أخا الخنساء الشاعرة المعروفة ، طعنه ربيعة بن ثور الأسدي ، طعنة ألزمته الفراش ، حيث قامت على تمريضه والعناية به اثنتان هما أقرب الناس إليه ، وأعزهم عليه : أمه الكريمة ، وزوجه سلمى التي هي ابنة عمه في الوقت نفسه :

أما أمه ، فظلت على وفائها له ، وعنايتها به ، حتى اللحظة الأخيرة من حياته ، وأما زوجه وابنة عمه سلمى « فسرعان ما ضاقت به ذرعا » فقالت لأمه ـ وقد سألتها عنه ذات يوم : لا هو حي فيرجى ، ولا هو ميت فينسى ..... وقد سمعها زوجها صخر ، فكانت كلمتها هذه أشد وقعا عليه من مرضه ، وجاشت نفسه بمشاعره الملتاعه ، في هذه الآبيات المؤثرة الدامية ، التي جاءت في « الشعر والشعراء » لابن قتيبة وغيره :

أرى أم صخر لا تمل عيادتي ... وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك ، ومن يغتر بالحدثان ؟!!
لعمري لقد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان
وأي امرىء ساوى بأمٍّ حليلة ... فلا عاش إلا في شقا وهوان

ذلك غيض من فيض الأمومة الحنون الفذة ، في أدبنا العربي القديم ، وتراثنا الاسلامي العظيم ، الذي يعتز ـ أول ما يعتز ـ في ظلال الأمومة الوارفة ـ بعد كتاب الله ، وقرآنه الكريم ـ بنفحات الأمومة التي تعبق بها ، وتتوهج بأريجها ، عشرات المؤلفات الاسلامية ، التي نذكر منها هنا ـ على سبيل المثال لا الحصر : « الاصابة » لابن حجر العسقلاني ، و« أسد الغابة » لمجد الدين بن الأثير « الطبقات » لابن سعد ، و« الاستيعاب » لابن عبد البر ، وأخبار النساء لابن قيم الجوزية ، وطوق الحمامة « لابن حزم ، و« بلاغات النساء ، « لابن طيغور ، ومحاسن النساء لأحمد بن هشام .





للاستاذ أبو المعاطي سليمان عطا الله

أشْرِقْ بِطَلْعَتِكَ البهيـةِ عَاطِـراً وانثرْ على رَأسِ الحَياةِ آزاهِرَا
واصْعَدْ الى مَسْرى النجومِ مُفاخِراً بِمُحَمّدٍ خَيْرِ الخَليقَةِ .. جَوْهَـرَا
حَدِّثْ ولا تَخْشَ الحديثَ فأينمَا أشْرقتَ فاتْرُكْ في المَحَافِلِ عَنْبَرَا
يا يومَ مَوْلِدِ أحمدٍ تِهْ[1] بَيْنَنَا بِكَ أكرمَ اللّـهُ الوجُـودَ وَنَوَّرَا

* * *

والناسُ ضلّوا عن سبيلِ رَشادِهِمْ وَغَدَوْا وُحُوشاً ضَارياتٍ في الثّرَى[2]
مَلأُوا الحياةَ بجَوْرِهِمْ .. وَتوهّمُوا أنَّ الشّرِيفَ يَصِيرُ فيهم جَائِرا
عبدُوا الحِجَارةَ بئسَ صُنْعاً رَبُهم أيُمَاثِلُ الصَّنَمُ الإلـهَ القَـادِرا
وَتَخَـالُ مَنْ تَلْقَاهُ منهم كَـافِراً حَيـْرانَ قَلّدَ في العَقِيـْدةِ كَافِـرا

* * *

وَأدُ البَنَـاتِ رَذيْلَةٌ فِيهِمْ فَشَتْ كالسَّيلِ يَسْقُطُ مِنْ عَلٍ مُتَحدِّرَا
واذا الـوصِيْفَةُ بَشّرَتْهُ بِغـادَةٍ حَلَّ الوجُومُ بِهِ وَبَاتَ مُزَمْجِـرا
وامْتَدَتِ الأيْدِي الأثيمةُ نَحْوَها بالوأْدِ خَشْيَةَ أنْ تَجوعَ وَتُكْثَرَى[3]

* * *

أمّا الخُمُورُ وما جَرَى في وكرِهَا يُعْيِي الأدِيْبَ بَيـَانُهُ والشّـاعِرَا
عَبّوا الكُؤوسَ وأتْرَعُوا مِنْ دَنِّها وقضَـوا نَهَاراً بـاللَّـذّةِ زَاجِـرا
حتى أطاحَتْ بالعُقُولِ فإنْ تَجِدْ مِنْهُم لبيباً قَدْ تَـراهُ تَحَجّرَا
أما البغاءُ فَقَدْ فشَا .. وَلَـرُبّما تَجِدُ الْبَغِيَّ بِعِرْضِهِ قَدْ تَـاجَرَا
وَتَرَى النِّساءَ لَدَيْهِم .. وَكَأنّهَـا سِلَعٌ تُباعُ لِمَنْ يُرِيدُ وَتُشْتَـرَى

* * *

والمالَ قَدْ كَنَـزُوا وَصَارَ غَنيُّهُمْ بِـالمالِ فَظّاً طاغِيـاً .. مُتَجَبِّـرَا
مَنَـعَ الفقـيرَ نَـوَالـهُ وإذا بِـهِ عِنْدَ الـرَّذيْلَـةِ مُنْفِقاً وَمُبَـذِّرَا
لا حَـقَّ للفُقَـرَاءِ في أمْـوَالِهِـمْ إلاَّ إذا أرْبَـى الفَقِـيْرُ وَقَـدَّرَا
شَاعَ الرِّبَـا وإذا الرِّبَـا في أمّةٍ قَدْ شَاعَ حَلَّ بِهَا الزَّوَال مُبَكّرًا
مَا ضَرَّ لَوْ وَاسَوْا حَزِيْنـاً هَدّهُ كَيْدُ الزّمَانِ لَهُ وَفَكّـوا المُعْسِرا

* * *

صورٌ مِنَ الخُلُقِ الوَضيعِ رَخيصَةٌ بِشَرِيْعَةِ الغَابَاتِ كَانَتْ أجْدَرَا[4]
أيَسُودُ مُجتَمَعٌ يَفيضُ .. نَقَائِصاً جَعَلَتْ حَيـَاةَ العَالَمِـيْنَ دَيَاجِـرا
لا بُدّ مِنْ مَحْوِ الظّلامِ فَطَالمَـا كَانَ الظّلامُ على الحَقِيقَةِ سَاتِرَا
لا بُدّ مِنْ فَجْرٍ يُضِـيءُ لَنا الدُّنَى وَيَعُمُّهَـا نُـورُ النُّبُـوّةِ بَـاهِـرَا

* * *

وَلِدَ الهُدى فَانْشَقَّ فَجرٌ سَاطِعٌ يَهْدِي إلى اللَّهِ الشَّقيَّ الحَـائِرَا
فأتى إلى الدُّنيا يَتيماً لم يُصبْ مِنْها ثَراءً .. بَلْ أقَامَ على الثَّرى (٥)
رَفَضَتْـهُ كُلُّ المُرْضِعَاتِ لِفَقْـرِهِ إلاّ حَلِيمَـةَ أَمَّلَتْ أنْ تُؤْجَـرَا
فَمَشَى إليْها السَعْدُ يَطْرُقُ بَابَها حتى رَأَتْـهُ بِكُلِّ خَـيْرٍ عَـامِـرَا

* * *

شَبَّ الـوَليدُ بـدونِ أمٍّ أَوْ أَبٍ يَحْيَـا بِظلِّهِمَا عَـزِيْـزًا ظَـافِـرَا
فَتَعَهَّدتْهُ يَـدُ الجَلالَـةِ بالهُـدَى وَكَسَتْـهُ ثَوْبـاً بالمكَـارِمِ مُزْهِـرَا
عَافَ الدَّنَايا (٦) في الوُجُودِ وَمَلَّهَا واخْتَارَ مِنْ طُرُقِ الحَيَاةِ النَّيِّرَا
لمْ يَهْوَ لَهْواً مِثْلَ أَتْرابٍ (٧) غَوَوْا أنْعِمْ بِمَنْ عَاشَ الحَيَاةَ مُطَهَّرَا
ما خَانَ عَهداً ما تَنَاوَلَ فِرْيَةً (٨) ما رَامَ غَدْراً ما تَعَاطَى مُسْكِرا
خُلُقٌ كَزَهْرِ الرَّوْضِ فَاحَ عَبِيْرُهُ قَد كَانَ مِنْهُ الرَّوضُ دَهْراً مُقْفِرَا
أكْـرِمْ بِمَنْ رَبَّاهُ خَـالِقُهُ .. عـلى حُسْنِ الفِعالِ فَلَمْ يُمَارِسْ مَنْكَرَا

* * *

عَلِمَتْ خَدِيْجَةُ نُبْلَ أحمدَ مُشرِقَاً فَهَفَتْ الى هَذَا الشَّذَى مُتَقَاطِرَا
وَدَعَتْـهُ أنْ يَلِيَ التِّجَـارَةَ سَيِّداً وَيكونَ عَقْلَ المُخْلِصِيْنَ السَّاهِرَا
رَامَتْ خَدِيجَةُ أنْ يكونَ قِرَانُهـا بِمُحَمَّـدٍ رَوْضـاً نَضِيـْرَاً مُثْمِـرَا
فَمضَى إليْـهَـا عَمُّـهُ في بَيْتِهـا لِيَبُثَّها شَوْقَ الـرَّسُولِ الغَـامِرَا
فَعَلا جَبِيْنُ خَدِيْجَةَ البِشْرُ الذي يَجْلو النُفُوسَ فَحَدَّثَتْهُ بِمَا تَرَى
حَققْتَ لي أمَـلاً وَجِئْتَ بِمَطْلَبٍ قَدْ عَاشَ حِيْناً في الطَّوِيَّةِ (٩) غَائِرَا
وَهَبَتْـهُ ما مَلَكتْ فَقَـرَّتْ عَيْنُهَا وَحَبَتْـهُ خَيْراً قَـدْ تَدَفَّقَ أنْهُـرَا

* * *

هَجَرَ الحَيَاةَ بِشِرْكِها وَضَـلالِهَا وَثَـوَى بِغَـارٍ عَـابِداً مُتَـدَبِّـرَا
فأتى إليْـهِ الـوَحْيُ يُخْبِرْهُ بِمَـا شَاءَ الرَّحِيْمُ مِنَ الهِدَايَةِ لِلوَرَى
اقـرأ بِرَبِّـكَ خَـالِقـاً .. وَمُعَلِمـاً لِلنَاسِ فَارْتَـاعَ النبيُّ وَمَا دَرَى
وَعلى جَنَاحِ الشَّوْقِ طَارَ لِزَوْجِهِ يَحْكِي لَها وَحْيَ السَّمَاءِ البَاهِرا
وَدَعَـا بـدِيثَـارٍ فَـزَلْـزَلَ سَمْعَـهُ صَوتٌ مِنَ العَلْيَاءِ قَـالَ مُبَادِرَا
قُمْ أنْـذِرْ البَشَرَ الذينَ تَـوَغَّلُوا في الشِّـرْكِ وَاللَّهَ القَـوِيَّ فَكَبِّرَا

* * *

قَصَّتْ خَدِيْجَةُ لابْنِ نَوْفَلَ أَمْرَهُ وَرَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ العجابِ مَآثِرَا
فَـأجَابَهَـا هَذَا الـذي يَأتِي إلى مُـوسَى وَعِيسَى بالنُبُـوَةِ مُخْبِرَا
ولئِنْ وُهِبْتُ مِنَ الحَيَـاةِ بَقِيَّـةً حتى أرَاهُ يَكُنْ عَلَيْهِم ظَاهِرَا[10]

* * *

بَدَأ الرسولُ بَدَعْوةٍ .. في قَوْمِهِ سِـرّاً وَثَنَى بالحـوارِ مُجَاهِـرَا
فدعاهُمُ فوقَ الصَّفا كي يَسمعُوا هَـذا البَيَانَ العَبْقَـريَ الصَّادِرَا
لو قُلْتُ خيلاً خَلْفَ وَادِيكُمْ أَتَتْ لِتُـدَمِّرَ الحَيَّ الجَميـلَ المُزْهِـرَا
أيَشُـكُّ إنسـانٌ بمـا أخْبَـرْتُكُمْ وَتَرونَ قَوْلِي بالوِشَايَةِ قَدْ جَرَى
هَتَفُوا جَميعاً ما نَطَقْتَ بفِرْيَـةٍ مَـا كُنْـتَ إلا قَـادِراً ومُقَـدَّرَا
كَمْ بَثَّ قَوْلُكَ في العَشَائِرِ هِمَـةً فألان[11] إحْسَاساً وَهَزَّ مَشَاعِرا
فَعَلَتْ عَقِيْـرتُهُ[12] بـأمرِ صَـادقٍ إني بُعِثْتُ إلى الخَـلائِقِ مُنْذِرَا
بِرِسَالَةِ التَوْحِيدِ كُونُـوا دُونَهاَ خَـيْرَ الدُعَـاةِ هِدَايَـةً وَتَحَضُّرَا
وَتَعَلَّمُـوا حُسْنَ المكارِمِ تَـرْتَقُوا وَدَعُوا الخَنَا والشِّرْكَ ثُمَّ المَيْسِرَا
مَنْ لَمْ يُطِـعْ أَمْرَ الحَكِيمِ فَـإنَّهُ يَحْيَـا شَقِياً أو يَمُـوتُ مُحَسَّرَا

* * *

قَـالوا لـهُ تَبّاً أتَـدْعُو جَمْعَنَـا لِتَكُونَ مِنْ وُجَهاءِ[13] قَوْمِكَ سَاحِرَا
وَتعيبُنَـا وَتَنَـالَ مِنْ أشْـرَافِنَـا وَتَـوَدَّ للعَبْدِ الـذَلِيْلِ .. تَحَـرُّرَا
مـا أنْتَ إلا مَـارِقٌ عَنْ دِينِنَـا تَبْغِي لنـا كَيْداً وَحَظـاً عاثِـرَا
دَعْ ما تَقولُ وَكُفَّ عَنْـهُ فإنَّنَـا واللاتِ لَنْ نَرضَى لدِيْنِكَ نَاشِرَا
إنْ لمْ تَذَرْ ما تَدَّعِيْهِ فَقَدْ تَرَى فَـاهَ المَنِيَـةِ لالتهـامِكَ فـاغِـرَا
إنْ كُنْتَ تَبْغِى المُلْكَ والمالَ الذي تَحْيَـا بـهِ بَـيْنَ القبائلِ كابـرا
خُذْ ما تَشاءُ وَكُنْ عَلَيْنا سيِّداً واتْرُكْ حَدِيثاً في الجزيرَةِ قدْ سَرَى

* * *

قالَ اتَّقُوا غَضَبَ الحَليْمِ فَـإنَهُ أوْدى[14] بأقْوامٍ عَصَوْهُ وَدَمَّرَا
مَنْ بَاعَ دِيْنَ اللهِ يَـأمَلُ رِفْعَـةً أضحى ذَليلاً في الحياةِ وَخَاسِرَا
مـا جِئْتُكُمْ أبْغِي جِبَايَـةَ مالِكُمْ والمُلْـكَ فِيكُم بَلْ أتَيتُ مُحَـذِّرَا
أنَا مَنْ أرَادَ لِقَوْمِهِ سُبُلَ الهُدَى بِشَرِيعَةٍ تَسْمُو بِكُمْ فَوْقَ الذُرَا[2]
فأتَيْتُ أحْمِلُ خَـيْرَ دَسْتورٍ لَكُمْ فاصْغُوْا لِقَـوْلٍ يُرْشِـدُ المُتَحَيِّرا

سَمِعُوا كتابَ اللّـهِ تُتْلى آيـُهُ فتحرَّكُ العَقْلَ الشَـرُودَ النَّافِـرَا
وَقَفُوا أَمامَ بَيَانِـهِ في حَيْرةٍ وَتَضاءَلُوا عَجْزاً وَماجُوا أَبْحُرَا
قالُوا عَلَيْه الشِّعرُ لَيْسَ كَنَظْمِهِمْ قَالُوا عَلَيْهِ السِّحْرُ لمْ يَكُ سَاحِرَا
قَالُوا الكهانَةُ لم يَـرَوْهُ مُتَمْتِماً قَـالُوا حَـديثٌ بالجُنـونِ تَأَثَّـرَا
رامُوا مُعارَضَـةَ الكِتَابِ فَواجَهُوا بَحْراً يَفِيضُ مِنَ البَلاغَةِ زَاخِرَا
جَفَّتْ قَرِيْحَتُهُمْ وَغاضَ بَيَـانُهُمْ وَلَقَدْ عَرَاهُم[16] بالجَهَالَةِ ما عَرَى
عَجزُوا وَلو قَالوا لَجَاءَ كَلامُهُم خَزَفاً رَدِيْئـاً لم يُضَاهِ جَـوَاهِرَا

* * *

فَرَضُوا الحِصَارَ على الرَّسُولِ وَطالَمَا لَقِيَ الرَّدَى مِنْهُم وَكَانَ الصَّابِرَا
وَتَرَبَّصُوا لِلنَّيْل مِنْهُ وَمَا دَرَوا أَنَّ الـرِّسَالَـةَ يَنْبَغِي أَنْ تُنْشَرَا
وَحَمَى الإلـهُ نَبيَّهُ مِنْ غَـدْرِهِمْ وَأَتَى الوُجُودُ الى الرسُولِ مُسَخَّرَا
وَأَتَاهُ أَمْرُ اللَّـهِ دَعْهُمْ في عَمَى واذْهَبْ الى خَيْرِ البِلادِ مُهَـاجِرَا
وَلَقَدْ رَوَى التَنْزِيْلُ في آيَاتِـهِ أَنَّ المُعِـزَّ لِـدِيْنِـهِ لنْ يُقْهَـرَا

* * *

مَوْلايَ يا رُوحَ الوُجُودِ وَسِـرَّهُ النَّاسُ قَدْ ضَلُّوا وَعادُوا القَهْقَرَي
تَرَكُوا الشَّرِيْعَةَ وَاقتَدَوْا بِهَوَائِهِمْ غَدَرُوا وَخَانُوا وَاستَبَاحُوا المُنْكَرَا
صَرَعَتْهُمُ الدُّنْيـا بِزَيْفِ بَـرِيْقِهَا يـا لَلهَـوَانِ فَعُدْ إلَيْهِم مُنْـذِرَا

---

(١) يه : الاختيال والعجب .
(٢) السشرى .
(٣) تكترى : تستأجر
(٤) أجدر : أحق
(٥) الترى : التراب
(٦) الدنايا : الأمور الخسيسة .
(٧) اتراب : اقران .
(٨) فرية : كذب
(٩) الطوية : أعمق النفس .
(١٠) ظاهرا : منتصرا .
(١١) الان : رقق .
(١٢) عقيرته : صوته .
(١٣) وجهاء : اشراف .
(١٤) أودى : أهلك .
(١٥) الذرا : القمم العالية .
(١٦) عراهم : أصابهم .



كثير من نقاد عصرنا يلقون بالنقد جزافا على الدعاة ، يريدون من الداعية ان يكون كمعلم الحساب او الجبر ، يلقي حقائقه الدينية في جفاف كأنها معادلات او خطوات جمع وطرح ، يظنون أمور الدين التي يتناولها الدعاة بينة الذات ، بحسبها التذكير بها ، تذكيرا سافرا مجردا دون وشاح من حماس الداعي ، او تطرية بوسيلة تشويق ، او الانقياد لخيال بلاغي ، له أثره البالغ في تقريب البعيد النافر ، وتسكين الخاطر القلق ، وإدخال الفكرة في لطف وطلاوة على قلب يترقب .

وآخرون يتهكمون به متكلما وكاتبا ، اذا ظهر أثر وجدانه او انفعاله بفكرته ، فيسمون هذا العمل الواجب (أسلوب الزعيق أو التشنج) ويقيسون فن الدعوة على ما يسمي في الأدب الحديث أسلوب الهمس ، وهو قياس يجهل أو يتجاهل الفرق الواسع بين جمهور يتلقى حقائق الدين ومهامه ، وآخر يتلقي ترف الثقافة في شعر الهمس !

ليست هذه الأقيسة صحيحة ولا تلك الظنون ، وليس الأسلوب العلمي البحت صالحا - في كل حال - ليكون طريق الخطاب في المسائل الدينية ، واذا صح في تدريس الفقه والأصول للخاصة في المعاهد - مثلا - فلن يصح على قدم المساواة في غيرهما ، ولا في مسألة من مسائلهما يجعلها الداعية او الخطيب موضوع حديثه ، أو يجعلها كاتب مقال في صحيفة اسلامية مناط اهتمامه ، أما الذي يصح ويصلح في هذين المقامين ، فهو ما يصطبغ بوجدان الواعظ وتأثره ، لأن ذلك عنوان ايمانه بما يدعو إليه ، وكلما صدق إيمان الداعي بما يدعو اليه قابله التصديق بالدعوة من المتلقي ، والكلام الحي يخرج من القلب الحي ، وعلامة الحياة هي توقد اللفظ بانفعال اللافظ .

كم من حدث جديد نتلقاه خبرا هامدا راكد الدلالة ، وكم من حدث قديم نتلقاه خبرا حيا متحركا في الضمير ، وما الفرق بين الخبرين الا الصياغة الخطابية ، التي منحت القديم ما لم يمنح الجديد فاكسبته الحياة والحركة .

لو قيل لنا اليوم : هبت العواصف الشديدة في .. فهدت الدور واغرقت السفن واقتلعت الأشجار ..!

أتراه كقوله تعالى : « **وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم** » (٤١ - ٤٢ الذاريات) .

إن التصوير القرآني لرائع يملأ القلب بالرعب ، لتشخيصه الريح هذا التشخيص المؤذن بعدم إنتاجها ما تنتج الولود من إزجاء سحاب أو إنزال غيث ، ثم بتأكيد معني الشر المنوّه به بتلك الجملة المستأنفة التي قصرت كل شيء في ديار عاد على أشد الهلاك فلا نجاة ولا مهرب !

إنها تصور تلك الحال كأنها تقع أمامنا بتلك الجملة المضارعية ، كما تصور وقوع الدمار على عموم الأشياء ، بايقاع (**شيء**) النكرة في سياق النفي ، ثم تأكيد هذا العموم بزيادة (**من**) الداخلة عليه ، وقد تأكدت الكارثة بالجملة الوصفية (**أتت عليه**) فهي تومىء بالمضي إلى تحقق الوقوع ، وبالتعدية بـ (**على**) دون (**إلى**) يخرج فعل الاتيان عن معنى المجيء المطلق إلى معنى الابادة ، الذي صار إنذارا وارصادا لجعله كالرميم ، والرميم على ما فسره السدى وابو العالية هو التراب المدقوق ، وبهذا المعنى يتجلى لنا مغزى التشبيه ، اذ ان هذه الاشياء من

حي وجامد ، تبددت هياكلها ذرات كأنما دقتها الكارثة دقا !
هذه لمحة مما تضمنت الصورة على وجازة ألفاظها ، تعطي المتذوق برهان الصدق على ما قدمنا ، ونحن اذا ما احتكمنا الى القرآن بكل ما جاء فيه من عقيدة وتشريع وقصٍّ ومثل ، واجدون هذا الهزّ النافض لوجداننا والمثير لعواطفنا يشدنا اليه ، وكلما اعطيناه من تأملنا لدقائق روائعه قسطا أعطانا من عجائب خصائصه أقساطا ، ويحيرنا الاختيار اذا اردنا ان نختار المثال ، فالقرآن كله أينما يممت آية منه مثال !

الآن كنت أسمع من ترتيل الشيخ الحصري ـ رحمه الله ـ سورة (**النبأ**) ولم يكن قبل الآن يدور بخلدي أن أختصها دون غيرها بحديث ولكنه قد لفتني إليها هذا العجب العاجب الذي بدأت به ثم سارت عليه ، من التحرك الأسلوبي السريع الذي لا يترك للرتابة أن تمس الفكر أو الخاطر ، فليس ما يأخذ عين المراهق من نبضات الحروف المتألقة في لافتة كهربائية بآخذ للعقل الكبير من هذه الوثبات في السورة ! إنها إحدى السور القلائل التي بدئت بالاستفهام ، ولكن الاستفهام هنا لحقه الجواب بلا مهلة ، فلم يدع للناظر أن يتلفت ، لان الجواب هو مناط الحديث الرادع بالحجة !
(**عم يتساءلون**) : تصوير عجيب ! فهم لا يسألون من ينبئهم سؤال المستفيد ، فقد سمعوا منه فكذبوا ، ولكنهم يسأل بعضهم بعضا سؤال المكذب المتعجب المحتار ، « **عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون** » .

انتقال « سريع » الى الجواب ولكن التظليل الحادث بالكناية عن المستفهم عنه والمجاب به يظل غلالة لطيفة تخايل لنا الحقيقة من ورائها ، إلا أنها بالنسبة إليهم أمر معهود معين ولذلك جاء معرفا بلام العهد ، أما نعته بالعظيم ثم بالموصول وصلته الأسمية التي تؤكد اختلاف القوم فيه لحيرتهم ، فانه يزيدنا تشوفا الى هذه الحقيقة المظللة بالكناية !

إنها أمر البعث ، الذي ترشد الى حيرتهم به وانكارهم اياه وتعجيب بعضهم بعضا من الانباء به آيات « **كثيرة مكية** » منها ما هو آت قريب في السياق نفسه .
وتطفر عبارة الردع والزجر والتهديد مذكورة مرتين ، ثانيتهما معطوفة بأداة التراخي (**ثم**) على الأولى ، لافادة علو هول الثانية مدلولا ، كي يعلم بطريق اللزوم من ذلك الردع والتهديد جسيم جرمهم ، بالأزورار عن التصديق والاستمرار في هذا التساؤل ! ولكن حذف مفعول (**يعلمون**) يوقع القلب في دوامة التوجس للمهدد به ! أي امر يكون ؟ غير أنه لن يطول أمد الحدس فان حرف التنفيس هو السين القصيرة المدى .
ويعود الاستفهام مرة أخرى لا عن النبأ العظيم في ذاته ، فانه نبأ بغيب كذبوه

لضيق قلوبهم عن تصديقه ، ولكن عن أمور مقررة جوابها الحتمي منهم (**بلى !**) ولازم هذا الجواب عن السؤال التقريري بالواقع الملموس ، هو التهكم بهم والتجهيل لهم ، لعماهم البين عن قياس النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ، على هذه الأمور المشاهدة الملموسة ، التي هم لابد مجيبون عنها بالايجاب ، لان الموجد لما أقروا به موجود وهو أمر جلل ، ليس غير الموجد لهم بعد الموت ، « **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس** » (٥٧ غافر) . ولايجاد الجبال الشامخة وتوظيفها لارساء الأرض أن تميد ، ولجعل الأرض مهادا لتيسير سعيهم واقامتهم ، وكل ما ولى هذين من كبار الأحداث ، التي يرونها اينما كانوا وأي وقت يكونون ـ لكل ذلك او بعض ذلك برهان لذي عقل كي يؤمن بالنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون !

● « **ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا . وخلقناكم أزواجا . وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا . وبنينا فوقكم سبعا شدادا . وجعلنا سراجا وهّاجا . وأنزلنا من المعصرات ماء ثجّاجا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات ألفافا** » سورة / النبأ .

لقد اجتذبهم من الأرض وما عليها ، وارتفع بهم الى السماء وما فيها ، وعاد بهم بعد الرحلة الى الأرض مستقرهم : حبها ونباتها وجناتها الألفاف ، في سياق سريع متعاطف وجمل فعلية تبتديء جميعا بمعنى الخلق والإيجاد ، أسندت أفعالها الى القادر الجليل سبحانه ، وقد استوعبت اشاراتها ، ورموزها مشارات إليها واسعة الشرح . فانظر الى جعل الأرض مهادا والجبال اوتادا ، وما ينطوي تحته من اعدادها مستقرا صالحا لحياة تنمو وازدهار يزداد !

ثم انظر الى الخلق ازواجا وما يرمز اليه من حكمة هذا التنويع الهادف الى بقاء الجنس ليوم المعاد !

ثم الى النوم السبات وفي الليل اللباس وما يتضمن من نعمة بناء الخلايا الهالكة واعادة العزم الغارب للجسم المكروب والعقل المكدود !

ثم الى النهار المعاش وما يعني من الانبعاث بالطاقات العائدة او المتجددة في سبيل التحضير والتعمير !

ثم اطرد الأمر على هذا النسق ، وإن كنا قد فسرنا الرموز برموز والاشارات باشارات .

واذ يقف المسؤول المقرر بهذا الجعل والايجاد خاضعا يقول : (**بلى !**) لا يستطيع أن يفضح نفسه بالانكار ، يجيئه ما يجذب ناصيته جذبا من جمل تقريرية اخبارية ، تؤكد بصراحتها وقوع النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ، والذي عنه يتساءلون ، وقد تهيأت الأذهان لجذب ناصيتها بما سبق من جمل شديدة الأسر ملزمة بالايجاب !

● « **إن يوم الفصل كان ميقاتا . يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا** »

لقد سمي هنا يوم الفصل ، لأن الفصل اخص من البعث وأوفى دلالة ، وزيد

فأبدل منه مطابق في الظرف مفارق في الوصف (**يوم ينفخ في الصور**) لتصوير الرهبة البالغة والجلال المهيب تصويرا يسبح فيه الخيال اي مسبح فيتصور النفخ والصور والنافخ ، كم يبلغ من الأعماق والأبعاد حتى يحشرهم جميعا للفصل ، ولا يحشرهم افرادا بل يحشرهم افواجا !

هذه خطرات لمحتها لمحا سريعا في هذا الجزء من السورة ، فهل هناك من يرى اذا قرأ القرآن بقلبه غير هذا التحريك المستمر لقلبه بتلوين الخطاب وسرعة التنقل من اسلوب الى آخر منذ البدء بالاستعاذة الى الختم بالتصديق ؟

هذا هو الكتاب المبين الأعلى ، والمعجز للخلق والرائد للدعاة !

ترى هل تختلف السنة المطهرة في هذا النمط من الأداء عن القرآن المجيد ؟

★ ان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأسمى وجدانا وأرق وأدق حسا من ان يكون جاسي الطبع جافي اللفظ جامد التعبير ، وهذا هو القرآن المنزل على قلبه يناديه : « **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » (١٥٩ آل عمران) .

ولقد كانت حياته الوجدانية سراجا وهاجا مشكاته الألفاظ في كل معنى فاه به ، وقد وصفه الله بنعوت تؤكد هذا التألق الشعوري المستفيض في انحاء حياته النبوية : تلك الحياة التي أرهصت بها أنماط سلوكه من مولده الى يوم مبعثه ، من ذلك قوله تعالى : « **لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** » ولهذا نعت نفسه بما نعته به ربه فقال : « **إنما أنا رحمة مهداة** » (عن أبي صالح لابن سعد والحكيم ـ الفتح الكبير ١/ ٤٣٦)

الى كم يتسع المدى النفسي تحت (**عزيز عليه ما عنتم**) : انه يشق على نفسه .. يرهقه .. يسهده .. يؤلمه .. يحثه على الاستغفار لكم والدعاء بالعفو عنكم .

ثم الى كم يتسع مدى الدلالة النفسية لقوله : (**حريص عليكم**) : لنفاستكم لديه .. لأنكم أمته .. لأنه مباه بكم الخلق يوم القيامة .. لأن الرأفة والرحمة غريزةُ قلبِه ورمزُ رسالتِه !

لذلك كما اسلفنا كانت أحاديثه وكانت خطابته ودعوته فيضا غامرا من دفقات وجدانه ، وما يزال ولن يزال الى يوم الدين ثاني القرآن ترتيبا في امتلاك القلوب بذلك المعنى ، واذا سمي شيء في أدب الناس بالصدق الفني فان أروع المثل لذلك الصدق هو قوله الشريف صلوات الله وسلامه عليه !

واذ لا يستطاع الاكثار من الشواهد في مقال كهذا لامتزاج قوله بالآسر للقلب من صور وجدانه ، فاني مورد بعض نماذج دعوته التي على نمطها يجب ان يسير الدعاة ، غير مكترثين بمن يريدهم على غير منهجهم ، وان هذا النمط الآسر ليتجلى في اوجز العبارات من قوله الشريف صلوات الله وسلامه عليه !

انظر الى هذه الومضات السريعة الموحية ، التي تترك وراءها خطا طويلا من نور تظل المشاعر به عالقة : قال صلى الله عليه وسلم

« ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » (عن كعب بن مالك ـ تيسير الوصول ٢٢٩٢) .

جملة خبرية قصيرة ، مغزاها القريب الذي يؤدي بالكلام الجاف العاري عن بلاغة النبوة ، والذي يذهب عن القلب مع ذهاب اللفظ عن السمع هو : حرص المرء على المال والشرف شديد الفساد لدينه .

غير أنه صلى الله عليه وسلم أعظم علما بما يؤثر في النفوس أثره البالغ اذا اكتسي به المعنى ، فأخرجه على تلك الصورة اللافتة .

صورة ذئبين : مثال للشراهة والشر والافساد ، يبدأ بها الحديث إنذارا أو إرهاصا بشيء خطير يجب الحذر منه !

واذا كان الذئب بلا نعت ، تلك منزلته من الحذر ، فما بالك به وقد نعت بالجوع ؟ ثم ما بالك بالذئبين المنعوتين بالجوع اذا ارسلا ارسالا في الغنم بلا قيد ولا حرز ولا زاجر ؟ انها صورة في القمة من الشر !

اذا تمكنت تلك الصورة من خاطرك فلا تظنن انفرادها بتلك القمة ، فقد دخلت اداة النفي عليها لتنقض زيادة شرها عن صورة ذئبين معنويين جائعين يرسلان في دين المرء فلا يتركان له صلاحا ! انهما الحرص الطائش على المال والحرص الطائش على الشرف ، ومعنى طيشهما ألا يكونا خاضعين لأمر الشريعة فيهما .

أتساوى شاة تهلك او قطيع من الشياه أو ملء الأرض ذهبا فساد دين المرء وهلاكه ؟

أي رصيد نفسي وراء هذا المثل الصغير الحجم ؟ والى اي مدى بتلك الجملة القصيرة الآتية تنفعل كما انفعل اصحابه حين قال : صلى الله عليه وسلم

« لا تجعلوا بيوتكم مقابر ! ان الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة » (عن ابي هريرة ـ لمسلم والترمذي ـ الفتح الكبير ٣/٣١٥) .

أرأيت ما تثير جملة النهي في نفسك ؟ أرأيت البيت القبر كم يكون ظلامه ووحشته والمنافرة بينه وبين الحياة ؟ اذا انقدح ذلك في نفسك بكل ما توحى به الصورة من المعاني فاعلم انه البيت الخالي من قراءة القرآن ! الذي أنزله الله نورا مبينا يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام !

كان صلى الله عليه وسلم يقتاد الناس بأعنة غرائزهم وميولهم فيأتيهم من جهة ما يبغضون تبغيضا للشر ومن جهة ما يحبون تحبيبا في الخير ، وذلك ما نراه في المصدر الأعلى للدين وهو القرآن .

انظر مصداق الأمرين معا في هذين النصين :

« إن من اكبر الكبائر ان يشتم الرجل والديه ! قالوا : وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : نعم .

يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه » (تيسير الوصول ٤/١٣٥) .

لقد استثارهم من مكمن الكراهية لأكبر الكبائر ، ليمكن في قلوبهم المستثارة ما شاء من تبغيض أذى الوالدين ولو من طريق غير قاصد !

« أيحب احدكم اذا رجع الى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان ؟ قلنا : نعم ! قال : فثلاث آيات يقرأ بها احدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان » (تيسير الوصول ١ / ٨٤ .

ألا تراه صلى الله عليه وسلم هنا قد استثارهم من مكان ما يحبون ؟ أن يفاجأ الرجل لدى أهله بهذا الخير العظيم ما أوجف عليه من خيل ولا ركاب : ثلاث خلفات عظام سمان لا ثلاث دجاجات ولا ثلاث شياه ولا خلفة واحدة !

اذا كان هذا من متاع الحياة الدنيا حبيبا الى النفس فان احب منه لدى المؤمن الحق متاع لا يبور !

الآن أصلك بنص أطول اختم به الجولة ليتأكد لك ان الدعوة الكريمة قامت على هذا النسق العالي الذي يلزم الدعاة ان يأتسوا به ، وهو التملؤ الوجداني بما يدعون اليه أولا ، ثم حمل ما يدعون اليه من مسائل الدين لسواهم على أجنحة الترغيب والترهيب ، المحلقة بالقلوب المتلقية في رحاب حياة روحية أطهر وأنقى ، وأهنأ وأشهى ، مما لا يتأتي لهم الوصول اليه بالقول الجاف والعبارة البليدة ، وليس معنى ذلك ان ينفعلوا انفعال الجاهل بالسب والتيئيس ، والاعتماد على جهارة الصوت بلا رصيد من علم نفس الجماهير ، الذي يستمد القاعدة والتطبيق من المصدرين الأعليين : القرآن والسنة .

« عن ابي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض : السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان .

أي شهر هذا ؟ قلنا : الله أعلم ورسوله ! فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه ! فقال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا : بلى ! قال : أي بلد هذا ؟ قلنا ؟ الله ورسوله اعلم ! فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه ! فقال : أليس البلد الحرام ؟ قلنا : بلى ! قال : فأي يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله اعلم ! فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ! فقال : أليس يوم النحر ؟ قلنا ؟ بلى ! قال : فان دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ! وستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم ، فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ! ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فلعل بعض من يبلغه ان يكون أوعى له من بعض من سمعه ! ثم قال : ألا هل بلغت ؟ ثلاثا ـ قلنا : نعم ! قال : اللهم فاشهد ! (تيسير الوصول : ١/ ٢٢) .

هكذا هز قلوبهم هزا عنيفا بالاستفهام المحير والسكتات المخيفة وتراكب الحرمات بعضها فوق بعض لأن خطر الدماء والأموال والأعراض من أشرى الخطر الذي كان يخافه من بعده ويالله للمسلمين فقد كان !

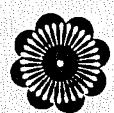
مائدة القارئ

دعاء

« فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين » .
الأعراف / ١٥٠

أخبرنا عن نفسك ؟

روى ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قالوا له : يارسول الله : اخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم ، انا دعوة ابي ابراهيم ، وبشري اخي عيسى ، ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاء لها قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر .



كفالة اليتيم

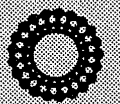
عن ابي هريرة ـ رضي الله عنه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قال : خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه .

رواه ابن ماجه

العتاب

قال أحدهم : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ، وضربة الناصح خير من محبة الشاني .



المسجد

يقول الرافعي : المسجد هو في حقيقته موضع الفكرة الواحدة الطاهرة المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع ، هو فكر واحد لكل الرءوس ، ومن ثم فهو حل واحد لكل المشاكل ، وكما يشق النهر فتقف الأرض عند شاطئيه لا تتقدم ، يقام المسجد فتقف الأرض بمعانيها الترابية خلف جدرانه لا تدخله .

شاهد

شهد رجل عند بعض القضاة على رجل آخر ، فاراد هذا أن يجرح شهادته ،
فقال للقاضي : أتقبل وهو رجل يملك عشرين الف دينار ، ولم يحج الى بيت الله ؟
فقال الشاهد : بلى ، قد حججت . قال الخصم : فاساله ايها القاضي عن زمزم كيف هي ؟
قال الشاهد : لقد حججت قبل ان تحفر زمزم فلم أرها .

القريب

قال الشاعر :

وجدت قريب الود خيرا وان نأى
من الأبعد الود القريب المناسب

ورب اخ لم يدنه منك والد ابر من ابن الأم عند النوائب
ورب بعيد حاضر لك نفعه ورب قريب شاهد مثل غائب

العلماء

العلم بين التخصص والتوسع

يكاد لا يعترف العصر الحديث بالعالم الموسوعة ، لأن نظام التخصص طغى على كل شيء وأصبح ظاهرة من ظواهر الحياة .

وبتقدم العلم تفرعت أصوله الى فروع كثيرة وأصبح لكل فرع علماؤه الذين يتعمقون في أبعاده وأغواره وينبئوننا كل يوم عن جديد .
واعتنت الجامعات التي أنشئت لهذا الغرض نفسه ـ غرض التخصص ـ بأقسامها المختلفة العليا التي تشجع على الدراسة والبحث والتخصص ، وأخذت تحث النابهين من طلابها على مزيد من التعمق والتخصص ، حتى انقسم العلم الواحد الى علوم والفرع الواحد منه الى فروع .

وأصبح من المسلمات لدى الناس أن يدركوا أن المتخصص في فن من الفنون أو علم من العلوم أقوى وأدق إدراكا من ذلك الذي يحيط بالعديد منها ، وفي مجال الطب مثلا لا يقبل المريض عادة الا على الطبيب المتخصص في علاج المرض الذي يشكو منه ، ولا يعترف بالممارس العام الذي اخذ من كل فن بطرف .

وهذه قضية لا يشك أحد في جدواها وفائدتها وعظم الآثار المترتبة عليها ، فلولا التخصص ما وصل العلماء الى ما وصلوا اليه من تقدم ، وما شهد العصر الحديث ذلك الانقلاب

الموسوعات



للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

الهائل في شتى مجالات المعرفة .

وكان علماؤنا القدماء - رحمهم الله - يعترفون بنظام التخصص ، فكان منهم علماء في النحو وعلماء في الطب وعلماء في الفلسفة وعلماء في الفلك وعلماء في التاريخ وعلماء في الرياضيات وعلماء في غير ذلك من الوان المعرفة .

ولكن بعض العلماء خرجوا على نظام التخصص واطلقوا العنان لعقولهم تجول في مناحي المعرفة حتى برز عدد من هؤلاء في مجالات مختلفة تبريزا واضحا دون ان يقصر واحد منهم في اي فرع تناوله .

ولم تكن المعارف محدودة يسهل الاحاطة بها بأدنى جهد ، ولكنها كانت واسعة متعددة المنابع والموارد ومع ذلك كان الاقبال على تلك المنابع والموارد منقطع النظير .

سلاح العلم :

كانت همة العلماء لا تعرف الكلل وكان الطموح العظيم رائدهم لا تقصر همة الواحد منهم على هدف قريب او تقف عند حد معين ، وكانت التقوى تغذيهم وتمدهم بقوة خارقة تعينهم على الطلب وتحثهم على نشدان الكمال ، ولا يجهلن احد قيمة التقوى في الاعانة على طلب العلم والنبوغ فيه ، فالله جل وعلا يقول : (**واتقوا**

الله ويعلمكم الله) البقرة/٢٨٢
وفي بعض الآثار : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم . ولعله مما يستشهد به في هذا المجال قول الامام الشافعي رضي الله عنه :

شكوت الى وكيع سوء حفظي
فأرشدني الى ترك المعاصي
واعلمني بأن العلم نور
ونور الله لا يهدي لعاصي

وفي وصية الامام مالك للشافعي حين قصده بالمدينة ما يؤكد اهمية التقوى في طلب العلم ، قال له : يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن من الشأن .

وهذه وصية جامعة على قصرها ، ومن حقها ان تهدى الى كل طالب علم في عصرنا الحديث ، لعل الله يبارك له في علمه الذي يكتسبه فينفع به وينتفع ، ويصبح وسيلة من وسائل الهداية الى الله واداة من ادوات تحقيق السعادة والأمن في المجتمع .

امثلة من المبرزين في مختلف العلوم :

برز كثير من العلماء الاجلاء القدماء في علوم كثيرة ، وأمامنا نماذج من هؤلاء تشهد بأن الله قد وهب لهؤلاء العلماء بصيرة نفاذة وقريحة وقادة ذللت لهم الصعاب وهونت أمامهم المشاق .

فمن هؤلاء « الفاكهى » وهو عبد الله بن احمد المتوفي سنة ١٩٧٢ هـ ، فعلى الرغم من انه كان فقيها شافعيا نبغ في الفقه وفروعه إلا أن همته انصرفت ايضا الى علوم اللغة فأتقنها وألّف فيها ومن مؤلفاته في ذلك : حدود النحو ، والفواكه الجنية على متن الاجرومية، وكشف النقاب عن ملحة الاعراب .

ومنهم الامام الغزالي حجة الاسلام رضي الله عنه وقد اتقن علوما كثيرة وهو اشهر من ان يعرف به ، « والدميري » صاحب كتاب حياة الحيوان الكبرى ، وهو كمال الدين ابو البقاء بن محمد المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ، وقد جمع في كتابه بين الفقه والحديث واللغة والتاريخ والتفسير والمعرفة بالأمثال والطب والحكمة هذا الى جانب موضوع الكتاب نفسه وهو علم الحيوان .

ومنهم « القفطى » وهو على بن يوسف وكنيته أبو الحسن ولقبه جمال الدين المتوفي سنة ٦٤٦ هـ ، وقد نبغ في علوم عدة منها العربية والرياضيات والنجوم والهندسة ، وأهّله نبوغه الى ان يتولى الوزارة ، ومن مؤلفاته الدالة على توسعه في العلوم : الاصلاح لما وضح من الخلل في كتاب الصحاح في اللغة ، الكلام على الجامع الصحيح في الحديث ، اخبار العلماء بأخبار الحكماء في التاريخ ، الدر الثمين .
ومنهم إمام الحرمين « الجويني » الملقب بضياء الدين وكنيته ابو المعالي واسمه عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، يقول عنه ابن خلكان : انه اعلم المتأخرين المجمع على إمامته المتفق على غزارة مادته وتفننه في العلوم من الاصول والفروع والادب

وغير ذلك ، صنف في كل فن ومن مصنفاته : كتاب نهاية المطلب في دراية المذهب ، وكتاب الشامل في اصول الدين ، والبرهان في اصول الفقه ، وغير ذلك من الكتب ، وقد توفى « الجويني » سنة ٤٧٨ هـ وقيل في رثائه يوم مات .

أيثمر غصن اهل العلم يوما
وقد مات الإمام ابو المعالي ؟

ومنهم المقرى اسماعيل بن الشاودي المتوفي سنة ٨٣١ هـ ، ذكره صاحب المنجد وقال : إنه كان فقيها شافعيا تولى القضاء ، ويطلق عليه عالم اليمن ، نبغ في علوم كثيرة منها الفقه والنحو والتاريخ والعَروض ، وغيرها وهو غير المقرى احمد بن محمد التلمساني صاحب كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وقد توفى سنة ١٠٤١ هـ ، وكان ايضا موسوعة علمية رائعة يشهد بها كتابه المذكور .

ومنهم أبو الريحان البيروني الذي شهد الجميع بفضله وتقدمه ، قال عنه الدكتور عبد الحليم منتصر : وقد تميز في فنون كثيرة متباينة غاية التباين ، مما يدل على انه عبقرية نادرة المثال ، فهو في التاريخ محقق مدقق واسع الاطلاع وفي « الجيولجيا » جيولوجي ممتاز بشهادة الجيولوجيين المعاصرين وفي الفلك والرياضيات فلكي ورياضي ممتاز بشهادة اساتذة الفلك والرياضيات المعاصرين ، ولقد حصرت مؤلفات البيروني ما بين مطبوع ومخطوط وموجود ومفقود فإذا بها تبلغ مائة وثمانين كتابا ورسالة وكان بارعا في الكتابة باللغتين العربية والفارسية ، وفي دور الكتب الاوروبية جملة طيبة من مؤلفاته القيمة التي يرجع اليها المستشرقون وقد ولد البيروني سنة ٣٦٢ هـ وتوفى سنة ٤٤٠ هـ بعد حياة حافلة قضاها في البحث والدراسة والتأليف .

ومن الشواهد الواضحة للعالم الموسوعة الامام السيوطي رضى الله عنه . وهو جلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر المتوفي سنة ٩١١ هـ قال عنه المؤرخون : انه عالم مشارك في انواع العلوم ، قرأ على واحد وخمسين عالما ، ورحل يطلب العلم في جميع البلاد العربية وغيرها وله مؤلفات في مختلف العلوم ، ونظرة الى مؤلفاته تشهدك على مدى ما وصل اليه ذلك العالم الجليل من نبوغ في شتى الفنون والمعرفة .

السيوطي يحدث عن نفسه :

ولندع السيوطي رحمه الله يحدثنا بلسانه عن طلبه للعلم وتبحره فيه وصبره عليه ، فمما اورده محقق كتاب درة الحجال في اسماء الرجال قول السيوطي عن نفسه في كتابه « حسن المحاضرة » : « نشأت يتيما ، فحفظت القرآن الكريم ولي دون ثماني سنين ، ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك ، وشرعت في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة اربع وستين وثمانمائة ، واخذت في الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ ، واخذت الفرائض عن

العلامة شهاب الدين الشارماحي فرضى زمانه ، واجزت بتدريس العربية في مستهل سنة ست وستين ، وقد الفت في هذه السنة فكان اول شيء الفته شرح الاستعاذة والبسملة ، واوقفت عليه شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقيني فكتب عليه تقريظا ولازمته في الفقه الى أن مات ، فلازمت ولده .

ثم لزمت في الحديث والعربية شيخنا الامام العلامة تقى الدين الشبلي الحنفي وكتب لي تقريظا على شرح الفية ابن مالك وعلى جمع الجوامع في العربية تأليفي ، وشهد لي غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه وبنانه .

ولزمت شيخنا العلامة استاذ الوجود محيى الدين الكافيجي أربع عشرة سنة فأخذت عنه الفنون والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك ، وكتب لي اجازة عظيمة .

وشرعت احضر عند الشيخ سيف الدين الحنفي دروسا كثيرة في الكشاف والتوضيح وحاشية عليه ، وتلخيص المفتاح والعضد .

واخذت في التصنيف في سنة ست وستين وبلغت مؤلفاتي الى الآن ثلاثمائة كتاب سوى مارجعت عنه . وسافرت بحمد الله الى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور ، ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور منها ان اصل في الفقه الى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني وفي الحديث الى رتبة الشيخ الحافظ ابن حجر .

وافتيت في مستهل سنة احدى وسبعين ، وعقدت إملاء الحديث في مستهل سنة اثنتين وسبعين ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء لاعلى طريقة العجم وأهل الفلسفة والذي اعتقده ان الذي وصلت اليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها لم يصل اليه ولا وقف عليه احد من اشياخي فضلا عمن هو دونهم ، واما الفقه فلا أقول ذلك فيه بل شيخي فيه أوسع نظرا وأطول باعا ، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ودونها الانشاء والترسل والفرائض ، ودونها القراءات ولم اخذها عن شيخ ودونها الطب ، وأما علم الحساب فهو أعسر شيء علي وأبعده عن ذهني واذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما احاول جبلا أحمله وقد كملت عندي الآن آلة الجهاد بحمد الله تعالى .

أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى لا فخرا ، وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر ؟ وقد أزف الرحيل وبدأ الشيب وذهب اطيب العمر ، ولو شئت الآن أن أكتب في كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله لا بحول مني ولا قوة فلا حول ولا قوة الا بالله » .

وقد ذكر السيوطي رحمه الله أن

مؤلفـاتـه في وقت تـأليفـه حسن المحاضرة بلغت ثلاثمائة كتاب ، ولكن صاحب درة الحجال ذكر أنها لا تحصى كثرة وأنها تناهز الألف .

وحسبك هذا العدد الذي ينبيء عن معرفة واسعة وعلم غزير لا يقف عند حد قريب ، ولكنه يتناول شتى المعارف بأدق التفصيلات وقد اعترف بنفسه انه قصر في بعض الفنون كالحساب ولكن ذلك لا يطعن في مقدرته بل الذي يطعن في الشخص الادعـاء ، كما اعترف بأنه عزف عن بعض العلوم كالمنطق لا عجزا عنه ولكن زهدا فيه ، فهو يقول وقد كنت في مبادىء الطلب قرأت شيئا في علم المنطق ثم القى الله كـراهته في قلبي وسمعت ان ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك ، فعوضني الله عنه علم الحديث الذي هو من أشرف العلوم .

وهمة السيوطي رحمه الله عالية اتاحت له الوصول الى هذه القمة الشـامخة يـزينها تـواضعه الجم واجلاله لشيوخه وتقديره لهم وحرصه على ملازمتهم والاستفادة منهم ، كما يـزينها ايضـا صبره عـلى الطلب والمعاناة هذا الى جانب تقواه وورعه ، حتى انه ليحكي عنه انه في اثناء تأليفه التفسـير مع الجـلال المحلي كـانا يصعدان الجبل ولما سئل في ذلك قال : اخشى ان اخطىء فاعاقب ، فيصاب الابرياء بسببي .

وقد اسهبت في الاستشهاد بالسيوطي لكثرة مؤلفاته وتداول الكثير منها ولان حديثه الذي ذكره دليل صدق على أن من جد وجد ومعلم مشرق لمن يريد من طلاب العلم أن يقتفي الآثار الشامخة ويهتدي بضوئها .

عصر الموسوعات :

وربما كان العصر الذي نشأ فيه السيوطي يتميز بظاهرة التوسع التي كانت رد فعل لحركة الدمار التي قام بها التتار ضد الحضارة الاسلامية وعلومها ، فقد تضافرت جهود العلماء الذين طاردتهم سطوة الطغاة وغيرهم على انقاذ العلوم والمعرفة . يحدثنا عن ذلك الدكتور عبد اللطيف حمزة في كتـابـه عن القلقشنـدي فيقـول : « سقطت بغداد عام ٦٥٦ هـ في ايدي التتار ، ودفع هؤلاء الطغـاة بتلك المدينة الاسلامية الزاهرة الى الدمار الحقيقي ، عاثوا فيها فسادا وإتلافا ، وانهـالوا عـلى علمائهـا تشـريـدا وازهاقا ، ثم لم يكفهم أن يفعلوا ذلك بالارواح حتى راحوا يفعلونه بالكتب والمؤلفات . والكتب يومئذ تراث أجيال مضت وأزمنة قضت ، فألقوا بهذه الكتب في نهر دجلة ، ثم أتى تيمورلنك في أواخر هذا القرن ، فذهب بالبقية الباقية من هـذه المدينـة وتركهـا تحتضر .

وطار العلماء والادباء والفضلاء ففروا الى مصر ، وهناك أمن هؤلاء العلماء على أنفسهم وأحدثوا حركة علميـة كبيرة أثـرت في العلمـاء ، المصريين تأثيرا كبيرا فدعتهم الى إنقاذ الثقافة الاسلامية التي جنى عليها الجهل والظلم والتوحش ، ورأى العلماء يومئذ أن خير طريقة ينقذون بها الثقافة الاسلامية الضائعة هي

جمع المواد التي تتألف منها هذه الثقافة في كتب كبيرة على شكل موسوعات أو دوائر معارف عظيمة . لاتدع صغيرة ولاكبيرة من تلك المواد إلا أحصتها ... يضاف الى ذلك باعث آخر هو ديوان الانشاء » .

ومن هذه الموسوعات التي ظهرت في تلك الفترة : نهاية الأرب للنويري ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، ولسان العرب لابن منظور ، وصبح الأعشى للقلقشندي .

وكاتب الموسوعة لا بد ان يكون موسوعة في حد ذاته فالكتاب صورة من مؤلفه وقطعة من عقله . واذا تتبعنا سير هؤلاء الفضلاء أدركنا مدى ما وصلوا اليه من معرفة واسعة وعلم غزير .

فالنويري هو احمد بن عبد الوهاب المعروف بشهاب الدين النويري ، ولد بقرية نويرة من اعمال بني سويف احدى محافظات مصر سنة ٦٧٧ هـ وتوفى سنة ٧٢٣ هـ .

تحدث عنه وعن فضله وعلمه كثير من المؤرخين والمعنيين بتراجم الاعلام ، ولكن كتابه القيم « نهاية الأرب أعظم مترجم لحياته ، فقد ألفه في ثلاثين جزءا وقسمه على خمسة أقسام وفنون هي : السماء والآثار العلوية والارض والمعالم السفلية ، والانسان وما يتعلق به ، والحيوان الصامت ، والنبات ، والتاريخ .

وقد عرض هذه الموضوعات عرضا شائقا مزج فيه بين الحقائق العلمية والذوق الادبي وأبان فيه عن علم واسع ومعرفة شاملة .

وابن فضل الله العمري هو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله الملقب بالعمري ، وترجع هذه النسبة الى أنه ألف كتابا بعنوان : فواصل السحر في فضائل آل عمر في أربعة مجلدات ، فنسب الى عمر رضى الله عنه . وقد ولد عام ٧٠٠ هـ وتوفى عام ٧٤٩ هـ .

وكان ابن فضل الله بارعا في العربية والفقه والتاريخ والجغرافيا والادب وغيرها ، وكتابه : مسالك الابصار خير دليل على ذلك . وله مؤلفات أخرى غيره ولكن هذا الكتاب هو الذي شهر به وهو الذي ينبىء عن فضله وعلمه ، وقد قسمه الى قسمين رئيسيين هما الارض ، وسكانها . وتناول في القسم الاول المسالك والممالك وتناول في القسم الثاني مقارنات بين الشرق والغرب والديانات والتاريخ وغير ذلك من المعلومات التي تثير العجب وتدل دلالة واضحة على سعة علم المؤلف واحاطته بالكثير من المعارف .

أما ابن منظور فهو أبو الفضل محمد بن على الافريقي المصري المتوفي سنة ٧١١ هـ ، وكتابه لسان العرب ـ وان كان كتابا في اللغة ـ الا أنه يدل دلالة واضحة على مدى سعة علمه ومعرفته وعلو ثقافته كما يدل على ذلك كثرة ما كتب عنه ، ومن ذلك ما جاء في مقدمة محقق كتابه المشهور : كانت حياته حياة جد وعمل موصول يدل على هذا انه ترك كتبا من تأليفه او اختصاره بلغت خمسمائة مجلد عدا ما نسخه بخطه الجميل من كتب

الأقدمين فقد كان مشاركا في علوم كثيرة ، وكان في الفقه في المكانة التي أهّلته لولاية القضاء ، وكان في اللغة وعلومها بما يشهد له هذا الكتاب الفرد وكان في المعارف الكونية في افضل ما كان عليه علماء عصره .

والقلقشندي هو أحمد بن علي بن أحمد ، ولد سنة ٧٥٦ هـ وتلقى كثيرا من العلوم ونبغ فيها وتوفي سنة ٨٢١ هـ . وترك ثروة علمية تدل على سعة علمه وغزارة معرفته ، منها نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، وهما كتابان في الانساب ولكنهما لا يقتصران على ذلك بل تناول فيهما كثيرا من ألوان المعرفة والعلم وطرائف الأدب .

« ولكن كتاب الاعشي في صناعة الانشاء هو أخطر كتبه وهو الذي يعرف به الرجل عبر العصور ويذكر به دائما بين المؤلفين في سائر الدهور ، فلا يمر اسم القلقشندي في مجال من مجالات العلم والادب الا على أنه مؤلف صبح الاعشى وكفى ، وقل من المثقفين بالثقافة العربية من يعرف أنه مؤلف نهاية الأرب أو قلائد الجمان أو شارح كذا وكذا من كتب الفقه ونحو ذلك » قال هذه العبارة الدكتور عبد اللطيف حمزة في كتابه عنه المذكور آنفا .

شهداء العصر :

هؤلاء العلماء الأجلاء شهداء على عصرهم الذي عرف بأنه عصر الموسوعات العلمية والادبية وقد أشرت الى سبب هذه الظاهرة التي جاء السيوطي في أعقابها وقد تأثر بها كما تأثر بها غيره من العلماء كالشعراني عبد الوهاب الذي يطلقون عليه مجدد القرن العاشر الهجري .

وقد برع الشعراني رحمه الله في كثير من العلوم براعة فائقة من بينها الطب والفقه والنحو والفلك والتصوف والفلسفة واللغة والتاريخ وغيرها ، وله من المؤلفات ما يربو على ثلاثمائة مؤلف منها ما لم يسبق اليه .

العقلية الاسلامية :

إلا أن الذي لا شك فيه ان عقلية العلماء المسلمين متسمة بالسعة منذ القدم ، فقد تأثرت بالقرآن الكريم الذي صقلها ووسعها ودعاها الى الانطلاق في آفاق السموات والارض باحثة ودارسة ومقارنة ، فكان لذلك اثره الواضح في ان العالم المسلم قديما لم يقف عند حد معين من المعرفة ، بل كان يهمه ان يستقصي كل شيء ويبرز فيه ، حتى اذا ما أنس الى شيء من المعرفة ومال اليه طبعه أقبل عليه وجدد فيه وابتكر ، ومن هنا كان السباقون الذين تتلمذت عليهم الدنيا من امثال ابن الهيثم وابن خلدون وابن سينا ومئات غيرهم صنعوا الحضارة الاسلامية التي بنت اوروبا الحديثة حضارتها على هديها واستنارت بضوئها ... فهل لنا ان نذكر جهاد هؤلاء العلماء الأجلاء وجهودهم وما قدموه لأمتهم من أمجاد ، حتى نسبق كما سبقوا ونفعل مثلما فعلوا ؟

الفتاوى

الحجاب الشرعي

اخت مؤمنة اشارت الى اسمها بحروف رمزية تقول . تزوجت من موظف هنا في الكويت وتحجبت قبل الزواج ، ولكن الحجاب كان غير كامل ، ثم ـ الآن ـ أصبح الحجاب شرعيا ، ولكني فوجئت بزوجي يطلب مني ترك الحجاب ، ويلح في ذلك ، وبدأ الخلاف يشتد بيننا فماذا أصنع ؟
ارجو أن تنصحوه لعله يعدل عن رأيه .

ـ في الواقع وصلت أكثر من شكوى عن طريق الهاتف في هذا الموضوع ، وهذا تصرف عجيب وغريب ، المفروض أن الزوج يغار على زوجته ، ويحاول أن يسترها ويصون عرضها ـ السفور الذي يطلبه وكونها تخرج عارية الشعر والصدر والعنق والساق أمر يعرضها للنظرات الجائعة وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم هذه النظرات صورة من صور الزنا حيث قال . « العينان تزنيان وزناهما النظر » كما ورد في البخاري . وسماه صلى الله عليه وسلم زنا لأنه نوع من التلذذ واشباع الغريزة الجنسية بطريق غير مشروع ، فكيف يسمح بتعريض الزوجة لهذا الزنا ؟

● يا أخي اسلامك يفرض عليك أن تلتزم بما جاء في الكتاب والسنة ، فاحمد الله أن زوجتك وفرت عليك أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، والتزمت بآداب الاسلام واهتدت الى طريق الكرامة والفضيلة ، لا تنس أنك باصرارك على نزع الحجاب تخالف أمر الله حيث قال : **« ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى »** وقال . **« وليضربن بخمرهن على جيوبهن »** وقال . **« يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك**

ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » .

لمادخلت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما على النبي عليه الصلاة والسلام في ثوب رقيق شفاف أعرض بوجهه وقال يا أسماء . إن المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا ، وأشار الى وجهه وكفيه .

يا أخي هداك الله لنداء الاسلام : من الخير لك في دينك ودنياك أن تصون عرضك وتعين زوجتك على طاعة الله ورسوله ، فبعض الأزواج يلح على الزوجة أن تتحجب وأنت تعكس القضية وتطالبها بالسفور ، وهذا أمر مؤسف حقا ، فالسفور يا أخي لا يمكنها من الصلاة لأن صلاة السافرة لا تجوز ويجعل أصحاب القلوب المريضة يطمعون فيها ، ويجرح كبرياءها أمام الساخرين منها ، ولقد نعى القرآن الكريم على أهل الكتاب أنهم يصدون من آمن ، فكيف بك وأنت المدرك للحلال والحرام ؟! قال تعالى : « **يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعلمون »** . اتق الله ولا تتحمل أوزارا فوق أوزارك ، ولعلها نزعة شيطان تنتصر عليها بارادتك وايمانك .

وصاحبة الرسالة ننصحها بألا تطيعه في ذلك ان أصر ، حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وعليها أن تعالج الموقف بالحكمة وبالاقناع وبالمنطق وبالتفاهم وفي داخل البيت ، هي مأمورة بابداء الزينة له ، هذا حقه فقط ، وليس من حق غيره من الأجانب . ولعله يستجيب ليسير في طريق النور . والله ولي التوفيق .

الزوجة .. ومال زوجها

من الكويت . تقول . أنا ربة بيت ، وغير موظفة ، ولا أملك مالا يخصني ، وأحب أن أتصدق من مال زوجي ، فهل يجوز لي ذلك ؟ ثم تقول : هل لي الحق في الأخذ من مال زوجي بغير علمه ؟

بالنسبة للسؤال الأول : للمرأة أن تتصدق من مال زوجها اذا أذن لها ، لأن المال حقه ، ولا تتصرف فيه الا برضاه . وإذنه ، وإن كان لا يرضى بذلك فلا حق لها في أن تتصدق ، وإذا علمت انه يرضى بهذا التصرف ولا يمانع فلها أن تتصدق ولو لم يصرح بالاذن لها .

ثبت أن النبي صلى الله عليه عليه وسلم قال . اذا انفقت المراة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها اجرها بما انفقت ، ولزوجها اجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم اجر بعض شيئا » .

وأيضا ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم نبه في حجة الوداع إلى أن المراة لا تنفق شيئا من بيت زوجها إلا باذنه .

أما إذا كانت الصدقة ليست لها قيمة مالية فلا يشترط إذن الزوج ، مثل التصدق برغيف ، أو بفلوس ، أو بثوب قديم مثلا ، فهذه أشياء يمكن التسامح فيها ولا تحتاج إلى إذن منه .

وبالنسبة للسؤال الثاني : فليس للمراة ان تاخذ من مال زوجها لنفسها من غير علمه ما دام قائما بالنفقة ، ويوفر لها ولاولادها الغذاء ، والكساء والدواء ، وكل ضروريات الحياة .

اما ان كان الزوج بخيلا بمعنى انه يحرمها من الاشياء الضرورية فلها ان تاخذ من ماله في حدود القدر الذي يكفيها بدون علمه .

فامراة ابي سفيان قالت يا رسول الله إن ابا سفيان رجل شحيح ، وليس يعطيني وولدى إلا ما اخذت منه . وهو لا يعلم ، قال (خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف) .

لها أن تأخذ بقدر الضرورة ، ولا تأخذ بقصد الاسراف وشراء الكماليات ، لأنها ليست ضرورية .

هدية أم رشوة

قارىء كريم كتب يقول : عزمت على تقديم هدية إلى رئيس المصلحة في مناسبة فقال لي أخي : إنها تعتبر رشوة ، وأنا أقول : إنها هدية . فلو قدمتها أهي حلال أم حرام ؟

يا أخي إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما

نوى ، إن كنت تقدمها لأنه رئيسك وتطمع من وراء تقديمها أن يفضلك على غيرك ، يرقيك مثلا بالاختيار من غير وجه حق ، اويوليك عملا فيه رئاسة أو ينقلك الى مكان أفضل ، فانها تكون رشوة في صورة هدية ، وتسميتها هدية لا يجعلها حلالا .

ورئيسك هذا هل يبادلك الهدية ؟ وهل لو كان في عمل لا يرأسك كنت تقدم له هدية ؟ ان كان الأمر كذلك فانها تعتبر هدية لا رشوة ، ولكن اذا كنت تنتظر من ورائها كسبا ماديا أو أدبيا ، أو يعطيك حقا ليس لك ، فهذا حرام : حرام على الراشي وهو من يقدمها ، حرام على المرتشي الذي يقبلها ، حرام على الوسيط بينهما ، فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش . والرائش هو الوسيط بينهما . فقد روى أن عبيد الله بن رواحة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليهود ليقدر ما يجب عليهم في نخيلهم من الخراج ، فعرضوا عليه أن يعطوه مالا لنفسه ليقدر لهم تقديرا بسيطا ، فقال لهم ما عرضتموه من الرشوة سحت ، وإنا لا نأكلها ، والرسول صلى الله عليه وسلم يحذر الموظف الذي يستغل وظيفته ويأخذ من الناس الرشوة فيقول : « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا - يعني أعطيناه معاشا - فما اخذه بعد ذلك فهو غلول » .

وسيدنا عمر بن عبد العزيز أهدى له رجل هدية فردها ، فقال الرجل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية . قال : كان ذلك له هدية ، وهو لنا رشوة . والوالي الذي جمع صدقات قبيلة من القبائل وجاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض الصدقة وحجز بعضا منها وقال : هذا هدية لي ، فغضب النبي وقال : الا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك ؟! يا أخي من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، اذا استعنت فاستعن بالله ربما يكون أولادك في حاجة الى هذا المال ، وقد يكون رئيسك من الأثرياء . فتعاونوا على البر والتقوى .

المسح على الجوربين

ورد سؤال من الأخ / موسى محمد من طرابلس . لبنان . يقول - المسح على الخفين نعرف أنه من التيسير على الناس خاصة في

زمن البرد ، ولكني في بيتي ألبس جوارب ليلا ونهارا ، فهل أمسح عليها أم لا يجوز المسح عليها ؟

هذا المسح من التيسير على الناس ، وفي المسح عدم المعاناة من البرد للأطراف ، ولذلك أفرد الفقهاء في أبحاثهم بابا خاصا لبيان أحكام المسح على الخفين ، يلبسهما الانسان على طهارة يعني بعد أن يتم الوضوء ، وكلما انتقض الوضوء يتوضأ اذا أراد الصلاة ، ما عدا غسل الرجلين فانه لا ينزع الخف ويغسل الرجلين ، ولكن يمسح على الخفين بدل غسل الرجلين ، ومدة هذا المسح للمقيم يوم وليلة ، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها . والجوارب التي يسأل عنها الأخ القارىء مثلها في المسح عليها كالخفين تماما ، واشترط كثير من الفقهاء أن تكون الجوارب ثخينة بمعنى أنها لا تسمح بوصول الماء إلى الرجلين ، وأن تكون غير شفافة ، واللفائف التي تستعمل للحاجة مثل الحماية من البرد أو المحافظة على جرح في الرجلين حكمها حكم المسح على الجوربين والخف ، ويبطل المسح على كل هؤلاء بانقضاء مدة يوم وليلة للمقيم ، وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها ، من باب التيسير على المسافر ، ويبطل المسح بنزع الخفين والجوربين أو اللفافة ويبطل المسح كذلك بالجنابة .

هذه الرخصة لاشك من محاسن الشريعة الاسلامية ، وصدق الله العظيم « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » .

تماثيل للزينة

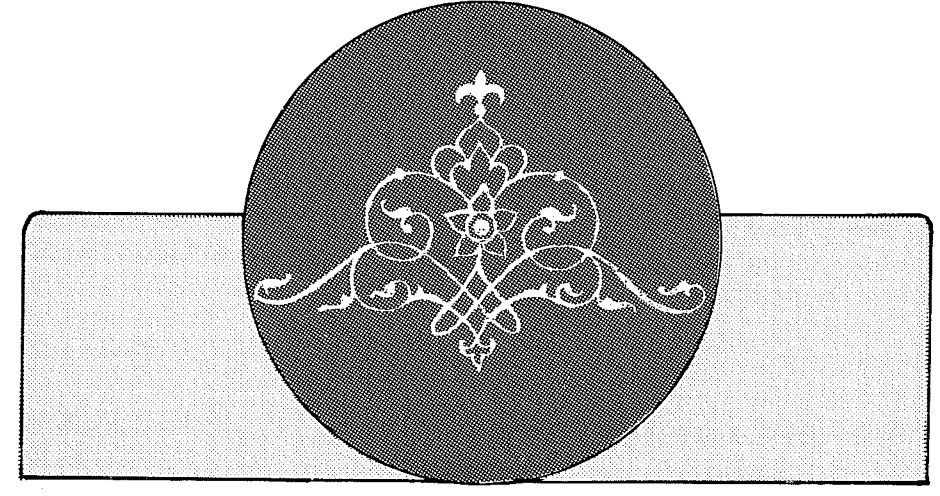
سؤال من القارىء الفاضل مطهر مولاي مصطفى ـ باب دكاله درب الدقاق . مراكش . المغرب . يقول : ما حكم الاسلام في التماثيل المصنوعة من الجبس على هيئة حيوانات ، هل هي حرام مع أنها توضع للزينة لا اقل ولا أكثر ؟

نقول : من المقرر شرعا تحريم التماثيل وهي الصورة المجسمة غير المتهنة لأن وجود هذه التماثيل في البيت المسلم سبب في أن الملائكة لا تدخله قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه تماثيل (أو تصاوير) متفق عليه .

وبين العلماء أن سبب هجر الملائكة لبيت فيه تماثيل يرجع الى تشبه من يتخذ ذلك بالكفار لأنهم يتخذون الصور في بيوتهم ويعظمونها ، يستوي في التحريم التماثيل المصنوعة من الجبس أو من النحاس أو الحديد أو المعادن . واتخاذها للزينة لون من ألوان احترامها وتكريمها واذا كانت عقيدة المسلمين الآن نقية من شبهة الوثنية ولكن الاسلام يسد بالتحريم باب الفتنة لا سيما وأنه يشرع للبشرية كلها الى أن تقوم الساعة وما يستبعد الآن قد يكون مقبولا في عصر آخر . ومن جهة أخرى اتخاذ التماثيل مظهر من مظاهر الترف والاسلام يحارب الترف والاسراف وخاصة فيما لا فائدة تعود من ورائه للفرد او المجتمع ولذلك حرم على الرجال الذهب والحرير وحرم على النساء والرجال استعمال آنية الذهب والفضة فمن باب أولى تحريم التماثيل ، وكما حرم الاسلام اقتناء التماثيل حرم على المسلم أن يشتغل بصناعة التماثيل وان كان يعملها لغير المسلمين قال عليه الصلاة والسلام : (إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور) . وفي رواية - الذين يضاهون بخلق الله . متفق عليه .

انظر الفتوى المنشورة في عدد صفر من المجلة ١٤٠٤هـ ص ١٢٤ .



مع الصحافة

من المرجح أن يصدر هذا العدد من « الوعي الاسلامي » دون أن تهدأ حدة المعارك الدائرة في شمالي لبنان ، كما أن من الأمور المحتملة ـ نظرا إلى سياق الأحداث المتتابعة ـ أن تتحمل مدينة طرابلس وطأة حرب ضروس شبيهة بما حدث في بيروت . وهذا ما ندعو الله تعالى ألا يكون . وليس سهلا في الحقيقة أن يخوض الكاتب في وصف هذه الأحداث المؤلمة ، لا لأنها عصية على الفهم والتفسير ـ فلعل الحقائق في جملتها باتت واضحة وضوحا جارحا ـ ولكن لأن العبارات أصبحت تغص من الألم ، وتستحيي من الواقع المخزي . ولقد عبرت معظم الصحف العربية ، بل بعض الصحف الأجنبية أيضا ! عن الاستياء والدهشة والأسف لما يحدث .

ولقد قيل إن الصحافة مهنة القلق ، بيد أنها توشك الآن في خضم هذه الأحداث أن تكون مهنة الموت قلقا ! فبينما تدور رحى المعارك في شمالي لبنان قامت إسرائيل بعزل الجنوب اللبناني ، وإغلاق بوابات العبور إليه تمهيدا لضمه ضما نهائيا ، كما أصدرت حكومة العدو الصهيوني أيضا قرارا بانشاء خمس مستوطنات جديدة في الضفة الغربية ، وقامت بغاراتها العدوانية على البقاع لتقصف اللبنانيين والفلسطينيين . ومن صميم الشعب المقهور في لبنان بالحديد والنار يبرز « مجهولون » ليدكوا معاقل المارينز في بيروت ومعاقل اليهود في **صور** .

وعلى التخم الشرقي للعالم الاسلامي .. هناك في أفغانستان ما يزال المجاهدون يخوضون حربا طويلة ضد الغزو السوفياتي ..

وعلى الصعيد الدولي تتصاعد حدة الحرب الباردة بين الدولتين العظميين ، وتشغل العالم وصحف العالم المحادثات والاتهامات المتبادلة حول الحد من الأسلحة النووية ، بينما تصل طلائع صواريخ كروز الأمريكية إلى بريطانيا .

○ عن الحرب في شمالي لبنان

كثيرون جدا الذين تناولوا الأحداث في شمالي لبنان بالتحليل والتعليق ، ومما

يلفت النظر أن هؤلاء الكثيرين جميعا يكتبون بأسلوب مشوب بضروب من الدهشة والاستياء .. وربما بشيء من السخرية المبطنة بالألم . حتى الصحفيون الأجانب ـ بعضهم ـ لم يكن له مناص من أن ينفعل الانفعالات نفسها وهو يكتب عن أحداث شمالي لبنان .

وقد عبرت عن بعض هذه الانفعالات صحيفة الانباء الكويتية في مقال نشرته في ١٢ صفر جاء فيه :

يوم امس تزامن الحادثان : اقتحام مخيم البداوي للاجئين الفلسطينيين بدبابات وبنادق وقيادة وقنابل فلسطينية عربية ، مع اجتياح قواعد لبنانية وفلسطينية في البقاع من الجو بقنابل اسرائيلية ، قامت بقصف هذه القواعد بمن فيها من البشر ، تحت حراسة الطائرات الاميركية . وقع حادث اقتحام المخيم بعد سلسلة من الحوادث التي مهدت له : من الانشقاق إلى الرحيل عن قواعد البقاع ، ثم لحقت قوات المنشقين بقوات الشرعية الفتحاوية إلى شمال لبنان ، فتم إخلاء البقاع عمليا من قوات الثورة الفلسطينية ، فيما يبدو انه تحقيق لمطلب اسرائيل في خروج هذه القوات من البقاع مقابل انسحابها إلى نهر الاولي . ولا شيء في العالم قادر أن يقنعنا بأن ما يجري على الساحة الفلسطينية ليس جزءا من التسوية اللبنانية ، وبعدها تسوية الصراع مع اسرائيل سلميا . وأول شروط اسرائيل للقبول بالانسحاب الجزئي كان ابعاد مقاتلي الثورة عن البقاع ، بعدما تم لها اخراجهم من الجنوب وبيروت . ولكن لا يهم أن نقتنع أو لا نقتنع بمنطق الانشقاق وفوائده وحسناته ، فها هي « حسناته » على الارض : مخيمان فلسطينيان آخران يدمران ، وعشرات الالوف من النساء والاطفال والرجال يبحثون عن ملاجىء جديدة يسندون إليها رؤوسهم التائهة ومئات القتلى والجرحى من شباب فلسطين يهدر دمهم دفاعا عن المخيمات لا عن أرض فلسطين ولا على الطريق إليها .

وها هي « حسناته » : تمزق في نفس كل فلسطيني وعربي واذا كان من يحسب أنها نهاية الصراع فقد أخطأ خطأ عظيما ، فالذي جرى هو البداية فقط ، وسوف تشهد الارض العربية المزيد من هدر الدم ومئات الضحايا سوف تجد طريقها إلى المقابر ، وكل ذلك تحت شعار العمل من أجل فلسطين والكفاح على طريق التحرير ! ولكن أي فلسطين هي هذه التي عنها يتحدثون ، وأي تحرير ، إن خداع النفس ممكن وبسيط ولكن خداع الأمة صار من المحال ، والذين أثاروا الفتنة وأشعلوا نارها سوف يؤخذون بالنار ويحصدون عذاب النار التي حسبوها تدفىء الأيدي فاذا بها تحرق الوجوه والاعين والاسماء والتاريخ .

وإذا كان هناك من يحسب نفسه منتصرا على إسرائيل حين يقتحم المخيمات ويقتل الرجال والنساء والاطفال من أبناء شعبه وبناته ، أو يتوهم أنه المغوار لو فاز برأس ياسر عرفات أو سواه من قادة المقاومة ، فانه الخاسر الضائع في سراب الظن وشرور النفس الامارة بالسوء والجرم .

في الحياة حقائق بسيطة ، لكنها قوية ، ولذلك لا بد من أن تجد سبيلا إلى التعبير والتحقق . ودفع الظلم والبغي عن النفس واحدة من هذه الحقائق ، وكلما كان الظلم والبغي أقسى كان الدفع أعنف . هذا هو التفسير البسيط لتلك العمليات التي توصف بأنها انتحارية . إنها تعبير عنيف عن بغي وقهر أعنف . إن عمليات العدوان الدموية التي قامت بها إسرائيل في لبنان ، وبخاصة في بيروت ، بالتنسيق مع أمريكا ، هي التي أنتجت هذه الضربات الموجعة التي سددها إلى معاقل المارينز واليهود .. فدائيون « مجهولون » .

عن هذا الموضوع نشرت صحيفة القبس الكويتية مقالا جاء فيه :

العمليات الانتحارية الكبيرة الاخيرة التي خططت لها ونفذتها « مجموعات الظل » العربية المناضلة هي ، في آن معا ، نتاج لواقع مرير أولا ، ومدرسة ذات تربة خصبة سينمو في احشائها جيل قديم ـ جديد من المناضلين ثانيا ـ انها مدرسة تقول بان الفعل الثوري هو الذي يملك افعل اعلام . مدرسة تقول بأن النضال الصامت ابلغ من كل الثرثرات اللفظية الثورية . مدرسة تقول بأن الدولة هي نهاية طبيعية للثورة وليست بداية لها . مدرسة تقول بأن العودة إلى النضال السري تحت الارض ، دون تضييع الانجازات المكتسبة في العلن ـ هو وحده الذي يهز الارض من تحت أقدام المستعمرين الصهيونيين وغيرهم .

وهي، أخيرا ، مدرسة تقول بان العقيدة أو الاعداد الايديولوجي الصحيح هو الذي يجعل المقاتل شهيدا يدخل الجنة بعد أن تجعله في حالة ذهنية ونفسية يستعجل معها الدخول إلى تلك الجنة .

ونحن لا نذيع سرا أن قلنا بأن تيارات جماهيرية واسعة وعريضة ، فلسطينية وعربية اخرى ، باتت تتحدث بصوت مسموع عن ضرورة العودة الى اعتماد تعاليم هذه المدرسة التي تجلت في معارك حصار بيروت وبعد أن طال الحديث عن تلك التعاليم بصوت خافت منذئذ . أنها تيارات واسعة نامية وموجودة إلى اعتماد تعاليم هذه المدرسة التي تجلت في معارك حصار بيروت وبعد أن طال الحديث عن تلك التعاليم بصوت خافت منذئذ . إنها تيارات واسعة نامية وموجودة فعلا تحت سطح العمل السياسي والعسكري العربي القائم . إنها تيارات سرعان ما ستطفو على السطح كنتاج مضاد لما هو سائد ، وكرد ناجع على الهجمة الامبريالية/ الصهيونية المستشرسة . والايام بيننا .. وان غدا لناظره لقريب .

كما وصفت صحيفة (فرانكفورتر الجماينة) الالمانية طرفا من العمليتين ، وجانبا من رد الفعل الأمريكي المتوقع في مقال نشرته في الأسبوع الثاني من صفر جاء فيه :

العمليات الانتحارية بدأت تشق طريقها في لبنان ضد القوات الاجنبية المتواجدة على الاراضي اللبنانية المدمرة ، « سائقو الجحيم » يخترقون بسياراتهم الملغومة المواقع الدفاعية لمقري قيادتي القوات الاميركية والفرنسية في لبنان ويفجرون سياراتهم في هذه المواقع ، في الوقت الذي كان فيه الجنود نياما او على مائدة الافطار ليصبحوا بين لحظة واخرى اشلاء متناثرة . وبعدها بحوالي اسبوع تتم عملية مماثلة ضد مقري القائد العسكري الاسرائيلي وجهاز الاستخبارات الاسرائيلية في مدينة صور بجنوب لبنان . في العمليتين يسقط مئات الضحايا بين قتيل وجريح لتلتهب ساحة الشرق الاوسط مرة اخرى بعد فترة هدوء مشوبة بالتوتر سكتت فيها المدافع وراجمات الصواريخ بانتظار ما قد تسفر عنه محادثات جنيف بشأن تقرير مستقبل لبنان .

الولايات المتحدة هددت على لسان أكثر من مسؤول فيها بما في ذلك الرئيس رونالد ريغن ، ووزير دفاعه كاسبار واينبرغر ووزير خارجيته جورج شولتز ، بالانتقام لمقتل جنودها ، بعد ان يتم تحديد الجهة المسؤولة عن تنفيذ عملية التفجير ، أما إسرائيل فقد كان ردها فوريا حيث انطلقت الطائرات الحربية بعد عدة ساعات فقط لتضرب وتدك مواقع القوات الفلسطينية في وسط لبنان .

الكاتب والصحافي الاميركي جون غوشكو قال في تحليل له ان بعض المسؤولين الاميركيين قلقون من العواقب الدبلوماسية لاي عمل عسكري اميركي في الشرق الاوسط بالنسبة لمجمل الاهداف الاميركية بعيدة المدى في المنطقة ، كما أن رئيسة الحكومة البريطانية المحافظة مارغريت تاتشر حذرت الادارة الاميركية من مغبة المغامرة بالقيام برد انتقامي في لبنان ، وذلك خلال اجتماع عقدته مع نائب وزير الخارجية الاميركي كنيث دام في لندن اخيرا .

تاتشر التي كشفت النقاب عن غزو جزيرة غرينادا قبل وقوعه وحذرت ادارة الرئيس ريغن من العواقب المترتبة على أي غزو محتمل للبنان شبيه بغزو غرينادا وهذا يعني ان الولايات المتحدة تخطط بالفعل للقيام بمغامرة عسكرية في لبنان والا لما اطلقت تاتشر هذا التحذير .

○ عن أفغانستان وغرينادا

تقارن صحيفة (غلوب آندميل) الكندية بين دعاوى أمريكا ودعاوى السوفيات في غزويهما لغرينادا وأفغانستان ، وتكشف طبيعة العدوان الذي تحاول كل من الدولتين العظميين أن تستره بنوع من الدعاوى او الذرائع الضالة . جاء في المقال الذي نشر في اوائل صفر :

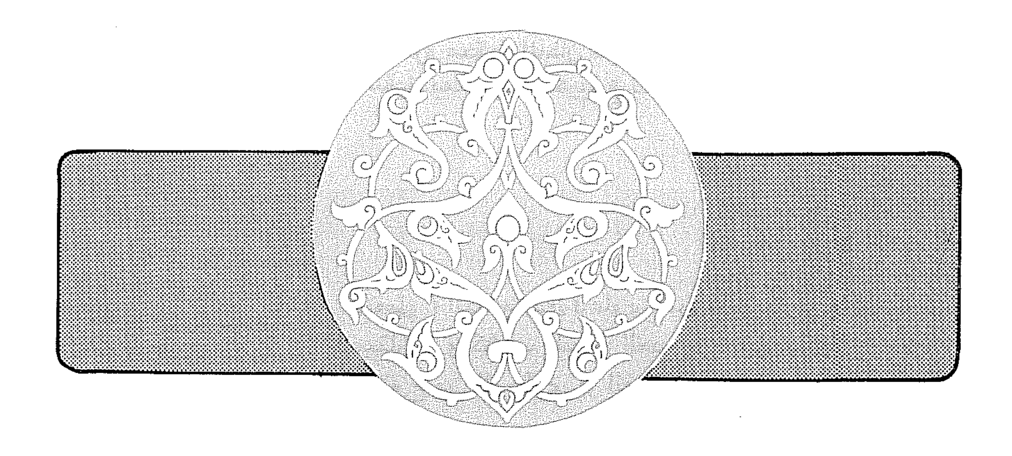
خلال السنوات الاربع التي خضعت فيها افغانستان للاحتلال السوفياتي ، ظلت محنتها ذريعة تستخدمها وسائل الدعاية الاميركية المعادية للشيوعية لدحر معارضيها . لكن غزو الولايات المتحدة لغرينادا نقل هذه الذريعة فجأة الى حوزة الطرف الاخر .

ومنتقدو السياسة الاميركية يستطيعون الآن أن يقدموا الدليل على أن الاميركيين لا يملكون من القيم الدولية والاخلاقية اكثر مما يملكه القادة الروس الذين يهاجمهم البيت الابيض بشكل دائم . وان مجرد القدرة على اطلاق الاتهام هو لغير صالح العملية الاميركية في غرينادا ، ولكن أين يكمن مفهوم النسبة والتناسب لدى النقاد الذين يتفوهون بهذا التشبيه المضخم .

والاتحاد السوفياتي الذي قال عن غزو الولايات المتحدة لغرينادا بانه « جريمة ضد الانسانية » قام بقصف السكان المدنيين ودمر قرى بأكملها . واستخدم ا لغازات السامة وخلق اسوا مشكلة للاجئين في العالم ، بعد أن أجبر أكثر من ٣,٥ مليون افغاني على الهجرة .

وفي أحد التقارير وصف دبلوماسي افغاني سابق ويعيش الآن في الباكستان الاساليب السوفياتية ، وصفا مثيرا للذعر . فقد تحدث التقرير عن قيام الجيش الاحمر بغارات ضد القرى بالقرب من كاندهار ، انتقاما لهجمات الفدائيين .

لقد انتقلت القوات السوفياتية من منزل لاخر فالقت القنابل اليدوية واطلقت النيران على من بداخلهاكان معظم الضحايا تقريبا من كبار السن ومن النساء والاطفال ، لأن الفدائيين درجوا على عدم العودة إلى منازلهم عقب قيامهم بأعمال هجومية ففي قرية كلوشاباد قتل ٥١ قرويا ، بينما قتل في ماشخيزي المجاورة ٣٥ آخرون . وفي قرية ثالثة هي قرية تيمور كلاشا ، قام السوفيات بقتل ٤٠ امراة وطفلا بالحراب .



« إلى راغبي الاشتراك »

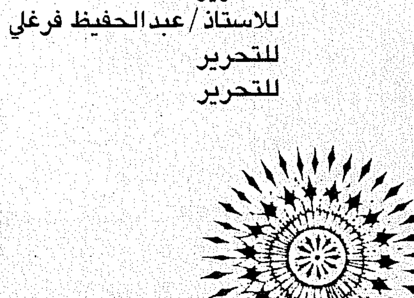


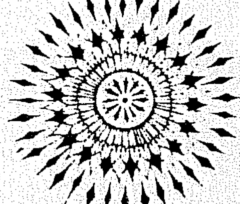
تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .







مطابع دار السياسة ـ الكويت